

سبيل الهدى إلى الحق

لسماحة آية الله الشيخ جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحیم

سبیل الهدی الی الحق

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

سبیل الهدی الی الحق

اشاره

سرشناسه : سبحانی تبریزی ، جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور : سبیل الهدی الی الحق/ جعفر السبحانی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر ، ۱۴۳۴ ق. = ۱۳۹۲.

مشخصات ظاهری : ۲۱۱ ص. ؛۲۱×۱۱س م.

شابک : ۳۸۵۰۰ریال : ۰-۴۲۲-۵۴۰-۹۶۴-۹۷۸

وضعیت فهرست نویسی : فاپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : شیعه -- دفاعیه ها و ردیه ها

رده بندی کنگره : BP۲۱۲/۵ /س۲س۲ ۱۳۹۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۱۷

شماره کتابشناسی ملی : ۳۰۴۳۱۶۶

ص: ۱

اشاره

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

كلمه المعهد

إنّ رسول الله (ص) قـد أبلغ وحى السـماء إلى مدّه ۲۳ عامـاً، وأدّى ما أمره الله عزّ وجلّ على أفضل وجهٍ، فهـدى الناس إلى دين الحقّ وبيّن لهم تعاليمه ووضّح حقائقه خلال هذه المدّه بشـكلٍ تدريجيٍّ. وفى الثامن عش-ر من شـهر ذى الحجّه للسّـنه العاشـره بعـد الهجره أكمـل دين الله فى غـدير خُم قبـل أن ينتقل إلى جوار ربّه، وذلك حينما صـدع بولايه الإمام علىّ بن أبى طالب (ع) ونصبه للمسلمين إماماً بأمرٍ من الله جلّ شأنه.

ونبيّنا الكريم (ص) قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى استودع المسـلمين ثقلين عظيمين، هما كتاب الله وعترته أهل بيته (ع) ، وأمرهم بالتمسّك بهما ليهتدوا إلى سواء السبيل ويبلغوا درجه الكمال المنشود لينجوا من الضلال؛ فقال بصريح العباره: (إِنّى تاركٌ فيكُم الثَّقَلَينِ، كتابَ اللهِ وعترتى؛ ما إنْ تمسَّكتُم بهما لنْ تَضِّلوا بعدى) .

ولكن للأـسف الشديـد بعـد رحلته صـلوات الله عليه لم يعمـل المسـلمون بمـا أمرهم به وأعرضوا عن وصـيّته، ففرّقوا بين القرآن والعتره لأسباب لا مجال إلى ذكرها هنا، وإثراً لذلك عانى المجتمع الإسلامىّ من مشاكل جمّه واتّسعت

ص: ۶

رقعه الخلافات الطائفيّه، واسـتغلّ أعداءُ الدين جهلَ الناس وزرعوا الفِتن بينهم وروّجوا الشـبهات العقائديّه فأوقعوا بين المسـلمين ونهبوا ثروات البلاد الإسلاميّه، فساد الفقر والجهل بين أهلها.

وفى عصـرنا الراهين وبعـد مضـىّ أكـثر من ألـف وأربعمـائه عـامٍ على بزوغ شـمس الحقيقه فى ربـوع المعمـوره، أعـادت القوى الانتهـازيّه والاسـتعماريّه العالميّه الكرّهَ تارهً أُخرى وصالوا فى الميـدان بنفس أُسـلوب أسـلافهم من أعـداء الإسـلام، فأراقوا دماء الرجـال والنسـاء والأطفـال الأبريـاء وقطّعـوهم إربـاً إربـاً دون رحمـهٍ وبمنتهى القسـوه فى بعض البلـدان الإسـلاميّه، مثـل العراق وأفغانسـتان، مسـتخدمين شتّى أنواع الأسلحه المدمّره، راجين من ذلك الفوز بجنّه النعيم! وتارهً أُخرى عاد الخوارج إلى الميدان وتجسّدت من جديد جرائمهم التى ارتكبوها فى عصر صدر الإسلام.

وبـالطبع فإنّ العلماء والمفكّرين فى هـذه الظروف الصـعبه يتحمّلون مسؤوليّهً خطيرهً، فمن ناحيهٍ يجب عليهم بيان الحقائق للناس، ومن ناحيهٍ أُخرى فهم مكلّفون بالتصـدّى للشـبهات المطروحه؛ إذ إنّهم من خلال ترويـج المعارف الدينيّه سـكونون قادرين على اجتثاث هكذا أفكار زائفه من مجتمعنا الإسلامىّ، وبالتالى سيحفظون كيان المجتمع الإسلامى من التفرقه والتشرذم.

الكتاب الـذى بين يـديك عزيزى القارئ يحمل هكذا رساله، وقد دوّنه الأُسـتاذ والفقيه والحكيم آيه الله الشـيخ جعفر السـبحانى (حفظه الله) ، راجين من الله تعـالى أن يحفظه ويُطيل عمره. فقـد بيّن فيه معقتـدات أتباع مـذهب أهل البيت (ع) بإيجازٍ، ودحض الشبهات الواهيه التى يتشبّث بها البعض

ص: ۷

لتحريف هذه المعتقدات الصحيحه.

نسأل البارئ عزّ وجلّ أن يكون هذا النتاج نبراساً يهتدى به طلاب الحقّ والحقيقه.

إنّه ولىّ التوفيق

معهد الحجّ والزياره

قسم الكلام والمعارف

ص: ٨

ص: ٩

مقدمه

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاه والسلام على خاتم النبيين محمد وآله الطاهرين.

لاـ يشك ذو مسكه أنّ المسلمين فى هذا العصر بأمسّ الحاجه إلى توحيد الكلمه وتقريب الخطى من الأزمنه السابقه. إذ إنّنا نعيش فى وقت عصيب تحالفت فيه قوى الكفر والاستعمار على محق الإسلام ومحاصره المسلمين بمختلف الأساليب.

وهذا ما يدعو المسلمين إلى التآلف والتكاتف ونبذ عوامل التفرقه والتشتّت.

وقد حثّ سبحانه فى العديد من الآيات على التآزر والتلاحم والاعتصام بحبل الله؛ قال تعالى: (وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً) (آل عمران: ١٠٣) .

كما حذّر سبحانه من التفرّق والتشتّت مخاطباً نبيّه الكريم بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِى شَيْءٍ) (الانعام: ١٥٩) .

وانطلاقاً من هذه الآيات يجب على كلّ مثقف وكاتب مسلم أن يسلك فى

ص: ١٠

محاضراته ومقالاته وكتاباته سبيل الوحده، ويتحرّز عمّا يوجب العداء والبغضاء.

إنّ عناصر الوحده – ولله الحمد – بين الشيعه وسائر الفرق الإسلاميه كثيره لا تحصى. ولذا يجدر بنا جميعاً التمسّك بالأُصول المتّفق عليها والإغماض عن عناصر الفرقه، غير أنّ هذا الإغماض لا يعنى أبداً إيقاف البحث الموضوعى والدراسه المنطقيه فى هذه المجالات، فإنّ ممارستهما على ضوء الكتاب والسنّه والعقل وبأسلوب لا يخلّ بنظام الوحده، أمر مهمٌ فى تجليه الحقائق وتنميه الوعى لدى المسلمين.

وتحقيقاً لهـذه الأهـداف قمنا بتأليف هـذا الكتاب على ضوء المصادر الصحيحه فى المسائل الّتى اتّفق فيها المسـلمون (كما فى مباحث التوحيد والنبوه والمعاد) وما اختلفوا فيه من المسائل الفرعيه العمليه.

ومن يطالع هـذا الكتـاب يجـد أنّ الغايه منه إنّما هى توضـيح الحق وإبرازه، وإماطه اللثام عن وجه الحقيقه، دون أن يرافق ذلك هدف أو غايه أُخرى.

والله من وراء القصد

جعفر السبحانى

ص: ١١

الفصل الأول: تأريخ نشأه التشيع وانتشاره

١- متى نشأ التشيّع؟

اشاره

السؤال: هناك نظريات عديده قد طرحت حول نشأه التشيّع، نرجوأن تبيّنوا متى نشأ التشيّع؟

الجواب: العاده أن تطرح هـذه الأسـئله حول النحل الكلاميه والفرق المـذهبيه التى ظهرت بعد وفاه النبىّ (ص) ، فيقال مثلاً: متى وكيف نشأ المذهب الأشعرى؟

فيقال فى الجواب: إنّ المذهب الأشعرىّ هو مذهبٌ كلامىٌّ، وقد أسّسه أبوالحسن الأشعرىّ (١)فى أوائل القرن الرابع الهجرىّ.

يُذكر أنّ هذا المذهب قد نشأ مقابل مذهب المعتزله الذى هو مذهبٌ كلامىٌّ أيضاً، حيث أسّسه واصل بن عطاء (٢)تلميذ الحسن البصرىّ (٣)ففى مثل هكذا موارد، يمكن تعيين تأريخٍ محدّدٍ.

١- ابوالحسن الأشعرىّ، تأريخ الولاده (٢٦٠ه) ، تأريخ الوفاه (٣٢٤ه) .

٢- واصل بن عطاء، تأريخ الولاده (٨٠ه) ، تأريخ الوفاه (١٣٠ه) .

٣- الحسن البصرىّ، تأريخ الوفاه (١١٠ه) . .

ص: ١٢

وكذا هو الحال بالنسبه الى المذاهب الفقهيه.

فالمذهب الحنفىّ على سبيل المثال، قد أسّـسه أبو حنيفه (١)، والمذهب الشافعىّ قد أسّـسه محمدبن إدريس الشافعىّ (٢)، وكذا هو الحال لسائر المـذاهب الاسـلاميّه، إذ لكلّ مـذهبٍ تأريـخ تأسـيس محـدّد، أمّا التشـيّع فليس من المذاهب الكلاميّه أو الفقهيّه

حتى يُقال إنّه نشأ بعد وفاه رسول الله (ص) .

تأريخ التشيّع فى الواقع هو تأريخ الإسلام، والتشيّع فى الحقيقه هو نفس الإسلام الذى جاء به رسول الله (ص) ومن أهمّ تعاليمه استمرار القياده والإمامه عن طريق شخص يعيّنه الله تعالى ويُعرّفه رسول الله (ص) للأمّه. وهذا الأصل البنّاء هو الذى يضمن بقاء الإسلام، ويبيّن واقع التشيّع. وقددعا رسول الله (ص) أيام حياته إلى هذا الأصل فآمن به بعض الصحابه وأقرّوا به بعد وفاته.

وهؤلاء هم روّاد الشيعه فى عص-ر النبىّ (ص) وبعد وفاته، ولكنّ بعض الصحابه لم يُذعنوا الى هذا الاصل بعد التحاق رسول الله (ص) بالرفيق الاعلى وأوكلوا قياده الأمّه الى شخص آخر.

إذن، تأريخ ظهور التشيّع بهذا المعنى هو نفس تأريخ ظهور الاسلام، وتعاليمه هى نفس تعاليم الاسلام، والأصل الذى يعتمد عليه الشيعه فى تعيين إمام المسلمين بعد رسول الله (ص) والذى يؤمنون به كأصلٍ أقرّه الله تعالى، هو فى الحقيقه أصلٌ ثابت من الأصول الاسلاميّه التى جاء بها نبيّنا الكريم (ص) وصدع بها فى حياته.

۱- أبوحنيفه، تأريخ الولاده (۸۰ه) ، تأريخ الوفاه (۱۵۰ه) .

۲- محمّدبن إدريس الشافعى؛ تأريخ الولاده (۱۵۰ه) ، تأريخ الوفاه (۲۰۴ه) . .

المنهج العقلانى فى طريقه اختيار الخليفه

اشاره

قبل تصفّح كتب الحديث الش-ريف ومصادر التأريخ من الض-رورىّ أن نتحدّث عن خلافه النبى (ص) من الناحيه الاجتماعيه وأن نتعرّف على الظروف التى كانت تحيط بالمنطقه أواخر حياته، وخلاصه الكلام هل عيّن الرسول (ص) شخصاً لولايه الأمر وإداره شؤون الأمّه من بعده أم ترك الأمر للمهاجرين والأنصار والتحق بالرفيق الأعلى؟

وتكشف الاستقراءات الاجتماعيه بوضوح أنّه (ص) عيّن شخصاً لولايه الأمر من بعده، وأنّه (ص) كان مقدَّماً بأمر الله (اختيار الله) على (اختيار الأمّه) ؛ لأنّ الأمّه الإسلاميه كانت زمان رحيله (ص) مهدّده من قبل ثلاثه تيارات معاديه وقويّه، وهى المجوس عَبَده النار من الشرق، والروم المسيحيون من الغرب، والطابور الخامس المتجسّد بحركه النفاق فى صميم المجتمع الإسلامى، وكانت هذه حركه قويّه جدّاً ومتغلغله فى صميم المجتمع بشهاده الآيات القرآنيه الكثيره التى نزلت بشأن المنافقين فى مختلف السور القرآنيه.

فكانت مصلحه المجتمع الإسلامى أنذاك تقتض-ى – دون شكّ – أن يعيّن النبى (ص) شخصاً قويّاً، عالماً، واعياً، زاهداً، تقيّا لخلافه الأمّه من بعده، ويبذل غايه جهده للحفاظ على كيان الأُمّه الإسلاميّه ومواجهه التيّارات الخطيره الثلاثه. ولا شكّ فى أنّ غضّ الطرف من قبل النبى (ص) إزاء أمر الخلافه كان سيؤدّى إلى نشوء تيّار خطير آخر – إضافه إلى التيّارات الثلاثه – وهو تيّار

الصراع بين المسلمين حول الخلافه، وقد يؤدّى هذا التيار إلى نشوب حرب داخليه تقضى على المجتمع الإسلامى من الداخل. فهذه الحقائق التأريخيّه تكشف لنا ضروره تقديم تدخّل الأمر الإلهى فى تحديد من يتولّى الأمر بعد

ص: ۱۴

الرسول (ص) على إيكال الأمر للناس ليختاروا الخليفه بأنفسهم فى ظلّ تلك الظروف العسيره.

وبعباره أخرى، فإنّ الأمر لا يتعدّى نظريتى (النصّ) أى: اختيار الخليفه بواسطه النبى بأمر الله، و (الشورى) أى: إيكال الأمر إلى اختيار المهاجرين والأنصار. ونودّ هنا تسليط الضوء على موقف النبى (ص) فى هذا المجال؛ لأنّ المسأله تتمحور حول ثلاث نظريّات، هى:

۱. لم يتحدّث النبيّ (ص) قطُّ حول من يتولّى الأمر من بعده.

۲. أعلن النبى (ص) موقفه من الخلافه من بعده، وأوكلها إلى الشورى.

۳. اختار – بأمر من الله – شخصاً صالحاً لقياده الأمّه الإسلاميّه ونصّبه لخلافته، وأخبر الناس بذلك.

أمّا النظريّه الأولى، فهى لا تنسجم مع كمال الدين واستمراره إلى يوم القيامه؛ لأنّ الاسلام دين اجتماعى ولا تقتص–ر تعاليمه على العبادات الشخصيّه والمناجات الفرديّه، بل هو أطروحه شامله تُغنى البشريّه من جميع النواحى، وتلبّى احتياجاتها إلى يوم القيامه، ولا يمكن القول: بأنّ من جاء بهذا الدين أهمل مسأله الحكم، وهى مسأله تضمن بقاء الدين ولم يكن له أىّ موقف فى هذا المجال.

أمّا النظريّه الثانيه، فهى نظريّه يمكن الإذعان بها إلى حدٍّ ما؛ لأنّها تكشف أنّ الرسول (ص) لم يهمل أمر الخلافه من بعده. ولكن هذه النظريّه تبقى مبتوره؛ لأنّ خلافه النبيّ (ص) لو كانت قائمه على الشورى، فكان يجدر برسول الله (ص) أن يبيّن ضوابطها وشروطها بدقّه، وأن يمارسها على الصعيد العمليّ خلال حياته ليتعلّم المسلمون كيفيّتها ولكى لا يتحيّروا أو يضلّوا بعد وفاته.

ص: ۱۵

ولكن كتب الحديث والسيره لم تبيّن نصّاً واحداً يكشف بأنّ نظام الحكومه فى الإسلام هو نظام قائم على الشورى، بل حتّى الطريقه التى تمّ اتّباعها بعد الخليفه الأوّل لم تكن قائمه على الشورى، حيث قائمه على تعيين الخليفه اللاحق من قبل الخليفه السابق. والحكومه فى الإسلام ليست أمراً بسيطاً ليتمّ تحديد إطارها بعباره واحده، وهى قوله تعالى: (وأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ) (الشورى: ۳۸) ، بل الحكومه تشمل نطاقاً واسعاً من الأحكام والأمور التى تستدعى من الرسول (ص) بيان تفاصيلها وشروطها.

أمّا النظريّه الثالثه، فهى أرجح من النظريّتين الأولى والثانيه، حيث يمكن اثبات صحّتها من أحاديث رسول الله (ص) وسيرته المباركه.

وبعد هذا التحليل الاجتماعىّ، سوف نتطرّق الى الجواب عن السؤال الذى طرحناه استناداً إلى الحديث والتأريخ.

۱. الشيعه فى أحاديث رسول الله (ص)

يعود تأريخ تسميه أتباع الإمام على (ع) بالشيعه إلى زمان حياه رسول الله (ص) ، وهناك الكثير من الأحاديث التى تثبت هذه الحقيقه، وتبيّن بأنّ الرسول (ص) هو الذى أطلق هذا الإسم على أتباع الإمام على (ع) ، وقد نقل المحدّثون والمفسّرون بأنّه عندما أنزل الله قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ) (البيّنه: ۷) التفت النبى (ص) إلى علىّ، وقال له:

«هو أنت وشيعتك يوم القيامه راضين مرضيّين» .

وقال (ص) فى حديث آخر:

«أنت وشيعتك، موعدى وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين»

ص: ۱۶

والأحاديث التى تثبت نزول هذه الآيه بشأن شيعه الإمام على (ع) وتؤكّد على أن رسول الله (ص) هو الذى سمّاهم (شيعه) ، كثيرهٌ وقد رُويت فى مختلف المصادر. (۱)

إذن، الرسول (ص) هو الذى سمّى أتباع الإمام على (ع) بالشيعه، وهذا الأمر بحدّ ذاته يعدّ مؤشراً على تعيين الخليفه بعد رسول الله (ص) .

۲. الإمامه فى أحاديث الرسول (ص)

اشاره

لا شكّ فى أنّ مقام الإمامه يختلف عن مقام النبوّه، فالنبىّ هوالذى يتلقّى الوحى وهو المؤسّس للدين، لكنّ الإمام لا يتلقّى الوحى ولا يعدّ موسّساً للدين، وانّما مهمّته بعد النبى (ص) هى أداء الوظائف التى كان النبى يقوم بها فى مجال بيان الأحكام وتنفيذها. فالإمام هو المرجع لبيان الأحكام والعقائد الإسلاميه وإداره شؤون الأمه.

إنّ الأدلّه على خلافه الإمام على (ع) بعد الرسول (ص) كثيره جدّاً، ولكنّنا نكتفى فى هذا المقام بثلاثه أدلّه، وهى: حديث (يوم الدار) الذى يعود تأريخه الى بدايه الدعوه الإسلاميه، وحديث (المنزله) الذى يعود تأريخه الى مرحله متقدّمه من الدعوه الاسلاميه، وحديث (الغدير) الذى يعود تأريخه الى آخر أيّام حياه الرسول (ص) .

أ) حديث يوم الدار (الامامه قرينه النبوه)

حسب الأحاديث الشريفه نجد أنّ النبىّ (ص) عندما أعلن نبوّته فى يوم الدار لبنى هاشم، أعلن فى نفس الوقت خلافه الإمام على (ع) من بعده، وهذا

۱- المصادر التى تشير إلى هذه الحقيقه كثيرهٌ، منها الدرالمنثور، ج ۶، ص ۵۸۹؛ الصواعق المحرقه، ص۱۶۱؛ نهايه ابن اثير، ج ۴، ص ۱۰۴؛ مناقب ابن المغازلى، ص ۲۹۳.

مـا يكشف بأنّ النبوّه مقرونه تماماً بالإمامه وأنّهما منصـبان من قبل الله تعالى. وقـد رُويت قضـيّه يوم الـدار فى المصادر التأريخيه كما يلى:

بعد مضى ثلاث سنوات من بعثه الرسول ودعوته سرّاً، خاطبه الله تعالى بقوله: (وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء: ۲۱۴) ، فدعى الرسول (ص) أكثر من أربعين شـخصاً من أقربائه وكانوا كلّهم من وجوه بنى هاشم، وأعـدّ لهم وليمه، فلمّا أنهوا تناولهم للطعام، قال لهم:

يا بنى عبـدالمطلب، إنّى - والله - ما أعلم شابّاً فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا قـد جئتكم به، إنّى قد جئتكم بخير الدنيا والآخره، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يوازرنى على هذا الأمر يكون أخى ووصيّى ووزيرى فيكم؟

ثمّ أمهلهم الرسول ليجد من يوافق دعوته، فهيمن الصـمت والاسـتغراب والحيره على أهل المجلس وأطرق الجميع برؤوسهم إلى الأرض.

فكسر على بن أبى طالب (ع) حاجز الصمت ونهض من مكانه وكان له من العمر أقل من ۱۵ عاماً، وقال: «

أنـا يـا نبى الله، أكون وزيرك عليه » ، ثمّ مـدّ يـده ليبـايع الرسول (ص) ، فأمره الرسول بالجلوس، ثمّ كرّر (ص) دعوته ثانيه، فلم يقم إلّا على (ع) ، وفى هـذه المرّه أيضـاً أمره الرسول (ص) بـالجلوس، وكرّر الرسول دعوته ثـالثه، وفى هـذه المرّه أيضاً أحجم القوم عن تلبيه دعوته، ولم يقم إلّا على ليعلن استعداده لمؤازره النبى (ص) والدفاع عن أهدافه المقدّسه. فعند ذلك أخذ الرسول بيد على (ع) قال مقولته المشهوره فى مجلس كبار بنى هاشم وهى قوله (ص) :

«إنّ هذا أخى ووصيّى وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» . (۱)

۱- تاريخ الطبرى، ج۲، صص ۳۱۹ - ۳۲۱؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير، ج۲، صص ۶۲ و۶۳؛ السيره الحلبيّه، ج۷۱، ص ۳۱۱؛ تاريخ ابن عساكر، ج۱، ص ۶۵؛ تفسير خازن، ج۳، ص۳۷۱، وغير ذلك من المصادر المتوفّره. .

ويكشف هـذا الحـديث بوضوح بأنّ تأريـخ التشـيّع هو تأريخ الإسـلام نفسُهُ، والنبوّه قُرنت بالإمامه من اليوم الأوّل لإعلان الدعوه

الاسلاميّه.

والحقيقه أنّ هـذه الحادثه هى ليست الموقف الوحيـد الـذى عيّن فيه الرسول (ص) وصـيّه والخليفه من بعده للمسـلمين، بل أكّد على هذا الأمر بعدها فى العديد من المناسبات وسنشير إلى هذه الموارد بإيجاز.

ب) حديث المنزله

حديث المنزله هو أحد الأحاديث المعروفه التى رواها المحدّثون و أصـحاب السير فى كتبهم. وفحوى الحديث أنّ الرسول (ص) عنـدما خرج إلى غزوه تبوك لم يأخـذ معه على بن أبى طـالب (ع) ؛ لأـن الضـروره اقتضت بقاءه فى المـدينه من أجل التصـدّى لفتنه المنافقين، ولكن الأعـداء قاموا ببث الإشاعات وادّعوا وجود بعض الاختلافات بينه وبين رسول الله (ص) وأنها السـبب الذى دعـا رسول الله (ص) الى عـدم اصـطحابه لتبوك لـذلك ذهب الإمـام على (ع) إلى الرسول (ص) وأخـبره بمـا يقوله المنـافقون، فأجابه:

كذبوا، ولكنّى خلفتك لما تركت ورائى، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك، أفلا ترضى - يا على - أن تكون منّى بمنزله هارون من موسى؟ إلّا أنّه لا نبىّ بعدى. (۱)

ويكشف هـذا الحديث بوضوح بأنّ الإمام على (ع) يحظى بكلّ ما كان لهارون (ع) من منصبٍ وسـلطهٍ باسـتثناء النبوّه، ومن أبرز هذه المناصب هى: الوزاره؛ لأنّ هارون كان وزيراً لموسى (ع) ، وذلك كما قال تعالى:

۱- صحيح البخارى، ج۶، ص ۳؛ صحيح مسلم، ج۷، ص ۱۲۰؛ سنن ابن ماجه، ج ۱، ص ۵۵؛ سيره ابن هشام، ج ۲، صص ۵۱۹ و ۵۲۰. .

(واجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى * هارُونَ أَخِى) (طه: ۲۹ و ۳۰)

واسـتثناء النبوّه فى كلاـم الرسول (ص) يثبت امتلاـك الامـام على (ع) جميع منـاصب هـارون (ع) ما عـدى النبوّه. والخلافه التى ذكرت فى هـذا الحـديث غير مختصّه بغزوه تبوك، بل حقيقه عامّه، وغزوه تبوك هى إحـدى مصاديقها. وإذا كان المقصود من الحديث أن الإمام على (ع) هو خليفه الرسول (ص) فى هذه الغزوه فقط، لم يكن هناك أىّ داعٍ ليبيّن (ص) هذه القاعده بصوره عامّه مع استثناء النبوّه.

ج) حديث الغدير

خلاصه قضـيّه الغـدير التى كانت فى أواخر أيّام الرساله، والتى أكّد فيها الرسول (ص) على خلافه الإمام على (ع) من بعده، هى:

توجّه الرسول (ص) فی السنه العاشره للهجره إلی مکّه المکرّمه لأداء فریضه الحجّ وتعلیم مناسکها للمسلمین، ورافقه فی هذا السفر ما یقارب عشره آلاف شخصٍ، وقد ألقی خطباً قیّمهً فی عرفه ومنی.

وعندما انتهت مناسک الحجّ، ترک المسلمون مکّه المکرّمه عائدین إلی أوطانهم، ولمّا اقتربت القوافل من غدیر یُدعی (غدیر خم) نزل الوحی علی الرسول (ص) وأمره بالتوقّف، فأنزل الله علی الرسول (ص) : (یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ) (المائده:۶۷) .

وفی هذه الأثناء ارتفع صوت الأذان فی تلک الصحراء، ثمّ ألقی الرسول (ص) خطبهً جاء فیها:

الحمد لله نستعینه ونؤمن به، ونتوکّل علیه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سیئات أعمالنا الذی لا هادی لمن ضلّ، ولا مضلّ هدی، وأشهد أن لاإله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله أیّها الناس. . .

ص: ۲۰

إنّی أوشک أن أُدعی فأجیب، وإنّی مسؤول وأنتم مسؤولون. . . فمن کنت مولاه فعلی مولاه» .

قالها ثلث مرّات.

ثمّ قال:

اللّهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله وأدر الحقّ معه حیث دار، ألا فلیبلّغ الشاهد الغائب.

ثمّ لم یتفرّقوا حتّی نزل أمین وحی الله بقوله:

(الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی ورَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً) (المائده: ۳) .

وحدیث الغدیر من الأحادیث المتواتره، ویکفینا فی ذلک أنّ رواه هذا الحدیث عن رسول الله (ص) هم: ۱۲۰ راویاً من الصحابه، وراویاً من التابعین. وقد رواه علی مرّ ۱۴ قرناً ۳۶۰ شخصاً من علماء أهل السنّه.

وإذا أضفنا رواه وعلماء الشیعه إلی هؤلاء فسیبلغ الحدیث الحدّ الأعلی من التواتر. (۱)

نکتفی فی هذا المقام بهذه الأحادیث الشریفه الثلاثه.

۱- صحیح الترمذی، ج۵، ص ۲۹۷؛ سنن ابن ماجه، ج ۱، ص ۴۵؛ المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری، ج۳، ص۱۱۰؛ مسند احمد بن حنبل، ج۱، ص ۸۸ و ج۲، ص۶۷۲؛ الخصائص للنسائی، صص ۵۰، ۹۴، ۹۵؛ المصنف لابن أبی شیبه، ج۱۲، ص۷۸؛ مشکاه المصابیح، ج۳، ص۲۴۶؛ الریاض النضره لمحب الدین الطبری، ج ۲، ص ۱۶۹. و نحن نکتفی بهذا المقدار

من ذكرِ المصادر، و كل من يرغب أن يطلّع على المزيـد من هـذه المصادر فبامكانه مراجعه الكتب المؤلّفه حول حديث الغدير، و نقترح فى هـذا المجـال كتابى: الف: عبقات الأنوار، تأليف مير حامـد حسـين الهنـدى ۱۳۰۶ه. ب: الغـدير، تأليف العلّامه عبد الحسين الأمينى ۱۳۲۰-۱۳۹۰ه. .

ص: ۲۱

نشأه التشيّع فى ظلّ وصايا النبى (ص)

وقد أدّت هذه الأحاديث وما شابهها إلى أن يلتف بعض الصحابه حول الإمام على (ع) ، وأن يصبحوا من شيعته وأتباعه.

وكتب المحقّق المعروف محمّد كرد على فى كتابه (خطط الشام) مايلى:

عُرف جماعه من كبار الصحابه بموالاه على فى عص-ر رسول الله (ص) مثل سلمان الفارسى القائل: بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلى بن أبى طالب والموالاه له.

ومثل أبى سعيد الخدرى الذى يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحده، ولما سئل عن الأربع، قال: «الصلاه، والزكاه، وصوم شهر رمضان، والحجّ» .

قيل: فما الواحده التى تركوها؟

قال: «ولايه على بن أبى طالب» .

قيل له: وإنّها لمفروضه معهن؟

قال: «نعم هى مفروضه معهنّ» .

ومثـل أبى ذر الغفارى، وعمّار بن ياسر، وحُـذيفه بن اليمان وذى الشـهادتين خزيمه بن ثابت، وأبى أيّوب الأنصارى، وخالـد بن سعيد، وقيس بن سعد بن عباده. (۱)

الشيعه فى عصر الرساله

إنّ مصـادر الحـديث تزخر بالأحـاديث التى أكّـد فيهـا رسول الله (ص) مراراً على إمـامه علىّ بن ابى طالب (ع) وخلافته له، وقد اكتفينا بذكر ثلاثهً منها

۱- خطط الشام، ج ۵، ص ۲۵۱. .

ص: ۲۲

فحسب. وهذه الأحاديث قد أدّت إلى ظهور التشيّع فى بلاد المسلمين منذعهد الرسول (ص) . وآمن بعض الصحابه فى عص-ر الرساله بولايه الإمام على (ع) وعُرفوا بشيعه عليٍّ، ثمّ تمسّك هؤلاء بما عاهدوا الله عليه بعد رحيل الرسول (ص) ، وحافظوا على بيعتهم للإمام على والتى يعود تأريخها الى عهد رسول الله (ص) ، فأسّسوا نواه التشيّع فى صدر الإسلام، وبالتدريج شقّ التشيّع طريقه وبدأ الشيعه ببيان المكانه الصحيحه للإمامه ووصايه الإمام على (ع) بعد رسول الله (ص) .

فالتشيّع نشأ فى الحجاز، وعندما نقل الإمام على (ع) مقرّ خلافته إلى العراق بدأ التشيّع ينتشر أكثر فأكثر فى مختلف أنحاء العالم.

٢- أقليّه أتباع مذهب أهل البيت (ع) وأكثريّه أتباع مذهب أهل السنّه

سؤال: إذا كان الشيعه أتباع مذهب الحقّ، فلماذا عددهم أقلّ من أتباع مذهب أهل السنّه؟

الجواب: الأكثريه ليست دليلاً على الحقّانيّه مطلقاً، كما أنّ الأقليّه أيضاً ليست دليلًا على عدَم ذلك، فالمؤمنون كانوا على مرّ التأريخ منذ زمان النبى نوح (ع) حتّى زمان خاتم الأنبياء (ص) أقليهً بالنسبه إلى غيرهم، وقد بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقه فى العديد من الآيات عند إشارته إلى دعوه الأنبياء للناس، فقال تعالى عن النبى نوح (ع) الذى لبث فى قومه ألف سنه إلّا خمسين عاماً: (١)

(وما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (هود: ۴۰) .

وقال تعالى فى آيه أخرى:

١- قال تعالى: (لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَهٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً) (العنكبوت: ۱۴) . .

وقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (سبأ: ١٣) .

وقد حذّر الله تعالى الرسول (ص) من اتّباع الاكثريّه، فقال له:

(إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) (الأنعام: ۱۱۶) .

وخاطب تعالى أيضاً رسول (ص) قائلًا:

(وما أَكْثَرُ النَّاسِ ولَوحَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف: ١٠٣) .

ولوتأمّلنا فى العالم، فإنّنا نجد أكبر دوله من ناحيه عدد السكّان هى الصين حيث إنّ عدد سكّانها يقارب مليار وثلاثمائه مليون نسمه، بعدها الهند التى يقارب عدد سكّانها مليار نسمه، وأكثر هؤلاء غير مسلمين ومعظمهم يعبدون الأصنام. وإذا كان عدد المسلمين فى العالم يقارب مليار وثلاثمائه مليون نسمه، فهو قليلٌ بالنسبه الى عدد سائر غير المسلمين من سكّان العالم البالغ

عددهم ستّ مليارات نسمه.

وقد أشار الإمام على (ع) إلى هذه الحقيقه فى حرب الجمل، حيث سأله أحد الأشخاص: أترى أنّ طلحه والزبير وعائشه اجتمعوا على الباطل؟

فقال على (ع) : «

يا حارث، أنت ملبوس عليك! إنّ الحقّ والباطل لايعرفان باقتدار الرجال، وبإعمال الظنّ، اعرف الحقّ تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله » . (۱)

أضف إلى ذلك فإنّ الشيعه على الرغم من قلّه عددهم بالنسبه إلى عدد سكّان العالم، ولكنّه – فى حدّ ذاته – كبير جدّاً؛ ولهذا نجد لهم حضورٌ فعّالٌ فى أغلب أنحاء العالم. وأضافه إلى ايران والعراق وأذربيجان والبحرين ولبنان حيث يشكّل الشيعه الأكثريّه فيها، فإنّ الشيعه فى جميع البلدان الاسلاميه هم

۱- بحارالأنوار، ج ۲۲، ص ۱۰۵. .

ص: ۲۴

أقليات عددها ملفت للنظر، ولهم مساجد ومؤسسات، ومدارس وبرامج ثقافيّه.

ومن الجدير بالذكر أنّ الشيعه كانوا يعرفون بحاله الرفض للسلطه السياسيه الحاكمه؛ ولهذا أطلقت هذه السلطات عليهم لقب (الروافض) وذلك ليُبرّروا قمعهم واجتثاثهم. مثلاً نجد السلطان محمود الغزنوى بعد هيمنته على شرق خراسان بادر إلى قمع الشيعه والمعتزله، فدمّر آثارهم العلميّه وأتلف مكتباتهم ليمحو أثر التشيّع والاعتزال. وكان يدعم باستمرار أهل الحديث والكراميّه، وكان يرى أنّ الشيعه والمعتزله هم ألدّ أعدائه. (۱)

كما أنّ صلاح الدين الأيوبى قام بإباده الشيعه والقضاء عليهم، وسفك دماء الكثير منهم بعد خيانته للفاطميّين. (۲)

وفى العهد العثمانى إبّان حكومه السلطان سليم، أصدر أحد فقهاء الحنفيه المعروف ب-(نوح) ، فتوى ذُبح على أثرها ۴۰/۰۰۰ شيعى فى تركيا. (۳)

وخلال فتره حكومه الجزّار فى لبنان، سفكت دماءالكثير من الشيعه فى جبل عامل، وبادرت الحكومه إلى إباده الشيعه، بحيث تمّ استخدام كتبهم بدل الحطب فى أفران المخابز لفتره طويله. (۴)

۱- أحد أبناء خراسان يُدعى: عبد الله بن كرّام، و كان يتظاهر بالزهد خدع الكثير من الناس و أدخلهم فى مذهبه، و كان السلطان محمود من جمله أتباعه، فلمّا بلغ السلطه أطاح بالشيعه و أهل الكلام. مذكرات القزوينى، الحواشى ج ۷، ص ۶۰، نقلاً عن لغت نامه دهخدا.

۲- انظر: أعیان الشیعه، ج ۳، ص ۳۰؛ تاریخ الشیعه للمظفر، ص ۱۹۲.

۳- انظر: البلاد العربیه و الدوله العثمانیه للحصری، ص ۴۰؛ أعیان الشیعه، ج ۱، صص ۳۰ و۳۱. و ذکر صاحب الأعیان عدد القتلی ۷۰۰۰۰ بدل ۴۰۰۰۰؛ الفصول المهمّه لشرف الدین العاملی، ص ۱۴۰.

۴- انظر: دائره المعارف اللبنانیه لفواد البستانی، ترجمه إبراهیم یحیی. .

ص: ۲۵

نظراً هذه الإبادات الجماعیّه للشیعه، یمکن القول بأنّ بقاء الشیعه فی العالم کان معجزهً إلهیّهً.

والملفت للنظر أنّهم تمکّنوا علی الرغم من الظروف الصعبه التی مرّوا بها أن یکوّنوا ثقافه رصینه وشامله، ونبغ بینهم علماء بارزون فی مختلف التخصّصات الإسلامیه والعلمیه، وإلی یومنا هذا (القرن الخامس عشر) بقی التشیّع فی ظلّ العنایه الإلهیه محافظاً علی الإسلام الأصیل المحمّدیّ ونوره یسطع یوماً بعد آخر فی جمیع أرجاء العالم، فیهتدی به کلّ یوم المزید من أبناء البشریه إلی الصراط المستقیم لیُطهّر التأریخ من حجب الجهل والتعصّب.

ص: ۲۶

ص: ۲۷

الفصل الثانی: عقائد الشیعه

۱- منزله أولیاء الله وقدراتهم الغیبیّه

اشاره

سؤال: هل أنّ انبیاء الله تعالی واولیاءه قادرون علی الإتیان بأفعال خارقه للعاده إضافه إلی قدراتهم الطبیعیّه؟

الجواب: إنّ نظام الکون هو نظام الأسباب والمسبّبات، ونظام العِلل والمعلولات، وکلّ شخص قادر علی القیام بفعلٍ ما، فهو یستمدّ قدرته من قدره الله تعالی، وبمجرّد أن ینقطع هذا المدد، سوف یفقد کلّ إنسان قدرته، ویکون عاجزاً عن القیام بأیّ فعل.

لذا، إنْ صدرت من أولیاء الله أعمال خارقه للعاده، فإنّهم لا یقومون بذلک إثر قدرتهم الذاتیّه، وإنّما یفعلون ذلک بإذن الله واستمداداً من قدرته الأزلیّه، وإذا سلب الله القدره منهم، فإنّهم سیفقدون القدره علی إنجاز أیّ فعل سواء کان فعلاً طبیعیّاً أم فعلاً خارقاً للعاده.

إنّ ولیّ الله یمتلک قدره القیام بالأفعال الخارقه للعاده نتیجه تکامله الروحی، فیصل من خلال عبادته وعمله بالتعالیم الإسلامیّه واجتیاز

ص: ۲۸

الصراط المستقيم إلى هذا المقام. (۱)

والإنسان فی ظلّ عبوديّته لله وإخلاصه فی العباده يصل الی درجه التكامل الذاتی الذی لا صله له بالحياه الفرديّه والاجتماعيّه، وهذا التكامل خارج عن نطاق الجسم والمادّه، وكلّ من يسلك هذا الطريق يبلغ درجاتٍ يلمس آثارها فی حياته الدنيا وفی حياته الأُخرى، ولكلّ ولی درجته حسب مستواه.

ما المقصود من مفهوم الكمال؟

عندما نقول: الله تعالى هو الكمال المطلق أو الكمال اللامتناهی، فالمقصود من هذا الكمال هو صفات الله الجماليّه نفسها، من قبيل العلم والقدره، والحياه والإراده. والعبد ينال الكمال بمقدار عبوديّته لله تعالى.

والمقصود من نيل الكمال هو نيل المزيد من العلم والقدره، والتأثير فی الإراده والحياه الأبديّه. ومن هذا المنطلق تكون منزله العبد أعلى من منزله الملائكه نتيجه نيله المزيد من الكمال.

ودأب البشريّه الهيمنه على العالم والقيام بما يعجز الإنسان عنه فی الحاله الطبيعيّه، ومثال ذلك نجد أنّ بعض المرتاضين يسلكون الطرق المحرّمه والمؤذيه لأنفسهم لتقويه أرواحهم ومن أجل نيل المزيد من القوى الخارقه للعاده.

ولكنّ الطريق الصحيح الذی يصل من خلاله الإنسان إلى سعاده الدارين هو طريق العبوديّه والخضوع لله ربّ العالمين، والالتزام بطاعته تعالى. وهذا ما يوصل العبد إلى مقامات تمكّنه من نيل قدره التصرّف فی عالم

۱- تنويه: يمكّن للإنسان القيام بالأفعال الخارقه للعاده عن طريق: الرياضه، ولكن هذا طريق محرّم من الناحيه الشرعيّه. .

التكوين.

وقد أشار رسول الله فی حديث إلى المنازل الرفيعه التی ينالها سالكو طريق الحقّ من خلال عبادتهم الله تعالى حيث ذكر (ص) حديثاً قدسيّاً جاء فيه:

وما تقرّب إلیّ عبد بشیء أحبّ إلیّ ممّا افترضت عليه، وإنّه ليتقرّب إلیّ بالنافله حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذی يسمع به، وبص-ره الذی يبصر به، ولسانه الذی ينطق به، ويديه التی يبطش بها، إن دعانی أجبته، وإن سألنی أعطيتهُ. (۱)

والتأمل فی هذا الحديث القدسی يرشدنا إلى معرفه عظمه الكمال الذی يناله الإنسان من خلال أداء الفرائض والنوافل، وتزداد فی هذه الحاله قدره الإنسان الباطنيّه، بحيث يصل إلى مرحله يكون فيها قادراً بإذن الله تعالى من سماع ما لا تسمعه الآذان فی الأوضاع الطبيعيّه، ويرى ما لا تراه الأعين فی الحاله الطبيعيّه، فيصل إلى كلّ مايبتغيه، ويصبح من أحباء الله وينصبّ عمله فی دائره مرضاه الله تعالى.

ولا شكّ فى أنّ المقصود من الحديث الذى ذكرناه آنفا أنّه تعالى يوسّع بقدرته دائره رؤيه هذا العبد، ودائره سمعه ويزيد من قدرته.

آثار العبوديّه والكمال النفسانى

من آثار كمال النفس، قدره التصرّف فى العالم –بإذن الله– وبيان ذلك أنّ الإنسان يغدو فى ظلّ قدرته التى يكتسبها من التقرّب الى الله تعالى قادراً على التصرّف فى العالم بإرادته كما يتصرّف فى سلوكه وأفعاله الاختياريّه، ومن هنا

١– الكافى، ج ٢، ص ٣٥٢. .

ص: ٣٠

يمتلك هذا العبد القدره على القيام بالأعمال الخارقه للعاده؛ أى أنّه يمتلك قدره التصرّف فى عالم التكوين.

القرآن وكرامات الأولياء

اشاره

بيّن القرآن الكريم بعض الكرامات لأنبياء الله تعالى، وهى كرامات تمكّنوا عن طريقها من التصرّف بعالم التكوين بإذن الله عزّوجلّ ونتيجةً لكمالهم الفنسىّ وسنُشير فيمايلى إلى بعض هذه الكرامات بصوره موجزه:

١. تصرّف النبى يوسف (ع) فى إعاده بصر أبيه

بكى النبى يعقوب (ع) طيله سنوات إثر مفارقته ولده يوسف (ع) ، ففقد بسبب هذا البكاء بصره. وبعد سنوات أرسل يوسف (ع) مبعوثاً إلى كنعان ليُلقى رداءه على وجه أبيه يعقوب (ع) ليرتدّ بصيراً: (فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً) (يوسف: (ص)۶) .

ولا شكّ فى أنّ المؤثّر الحقيقى فى هذا المقام هو الله تعالى، لكنّه تعالى جعل إراده يوسف سبباً لارتداد بصر أبيه، ومكّن النبى يوسف من تحقيق إرادته متى ما شاء.

وتمكّن يوسف من إعاده البصر لأبيه عن طريق سبب بسيط، وهو إلقاء الرداء على وجهه. ونستوحى من ذلك أنّ معجزات وكرامات الأنبياء تتحقّق عبر أمور بسيطه؛ لئلّا يتصوّر الناس بأنّ الأنبياء تصدر منهم المعاجز بتوسيط الأمور العلميّه.

٢. إظهار أعوان سليمان لقدراتهم الفائقه

لا يخفى على أحد بأنّ النبى سليمان (ع) استدعى ملكه سبأ، فقال لمن

ص: ۳۱

حوله فی مجلسه قبل وصول ملکه سبأ إلیه:

(قالَ یا أَیُّهَا الْمَلَؤُا أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ * قالَ عِفْرِیتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِکَ وإِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ) (النمل:۳۸و۳) .

و قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ ، وهو حسب قول المفسّرین آصف بن برخیا وزیر سلیمان وابن أخته:

(أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّی) (النمل: ۴۰) .

ینبغی علینا التأمّل فی مضامین هذه الآیات بحثاً عن السبب الذی مکّن هؤلاء من القیام بهذا الأمر الخارق للعاده، وهو جلب عرش بلقیس الذی یبعُد مسافات إلی مجلس سلیمان. فهل أنّ الله تعالی کان هو السبب المباشر لإنجاز هذا الأمر الخارق للعاده؟ وهل هو الذی أحدث هذه الطفره فی الطبیعه وأن العفریت من الجنّ وآصف بن برخیا، مجرّد مظاهر لیس لها أیّ تاثیر فی هذا المجال؟

أو أنّ سبب هذا الأمر والتأثیر یعود إلی الشخص نفسه، کما تنجز الخلائق أفعالها بتأثیر منها ولکن باذن الله وبالقدره التی مکّنها الله منها؟

والفرق بین الذین یقومون بالأمور الخارقه للعاده عن غیرهم أنّهم یمتلکون قدرهً أکثر من غیرهم نتیجه قربهم إلی الله تعالی وأنّهم یقومون بهذه الأمور الخارقه للعاده بإرادتهم، کما یقوم سائر الناس بالافعال الارادیه بمحض إرادتهم. ویبدوأنّ الآیات الثلاثه التی مرّ ذکرها تؤیّد الرأی الثانی، ودلیل ذلک:

أوّلاً : النبی سلیمان (ع) طلب من أتباعه القیام بهذا العمل، وهم کانوا

ص: ۳۲

قادرین علی ذلک.

ثانیاً : الذی قال بأنّه یجلب عرش الملکه بلقیس قبل أن یقوم سلیمان من مقامه، قال بعدها: (وإِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ) ، فإذا لم تکن إراده الشخص هی المؤثّره فی أداء هذا العمل، ما کان له أن یقول هذه العباره.

ثالثاً : قال آصف بن برخیا: (أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ) ، فنسب هذا العمل الخارق للعاده إلی نفسه بقوله: (أَنَا آتِیکَ بِهِ) .

إذن، بیّن القرآن الکریم مسأله صدور الأمور الخارقهللعاده فی هذه الآیات، وأکّد علی أنّ إراده أولیاء الله تعالی لها تأثیر مباشر علی صدور الأمور الخارقه للعاده، وغیرها من المعاجز والکرامات.

رابعاً: بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ سبب قدره آصف بن برخيا على القيام بالعمل الخارق للعاده هو العلم الذى لايتمكن أىّ إنسانٍ من اكتسابه، بل يختصّ به المقرّبون من عباد الله، ولا يكتسبه العبد إلّا بمقدار قربه من الله تعالى.

٣. النبى سليمان (ع) وقدراته الفائقه

صرّح القرآن الكريم بأنّ الريح كانت تجرى بأمر سليمان، وبما أنّ الريح جزء من نظام الكون؛ فعندما بأمر سليمان يكون ذلك دليلًا على تأثير إراده سليمان فى التصرّف فى الكون.

قال تعالى: (ولِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِى بارَكْنا فِيها وكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عالِمِينَ) (الأنبياء:٨١) .

والجدير بالذكر أنّ هذه الآيه تبيّن بص–راحه أنّ جَرَيان الريح وتحديد مسارها كان معلولاً لأمر سليمان وإرادته النافذه، وهذا ما يشير إليه بوضوح

ص: ٣٣

قوله تعالى: (تَجْرِى بِأَمْرِهِ) .

ونقرأ فى آيه أخرى:

(ولِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ ورَواحُها شَهْرٌ) (سبأ: ١٢) .

وهذا يدلّ على قدره سليمان بأن يجتاز خلال يوم واحد، ما تجتازه الدوابّ أنذاك خلال شهرين، ولا يخفى أنّ الله تعالى سخّر الريح له، ولكن عباره: (تَجْرِى بِأَمْرِهِ) ، تكشف بوضوح تأثير أمر سليمان وإرادته فى استثمار هذه الظاهره الطبيعيّه من قبيل تعيين زمان حركه الريح واتّجاهها وزمان توقّفها.

ويستفاد أيضاً من الآيات المرتبطه بالنبى سليمان (ع) بأنّ الله تعالى مكّنه من السيطره على الكثير من الظواهر الطبيعه المتمرّده وسخّرها له، فكان (ع) يسيّرها كما يشاء بإذن الله، منها ما جاء فى قوله تعالى: (وأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) (سباء: ١٢) .

والمقصود من (عين القطر) هنا (النحاس) الذى هو من المعادن الصّلبه، لكنّ الله تعالى جعله ليّناً له كى يصنع منه ما يشاء.

ومنها تعامله (ع) مع الجنّ، وهى كائنات لا ترى بالعين الطبيعيّه، فمكّنه الله من السيطره عليهم وتوظيفهم كيفما يشاء.

قال تعالى: (ومِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ . . . * يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ. . .) (سبأ: ١٢و١٣) .

ويفهم من الآيات المذكوره أنّ قدره سليمان على تسخير الريح كانت كقدرته على تسخير الظواهر الطبيعيّه الأخرى، وإذن الله فى هذا المجال لايعنى تدخّل إراده الله فقط فى تحقّق هذا الأمر، بل إنّ الله عزّ وجلّ جعل لإراده النبى سليمان الدور فى تسخير هذه الظواهر. وكان سليمان بإرادته يجرى الرياح، وبإرادته يسيل القطر، وبإرادته يُسخّر الجنّ؛ ولكنّ هذا كلّه

ص: ۳۴

كان فى ظلّ إذن الله عزّ وجلّ.

وجميع هـذه التصـرّفات دليـل على الولاـيه التكوينيّه، وفحوى هـذه الولايه أنّ قرب النبى من الله تعالى يمنحه منزله، بحيث تكون جميع الأمور الطبيعيّه، وحتى الكائنات غير المرئيه –مثل الجن – تحت أمره وسيطرته بإذن الله تعالى.

۴. أفعال المسيح الخارقه للعاده

نسب القرآن الكريم بعض التصـرّفات الخـارقه للعاده للسـيّد المسـيح (ع) ، وأشار إلى أنّ جميع هـذه التصـرّفات ناشـئه من القوّه الباطنيّه للسيّد المسيح وإرادته المباشره، فقال تعالى على لسان حاله:

(. . . أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَهِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ وأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ. . .) (آل عمران:۴۹) .

وفى الآيات التاليه نسب السيّد المسيح لنفسه القدره على القيام بالأعمال التاليّه:

۱– خلق هيئه الطير من الطين.

۲– النفخ فى الهيئه المخلوقه من الطين فتكون طيراً حيّاً.

۳– إبراء الأكمه.

۴– إبراء الأبرص.

۵– إحياء الموتى.

وينسب السـيّد المسـيح هـذه الأفعـال إلى نفسه، ويرى أنّه الفاعـل لهـا، لاـ أنّه يطلب من الله فيسـتجيب الله دعـاءه ويقوم الله بهـذه الأمور، بل إنّ السـيّد المسيح هو الذى يقوم بهذه الأمور، ولكن بإذن الله؛ ولهذا يقول: إنّى أخلق. . . أنفخ. . . أبرئ. . . أحيى. . . بإذن الله.

ص: ۳۵

ويا تُرى هل هذا الإذن لفظى؟

الجواب: لا شكّ فى هـذا الإذن ليس لفظياً، بل هو إذنٌ باطنىٌّ أى: أنّه تعالى يمنح عبده من الكمال والقوّه بحيث يمتلك القدره على إنجاز أمور خارقه للعاده.

والشاهد على ذلك أنّ البشريّه كافه تحتاج فی تحقّق جميع أمورها إلی إذن الله تعالی، ولا يمكنها القيام بأیّ تصرّف إلّا فی رحاب هذا الإذن، وإذن الله عباره عن أنّه تعالی يمكّن الفاعل من القيام بأمور خارقه للعاده بقدرته ورحمه.

وإذا كان السيّد المسيح فی هذه الآيه ينسب هذه الأفعال الخارقه للعاده إلی نفسه، فإنّ الله تعالی أيضاً ينسبها إليه فی آيه أخری، حيث قال:

(وإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَهِ الطَّيْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِی وتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ بِإِذْنِی وإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتی بِإِذْنِی) (المائده: ١١٠) .

ويرجی المزيد من التأمل فی مضمون هذه الآيه؛ ليّتضح من هو الفاعل لهذه الأمور.

فالله عزّوجلّ لم يقل: أنا أخلق، أنا أبریء، أو أنا أخرج الموتی، بل قال تعالی: (إِذْ تَخْلُقُ) ، (وتُبْرِئُ) و (إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتی) ، أی: أنت أيّها المسيح تخلق وتبریء وتُخرج الموتی، وهل هناك تصريحٌ أفصح من هذا الكلام؟ !

ولكن مع ذلك، فالقرآن الكريم يصرّح بعدم استقلال الإنسان فی القيام بأعماله، ويؤكّد علی بطلان عقائد المعتزله والثنويّه الذين يزعمون أنّ الإنسان لا يحتاج فی أفعاله إلی الله، ويقولون إنّه يقوم بأفعاله وتصرّفاته بنحو مستقلٍّ ولا حاجه له إلی الله؛ ولهذا نجد السيّد المسيح يقيّد جميع أفعاله بإذن الله، ويراعی فی هذا المقام التوحيد فی الأفعال.

ص: ٣٦

الولايه التكوينيّه ومسأله الغلوّ

يتصوّر البعض بأنّ الاعتقاد بالولايه التكوينيّه سببٌ للغلوّ فی مقام الأنبياء والأوصياء؛ ولكن هذه العقيده لا صله لها بالغلو أبداً.

المغالی هو من يدّعی أنّ لعباد الله مقاماً أرفع من مقام العبوديّه، وينسب إليهم صفات الله تعالی وأفعاله؛ فيقول مثلاً إنّ تدبير نظام الخلقه بأيديهم، كما لو ادّعی شخصٌ أن الإمام هو الخالق وهو الرازق وهو المحيی وهو المميت، أی له اختيارٌ مطلقٌ فی ذلك. فهذا هو الغلوّ الذی يستتبع الكفر بالله عزّ وجلّ.

فالواقع أنّ الغلو يعنی الاعتقاد بأُلوهيّه غير الله تعالی أو الاعتقاد بأن عباده هم مبدأ أفعاله. (١)

وهذا ما لا نجده فی الاعتقاد بالولايه التكوينيّه لبعض العباد، فمن يمتلك الولايه التكوينيّه لا يكون إلهاً عن طريق امتلاكه لهذه الولايه، بل يبقی عبداً لله تعالی، وإنّما يكون ممّن مكّنه الله للقيام ببعض التصرّفات الخارقه للعاده بإذنه. ومن يمتلك الولايه التكوينيّه لا نعتقد بأنّه يقوم بهذه الأفعال علی نحوالاستقلال، وإنّما يقوم بها بإذن الله.

فمن يعتقد بولايتهم التكوينيّه لا يعتقد أنّهم آلهه ولا يعتقد أنّهم يعملون بهذه الولايه علی نحوالاستقلال ومن دون إذن الله، بل يؤمن بأنّهم عباد مكرّمون تمكّنوا فی ظلّ تقرّبهم إلی الله أن ينالوا منه القدره التی تتيح لهم -بإذن الله – التصرّف فی الكون من أجل الإرشاد والإصلاح.

وبين الاعتقاد بالولايه التكوينيّه لبعض العباد بإذن الله وبين الغلوّ بون

١- أفعال الله تعالى تعنى أنه مستقلٌّ فى فعلها ولا يحتاج إلى غيره فى القيام بها، سواءٌ أكان هذا الفعل طبيعيّاً أم خارقاً للعاده. .

ص: ٣٧

شاسع ومسافه كبيره ولا يوجد أىّ تشابه بينهما؛ وإذا مكّن الله أحد عباده من القيام ببعض التصرّفات الخارقه للعاده من أجل إرشاد الناس، فهذا لا يعنى أنّه تعالى فَقَدَ شيئاً من قدرته، أو أنّ ذلك العبد خطا خطوه تجاوز فيها مقام العبوديّه.

وما يمتلكه الإنسان الكامل من الله يشبه ما يمتلكه الابن من أبيه، حينما يعمل فى متجره، أو كالوكيل الذى يعمل برأس مال موكله.

وقدره الإنسان الذى يمكّنه الله من الولايه التكوينيّه هى من الله، ولايقوم صاحب هذه الولايه بأىّ فعلٍ إلّا بإذن الله.

فأين يكون الشرك فى هذا المقام؟ !

وهل فيه ماينا فى التوحيد؟ !

بل هذا عين التوحيد. ألم يمكّن الله الملائكه من إنزال العذاب على بعض الأُمم؟ !

فهل الاعتقاد بتمكّن الملائكه من إنزال هذا العذاب يستلزم الش-رك بالله تعالى؟ !

إذن، إذا مكّن الله أحد عباده من الولايه التكوينيّه، فإنّ هذا التمكين لايوجب أبداً شيئاً من النقص لله عزّ وجلّ، ولا يوجب قَطُّ خروج الله تعالى من سلطانه، فلا توجد أيّه صله بين الاعتقاد بهذا التمكين الذى هو من الله عزّ وجلّ وبين الشرك أبداً.

٢- التوسّل بأولياء الله

اشاره

هل أنّ التوسّل بأولياء الله جائزٌ؟ وهل هناك ما يؤيّده فى الكتاب والسنّه؟

للإجابه على ما ذكر نقول: إنّ التوسّل بأولياء الله يعدّ نوعاً من أنواع

ص: ٣٨

التمسك بالوسيله التى دعا إليها القرآن الكريم، وقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يبتغوا إليه الوسيله، فقال تعالى:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَهَ وجاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائده: ٣٥) .

والجدير بالاهتمام فى هذا المقام هو معرفه المقصود من ابتغاء الوسيله، وكلّ من يتدبّر فى هذه الآيه، فإنّه يجد بأنّ المقصود هو البحث عن الأسباب التى تقرّب العبد إلى الله تعالى، والأسباب فى هذا الصعيد مختلفه، منها:

١. أداء الفرائض

أداء الفرائض يعدّ أحد الأسباب التى تقرّب الإنسان إلى الله تعالى، وقد قال أميرالمؤمنين (ع) :

إنّ أفضل ما توسَّل به المتوسِّلون إلى الله سبحانه وتعالى، الإيمان به وبرسوله، والجهاد فى سبيله. . . وإقام الصلاه فانّها الملّه وإيتاء الزكاه. . . . (١)

٢. التوسّل بأسماء الله تعالى وصفاته

من التوسّل أن يدعو الإنسان ربّه بأسمائه الحسنى وصفاته، وهذا النمط من التوسّل واضح جدّاً فى الأحاديث الش-ريفه، ولا سيّما فى أدعيّه أهل البيت (عليهم السلام) .

ونكتفى فى هذا المقام بالإشاره إلى حديثين:

ألف) نقل الترمذى فى سننه، عن عبدالله بن بريده الأسلمى، قال: سمع النبى (ص) رجلًا يدعو وهو يقول: اللّهم، إنّى أسألك بأنّى أشهد أنّك أنت الله

١- نهج البلاغه، خطبه ١١٠. .

لا إله إلا أنت الأحد الصّمد الّذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. . . .

فقال (ص) :

«لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب، وإذا سُئل به أعطى» . (١)

ب) ورد فى الدعاء المروى عن الإمام الباقر والإمام الصادق (ع) المعروف ب-: دعاء السمات:

اللهم، إنّى أسألك باسمك العظيم الأعظم الأعزّ الأجل الأكرم، الذى إذا دُعيت به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمه انفتحت، وإذا دُعيت به على مضائق أبواب الأرض للفرج انفرجت، وإذا دعيت به على الع-سر لليسر تيسّرت. . . . (٢)

ويعدّ دعاء الجوشن الكبير النموذج البارز لهذا النوع من التوسّل، وهو دعاء نقرؤه فى ليالى القدر.

٣. التوسّل بالقرآن الكريم

من طرق التوسّل أن يقرأ الإنسان القرآن، ويطلب بوسيلته حاجاته من الله تعالى، وهذا النمط من التوسّل فى الواقع هو التوسّل بفعل الله؛ لأنّ القرآن كلام الله الذى أنزله على قلب الرسول (ص) .

وقد نقل أحمد بن حنبل عن عمران بن حصين بأنّ الرسول (ص) قال:

«اقرؤوا القرآن وسلوا الله تبارك وتعالى به من قبل أن يجىءَ قوم يسألون الناس به» . (۳)

۱- سنن الترمذى، ج ۵، ص ۵۱۵.
۲- مصباح المتهجّد، الشيخ الطوسى، ص ۳۷۴.
۳- مسند أحمد، ج ۴، ص ۴۴۵. .

والتأمّل فى هذا الحديث يكشف لنا جواز التوسل بأىّ شىء له منزله وكرامه عند الله تعالى، ولهذا يُستحبُّ فى ليالى القدر أن يفتح الإنسان القرآن ويقرأ هذا الدعاء:

«اللهم، إنّى اسألك بكتابك المنزل وما فيه، وفيه اسمك الأعظم الأكبر وأسماؤك الحسنى» . (۱)

۴. التوسّل بدعاء المؤمن

من أسباب التوسّل ونيل مغفره الله أن يطلب الإنسان من أخيه المؤمن أن يدعوله، وهذا النمط من التوسّل قد اتّفق على جوازه جميع موحّدى العالم، ويكفينا فى هذا المجال العلم بأنّ حمله العرش: (يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) (الغافر: ۷) .

ولا يقتصر هذا الاستغفار على الملائكه، بل المؤمنون أيضاً يستغفرون لمن سبقوهم بالايمان: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ولِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ) (الحشر: ۱۰) .

وقد طلب رسول الله من أمّته أن تدعو له، فقال (ص) :

«اسألوا الله لى الوسيله، فإنّها درجه فى أعلى الجنّه لا ينالها إلّا رجل، وأرجوا أن أكون أنا» . (۲)

وقال (ص) أيضاً:

«سلوا الله لى الوسيله المنزله العليه، فإنّه لا يسألها لى عبد مسلم فى الدنيا إلّا كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامه» . (۳)

۱- الإقبال الأعمال، ابن طاووس، ص ۴۱.
۲- مسند أحمد، ج ۲، ص ۳۶۵.
۳- فيض القدير، ج ۴، ص ۱۱۴؛ مستدرک بحار الأنوار، ج ۴، ص ۶۱. .

ص: ۴۱

۵. التوسّل بدعاء النبی (ص) فی حیاته

إنّ رسول الله (ص) هو أشرف الخلق وأکرمهم عند الله، وقد أشار القرآن الکریم إلی منزلته الرفیعه، ولا ـ یسعنا المقام هنا ذکر الآیات التی وردت فی هذا الصدد.

ویکفینا لمعرفه منزله الرسول (ص) أن نعلم بأنّ الله تعالی جعله وقایه للناس من نزول العذاب علیهم وهو (ص) فیهم، فقال تعالی:

(وما کانَ اللهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِیهِمْ وما کانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ یَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال: ۳۳) .

وما یدلّ علی عظمه نبیّنا الکریم أنّ الله تعالی قَرَن اسمه باسمه وجعل طاعته طاعهً له، فقال:

(ومَنْ یُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِیماً) (الأحزاب: ۷۱) .

فهاتان الآیتان والآیات الأخری تحکی عن عظمه رسول الله (ص) وعُلوَّ مکانه عند الله تعالی، وهذه المکانه لا نظیر لها فی الکون لذلک فإنّه تعالی لایردّ دعاءه، ولهذا أمر الله عزّ وجلّ المذنبین أن یقصدوا الرسول (ص) ویطلبوا منه أن یستغفر لهم، فقال:

(ولَوأَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُوکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِیماً) (النساء: ۶۴) .

بل أکثر من ذلک، فقد أکّد الله عزّوجلّ علی أنّ الاستنکاف عن طلب الاستغفار من الرسول من علامات النفاق، فقال:

(وإِذا قِیلَ لَهُمْ تَعالَوْا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ ورَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ وهُمْ مُسْتَکْبِرُونَ) (المنافقون: ۵) .

ص: ۴۲

ویُستفاد من بعض الآیات القرآنیّه بأنّ دأب الأمم السابقه أیضاً کان اللجوء إلی الأنبیاء وطلب الاستغفار منهم، کما فعل أبناء یعقوب، حیث قصدوه وطلبوا منه أن یستغفر لهم، فقالوا له:

(یا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنَّا کُنَّا خاطِئِینَ * قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَکُمْ رَبِّی إِنَّهُ هو الْغَفُورُ الرَّحِیمُ) (یوسف: ۹۷ و ۹۸) .

ولا یوجد أیّ مجال للاعتراض علی هذا النمط من التوسّل، ولم نجد أیضاً أیّ مخالف فی هذا الصعید.

الأمر الذی یحوز أهمیّهً فی هذا المقام هو أنّ المکانه المقدّسه التی یمتلکها الأنبیاء هی الوسیله التی تجعل دعاءهم أقرب للاستجابه، وهذا الأمر هو الذی یحفّز الآخرین علی طلب الدعاء منهم.

۶. التوسّل بدعاء النبی بعد رحیله

اشاره

تثبت الأدلّه بأنّ الإنسان الصّالح حيّ عند الله فی حیاته البرزخيّه، ويمكن الاتّصال به ولا يوجد فرق فی طلب الدعاء من هكذا شخص سواء فی حياته الدنيويّه أم فی حیاته البرزخيّه.

ومن هذا المنطلق فإنّ طلب الاستغفار من الرسول مع لحاظ قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً) (النساء: ۶۴) ، شاملٌ لطلب الاستغفار من الرسول فی حياته وبعد رحيله.

ولا شكّ فإنّ دعاء الرسول (ص) أقرب للاستجابه من دعاء غيره وذلك لنقاء روحه و طهاره نفسه ولقربه (ص) من الله عزّ وجلّ.

وكما يجوز للعباد طلب الدعاء من الرسول فی حياته، كذلك يجوز لهم

ص: ۴۳

طلب ذلك بعد رحيله؛ لأنّ الرسول بعد وفاته أيضاً حيّ عند ربّه ولا يوجد فرق بين حياته الدنيويّه وحياته البرزخيّه.

والشاهد على أنّ هذه الآيه لا تختصّ بحياه الرسول الدنيويّه، هو أنّ سيره المسلمين منذ عصر الصحابه والتابعين وإلى يومنا هذا هی الالتجاء إلى قبر الرسول (ص) مع الاعتقاد بأنّ هذا القبر هو باب رحمه الله المفتوح. إذ يقصده الزّوار ويؤدّون التحيه له ويصلّون عليه، ثمّ يتلون هذه الآيه ويطلبون منه أن يستغفر لهم، فكل من يقصد قبر الرسول (ص) يجدّ زوّار قبره على هذه الحاله.

ومن أقوال كبار أهل السنّه حول هذه الآيه وطلب الدعاء من الرسول والتوسّل به بعد رحيله مايلی:

۱- محيی الدين النووی، وهو من كبار محدّثی أهل السنّه وهو الشارح لصحيح مسلم، كتب مايلی:

. . . ثمّ يرجع الزائر إلى موقفه الأوّل قباله وجه رسول الله (ص) ويتوسّل به فی حقّ نفسه أو يستشفع به إلى ربّه سبحانه وتعالى، ومِنْ أحسن ما يقول الزائر ما حكاه الماوردی والقاضی أبوالطيب وسائر أصحابنا عن العتبی مستحسنين له. (۱)

وقال العتبی إنَّه كان عند قبر الرسول (ص) ذات يوم فجاء زائر ووقف أمام القبر، وقال: «السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: (إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً) ، وقد جئتك مستغفراً من ذنبی مستشفعاً بك إلى ربّی» . (۲)

۲- وذكر ابن قدامه صاحب كتاب المغنی فی موضوع آداب زياره

۱- المجموع، شرح مهذّب الشيرازی و شرح صحيح مسلم، لمحيی الدين النووی، ج ۸، ص ۲۵۶.
۲- المصدر نفسه. .

ص: ۴۴

الرسول (ص) مسأله استحباب زياره قبر الرسول (ص) ونقل عنه أنّه قال:

«ما من أحد يسلّم علىّ. . . حتّى أرد عليه السلام» . ثمّ أشار إلى القصه التى ذكرها العتبى وأوردها النووى فى كتابه المجموع، وكان هدفه من نقل هذه القصّه بيان استحباب زياره الرسول (ص) بهذه الطريقه.

٣- أشار الغزالى ٥٠٥ه، فى القسم الخاصّ بفضيله زياره المدينه وكيفيّه زيارته (ص) ، فقال فى آداب زياره قبر الرسول (ص) :

يقف عند الرأس مستقبل القبله. . . وليحمد الله عزّ وجلّ وليسجده، وليكثر من الصلاه على رسول الله (ص) ، ثمّ يقول: (ولَوأَنَّهُمْ. .).

اللّهم، إنّا سمعنا قولك، وأطعنا أمرك وقصدنا نبيّك، مستشفعين به إليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا. (١)

وهناك الكثير من علماء السنّه يؤيّدون قول من تقدّم ذكرهم، وفيهم من أكّد على جواز ذلك ولكنّنا لم نذكر أقوالهم مراعاةً للاختصار.

أسئله حول التوسّل

اشاره

من الأعمال التى يؤدّيها المسلمون و ينتقدها الوهابيّون عند قبر الرسول أو فى أماكن أخرى، هى التوسّل. ويعترض الوهابيّون على المسلمين إزاء هذا الأمر، وهذا ما سنتطرّق الى بيانه فى هذا المقام.

١- هل الدعاء من الميّت عباده له؟

يعتقد الوهابيون بجواز طلب الدعاء ممّن كان حيّاً وقادراً على إنجاز ما يُطلب منه، ولا يعتقدون بأنّ هذا التوسّل عباده له، ولكنهّم يعتدون بأنّ

١- إحياء العلوم، ج ١، ص ٢٥٩. .

طلب الدعاء من الميت الذى لا يمتلك القدره على إنجاز ما يُطلب منه أو طلب أىّ شىء منه يعدّ نوع من أنواع العباده له، ويكون المتوسّل أو صاحب الطلب مشركاً.

الجواب: أوّلاً : إنّ الحياه والممات لا يعتبران معياراً للعباده أو التوحيد والشرك، ويا ترى كيف يكون التوسّل بدعاء الحىّ عين التوحيد؟ ولكنّه يكون من الشخص بعد وفاته عين الشرك؟ ! فى حين أنّ حقيقه هذا العمل واحده، ولا فرق فى أنّ التوسّل بالدعاء فى الحاله الأولى يكون موجّهاً إلى شخص على قيد الحياه، والتوسّل بالدعاء فى الحاله الثانيه يكون موجّهاً إلى شخص

فارق الحياه.

ولا يوجد موحّد قطٌّ يعدّ الحياه والممات معياراً للتوحيد والش-رك، نعم، الحياه والممات يمكن أن يكونا معياراً لتحقّق الفائده من التوسّل بالدعاء أو عدم وجود الفائده من ذلك، ولكن هذا الأمر لا صله له بمسأله التوحيد والشرك.

ثانياً : أساس استدلال الذين يعتقدون بأنّ طلب الدعاءمن الميّت شركٌ، هو اعتقادهم بأنّ موت الأنبياء والأولياء نهايه لحياتهم، حيث لا يعتقدون بوجود الحياه البرزخيّه بعد الموت. ولكن لا يخفى على أحد بأنّ الأنبياء والأولياء والشهداء، وحتّى المجرمين أحياء عند ربّهم بعد مفارقه أرواحهم الدنيا.

ثالثاً : إنّما الدعاء أو الطلب يكون شركاً عندما يعتقد الداعى بنوع من الألوهيّه أو الربوبيّته، أو التفويض لمن يتوجّه إليه بالدعاء، وفى هذه الحاله يمكن اعتبار هذا الدعاء والطلب نوع من أنواع العباده للحى أو الميت.

ص: ۴۶

ولكن التوسّل بالدعاء من الغير، مع الاعتقاد بأنّه من عبادالله المقرّبين، وأنّه تعالى يستجيب له، لا صله له بالشرك أبداً، وجميع المسلمين يعتقدون بأنّ الرسول (ص) عبدٌ لله تعالى، ولا يعتقد أحد عندما يطلب من الرسول شيئاً، أنَّه إله، أو ربّ، أو أنّه يستجيب لدعاء الناس من دون إذن الله تعالى.

۲– أليس طلب الدعاء من الميت عديم الفائده؟ !

يعتقد البعض بأنّ الميّت عاجز عن تلبيه طلب من يتوسّل به، ولهذا يكون طلب الدعاء من هكذا شخص عملاً عبثيّاً ولا فائده فيه.

الجواب : هذا السؤال يعكس الرؤيه الماديه التى يؤمن أتباعها بأنّ موت الأولياء نهايه لحياتهم، ولا حياه برزخيّه لهم.

ولكن الواقع ليس كذلك، فأولياء الله أحياء عند ربّهم فى عالم البرزخ، وهم يسمعون كلامنا ولا تنقطع صلتهم بنا، ولهذا يكون التوسّل بدعائهم أمراً عقلائيّاً وليس لغواً أو عبثاً؛ ولكن هل يلبّى هؤلاء طلبنا أو لا؟

فهذه مسأله ترتبط بحاله مقدّم الطلب وموضوع الطلب.

۳– هل هناك حاجز بيننا وبين من فارقت أرواحهم الحياه؟

يعتقد البعض بوجود حاجز بيننا وبين من فارقت أرواحهم الحياه الدنيا، وهذا الحاجز يمنعنا من الاتّصال بهم، بدليل قوله تعالى:

(ومِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون: ۱۰۰) .

الجواب : البرزخ فى اللغه العربيّه، يعنى الحائل والمانع.

ولكنّ هـذا الحائل يرتبط بعوده الأموات مرّه أخرى إلى الحياه الـدنيا مباشـره بعد وفاتهم. فالبرزخ لا يعنى وجود مانعٍ يحول دون ارتباط الأحياء

ص: ۴۷

بأرواح الأموات، ودليل ذلک قوله تعالى:

(حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هو قائِلُها) (المؤمنون: ۹۹ و ۱۰۰) .

أمّا بالنسبه إلى عوده المذنبين بعد وفاتهم إلى الحياه الدنيا لتدارک ما فات، قال تعالى:

(ومِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) .

إذن: الحائل يعنى المنع من العوده إلى الدنيا، ولا يعنى المنع من ارتباط الأحياء بالأموات أو الاطلاع على أحوالهم.

۳- طلب الشفاعه من أولياء الله

السؤال الذى يُطرح هنا هو : ألا يعدّ طلب الشفاعه من الأولياء عبادةً لهم وشركاً بالله تعالى؟

الجواب : الاعتقاد بشـفاعه أولياء الله فى يوم القيامه يعتبر أصـلًا من أصول العقيـده الإسـلاميّه التى لا يشکّ أحدٌ بها، أتباع جميع المذاهب الاسـلاميّه يعتقدون بشـفاعه الأنبياء فى يوم القيامه، ولا سيّما خاتم الأنبياء (ص) . والاختلاف الوحيد الذى نشأ بعد ابن تيميّه فى القرن الثامن، وبعـد محمّد بن عبدالوهاب فى منتصف القرن الثانى عشـر، هو أنّه هل يصحّ فى هذه الدنيا طلب الشـفاعه ممّن ثبت فى القرآن والسـنّه القطعيّه صـحّه شـفاعتهم يوم القيامه؟ وهل يصـحّ مخاطبه كلّ واحـد منهم بقولنا: يا وجيها عنـد الله، اشفع لنا عند الله؟

وقـد اتفقت آراء جميع علماء الـدين على صـحّه طلب الشـفاعه من أصـحابها، ما عدا ابن تيميّه وابن عبدالوهاب، حيث ذهبا إلى بطلان طلب

ص: ۴۸

الشفاعه من أهلها، وادّعيا أنّ الجائز فقط هو قولنا: اللهمّ اجعل النبىّ شفيعاً لى.

وسنعرض هذه المسأله على كتاب الله وسنّه الرسول من أجل اكتشاف الحقيقه، كما يلى:

ما هى حقيقه طلب الشفاعه؟

اشاره

شفاعه الرسول (ص) وغيره من الشفعاء الصالحين فی يوم القيامه لا تعنی سوی طلب المغفره من الله للمذنبين من العباد، وطلب الشفاعه من أهلها –وِفْق هذا المعنی – يعنی طلب الدعاء منهم. ودعاء هؤلاء يكون حسب قربهم من الله ووجاهتهم عنده، فيستجيب لهم ويغفر للمذنبين.

ومن جهه أخری، فلا ضَير أبداً من طلب الإنسان الدعاء من أخيه المؤمن، بل من الرسول الأعظم فيتسطيع أن يخاطب رسول الله (ص) قائلاً: «يا وجيهاً عند الله، اشفع لنا عند الله» أی: يا وجيهاً عند الله، أُدع الله لنا ليغفر ذنوبنا ويكفّر عن سيئاتنا، أو يلبّی طلبنا.

و (الاستشفاع) فی الواقع يعنی طلب الشفاعه، ويعنی – كما ورد فی كتب الحديث والتفسير – طلب الدعاء، فقد خصّص البخاری فی صحيحه باباً تحت عنوان: باب إذا استشفعوا إلی الامام ليستسقی لهم لم يردّهم. (۱)

إذن، طلب الشفاعه فی الواقع، يعنی طلب الدعاء، ولا ينبغی الشكّ والترديد فی هذا المجال. ولا يخفی حسن طلب المؤمن الدعاء من أخيه المؤمن، فكيف بطلب المؤمن الدعاء من الأنبياء والأولياء؟ !

۱- صحيح البخاری، ص ۲، باب: الاستشفاع. .

ص: ۴۹

أضف إلی ذلك، فإنّ العديد من الصحابه طلبوا الشفاعه من الرسول فی زمان حياته وبعد رحيله أيضاً، ولإثبات ذلك نذكر الأمثله التاليه:

۱. حديث أنس بن مالك

نقل الترمذی – وهو أحد مؤلّفی السنن الأربعه – عن أنس بن مالك قوله: سألت النبیّ أن يشفع لی يوم القيامه؟ فقال: «أنا فاعل» . قلت: يا رسول الله، فأنّی أطلبك؟ فقال:

«اطلبنی أوّل ما تطلبنی علی الصراط» . (۱)

فأنس يعلم من منطلق فطرته بأنّ طلب الشفاعه لا تعنی سوی طلب الدعاء، ولهذا يطلب من الرسول (ص) الشفاعه، ولا يخطر بباله أنّ طلب الشفاعه شرك، كما أنّ الرسول أيضاً لم ينهاه عمّا طلب.

۲. حديث سواد بن قارب

سواد هو أحد أصحاب النبیّ (ص) ، وقد أنشد ذات يوم شعراً حول النبی (ص) وطالباً منه الشفاعه، وقال:

وكُن لی شفیعاً یوم لا ذوشفاعه

بمغن فتیلًا عن سواد بن قاربِ (۲)

۳. حدیث أبی بکر

عندما توفّی النبی (ص) أقبل أبوبکر فکشف عن وجهه، ثمّ أکبّ علیه فقبّله، وقال:

«بأبی أنت وأمی! طبت حیّاً ومیّتاً، اذکرنا یا محمّد، عند ربّک، ولنکن من بالک» . (۳)

فعباره:

«إذکرنا عند ربّک» لا تعنی: إلّا طلب الشفاعه.

۱- سنن الترمذی، ج ۴، ص ۶۲۱.
۲- الإصابه لابن حجر، ج ۲، ص ۹۵، و قد نقل هذا الطلب بطرقه الستّه.
۳- السیره الحلبیه، ج ۳، ص ۴۷۴. .

ص: ۵۰

۴. حدیث الإمام علی (ع)

رُوی أنّ علیّاً (ع) عندما ولی غسل رسول الله (ص) قال:

«بأبی أنت وأمی أذکرنا عند ربّک واجعلنا من بالک» . (۱)

۵. حدیث الغلام

رُوی عن مصعب الأسلمی أنّه قال: انطلق غلام منّا، وقال لرسول الله (ص) : إنّی سائلک سؤالاً.

قال رسول الله (ص) : «وما هو؟» .

قال: أسئلک أن تجعلنی ممّن تشفع له یوم القیامه؟

قال رسول الله (ص) : «من أمرک هذا؟» أو «من علّمک هذا؟» . أو «من دلّک علی هذا» .

قال: ما أمرنى به أحد إلّا نفسى.

قال رسول الله (ص) : «فانّک ممّن أشفع له یوم القیامه» . (٢)

والشواهد من هذا القبیل کثیره، ولکنّنا نکتفی بهذا المقدار اجتناباً للإطاله.

۴. هل القسم بالله على الأولیاء شرکٌ؟

عندما یدعو بعض الناس الله تعالى فإنهم یذکرون مقام الانبیاء والاولیاء ثمّ یقسمون علیه بحقّهم ویسألون حوائجهم، فیقولون مثلاً: اللّهم، بحقّ الرسول الأعظم (ص) اشف مرضانا. فی حین لیس لأحد حقّ على الله بتاتاً

١- مجالس المفید، المجلس ١٢؛ نهج البلاغه، خطبه ٢٣۵.
٢- مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٣۶٩. و قد نقل قضایا کثیره مشابهه لهذه القضیّه. .

لیقسم علیه به.

لتوضیح ذلک نقول : المقصود من الحقّ هنا المنزله العلیا التی یمتلکها الأنبیاء والأولیاء عند الله تعالى، وإذا کانت هذه المنزله حقّاً، فقد منحه الله تعالى لهم، وهذا القول هو عین التوحید؛ لأنّ الله تعالى بیّن فی القرآن الکریم بأنّ له على بعض عباده حقّاً ألزم نفسه القیام به، منها قوله: (وکانَ حَقًّا عَلَیْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِینَ) (الروم: ۴٧) .

وورد فی الحدیث عن رسول الله (ص) أنّه قال:

«حقّ على الله عون من نکح التماس العفاف عمّا حرم الله» . (١)

ولو راجعنا الآیات القرآنیّه والأحادیث الش-ریفه، فسنلاحظ أنّ مسأله وجود حقوق للعباد على الله أمر شائع فیها.

وعندما نقول لیس لأحد حقّ على الله تعالى، فالمقصود لیس لأحد حقّ بالذات علیه، ولکن هذا الأمر لا یمنع من أن یتفضّل على العباد ویجعل على نفسه حقّاً لهم، بل قد یصل الأمر إلى أنّه تعالى یملّکهم، ثمّ یستقرض منهم، کقوله تعالى:

(مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً) (الحدید: ١١) .

وقد علّمنا الرسول (ص) أن نتوسّل إلى الله به، ونقول: «اللّهم. إنّی أسألک وأتوجّه إلیک بنبیّک محمّد (ص) نبی الرحمه. . .» ، وکلمه «بنبیک» جار ومجرور متعلقه بفعل «أسألک» ، وفعل «أتوجّه إلیک» ، ومعنى العباره التوسّل إلى الله بمنزله الرسول (ص) وبالحقّ الذی جعله الله على نفسه لرسوله (ص) .

وقد قال الرسول (ص) عند دفن فاطمه بنت أسد:

١- الجامع الصغير للسيوطى، ص ٣٣. .

ص: ٥٢

«اللّهم. . . ، اغفر لامّى فاطمه بنت أسد. . . وأوسع عليها مدخلها، بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلى» . (١)

وقـد ورد هذا النوع من القَسم على الله بحقّ الأولياء فى الصـحيفه السـجاديّه والأدعيه الأخرى المرويّه عن أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) . وللاطّلاع أكثر، يمكن مراجعه هذه المصادر والتعرّف على هذه النصوص.

۵. النَّذرُ لغير الله

إنّ الشيعه وغيرهم من المسلمين ينذرون لأولياء الله ويقولون على سبيل المثال:

ننذر هذه الشاه لرسول الله (ص) ، أو للإمام الحسين (ع) ، فى حين أنّ النذر لغير الله غير جائز.

لبيان ذلك نقول : النذر لغير الله على قسمين، كمايلى:

أ) النذر لعباد الله من أجل التقرّب اليهم ونيل رضاهم من دون الالتفات إلى رضا الله عزّ وجل.

لاشكّ فى أنّ هذا التصرّف نوع من أنواع الش-رك، وهو بمثابه عباده الأصنام.

ب) النـذر لأولياء الله من أجل التقرّب بهـذا العمل إلى الله تعالى ونيل رضاه، فيصـرف هـذا النذر فى موارد يرتضـيها الله، ويكون ثواب هذا العمل هديه لأحد أولياء الله.

ولا شكّ فى أنّ النذر بهذا القصد وبهذه النيّه الطاهره أمر حسن وممدوح.

١- مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٠٨؛ حليه الأولياء، ج ٣، ص ١٢١؛ الاستيعاب فى حاشيه الإصابه، ج ۴، ص٣٨٢. .

ص: ۵٣

ويسَبّب فى حدوث التباسٍ فى هذا المجال هو تشابه التعبيرين المذكورين فى مقام النذر.

وبما أنّ النـذر أمر عباديّ، لـذا يجب أن يكون من أجل التقرّب إلى الله تعالى، وعلى (الناذر) أن يكون قصـده على سبيل المثال: أتعهّـد من أجل نيل رضا الله والتقرّب إليه تعالى أن أذبح شاه وأطعمها للفقراء، وأبعث ثواب ذلك للرسول (ص) فيما لو تحقّقت حاجتى.

وهذه هی الصیغه الصحیحه للنذر.

ولکن الطریقه عند معظم الناس غیر واضحه، أوأنّهم یُجرون صیغه النذر مراعاه للاختصار بقولهم: هذا للنبیّ، أو نذرت هذا للنبیّ (ص) .

وعموماً فإن مضمون السؤال هو کون النذر لغیر الله باطلًا، ویجب أن یکون النذر لله فقط.

والجواب هو أنّ (اللام) فی عباره (لله علیّ) للتقرّب کما ورد فی القرآن الکریم: (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنی وفُرادی) (سبأ: ۴۶) .

ولکن اللام فی (للنبیّ) لام (الانتفاع) ، کما ورد فی القرآن الکریم: (إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ والْمَساکِینِ) (التوبه: ۶۰) .

ومن هنا یتّضح وجود الفرق الجوهری بین عمل الموحّدین وعمل المشرکین، فالمشرکون یقدمون قرابینهم باسم الأصنام ومن أجل التقرّب إلیها، وقد ورد فی هذا المجال: (وما ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ وأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِکُمْ فِسْقٌ) (المائده: ۵) .

ولکن الموحّدین ینذرون لله ویذکرون اسمه، وإنّما یهدون ثواب عملهم الحسن هذا إلی الأولیاء ویتقرّبون بهذه الطریقه إلی الله عزّ وجلّ.

رُوی أنّ شخصاً سأل النبیّ (ص) قائلًا: یا نبی الله، إنّ امّی قد اُفتُلِتَتْ،

ص: ۵۴

وأعلم أنّها لوعاشت لتصدّقت، أفإن تصدّقت عنها أینفعها ذلک؟ قال: «نعم» .

فسأل النبیَّ (ص) : أیّ الصدقه أنفع یا رسول الله؟ قال (ص) : «الماء» .

فحفر بئراً، وقال: هذه لأمّ سعد.

فهذه اللّام هی الداخله علی الجهه التی وجّهت إلیها الصدقه لا علی المعبود المتقرّب إلیه. (۱)

فاللّام هنا هی لام الانتفاع، ولیست لام التقرّب.

وأصل النذر هو ذبح شاه - علی سبیل المثال - وإهداء ثواب ذلک إلی الرسول (ص) ، والتقرّب إلی الله بهذه الهدیه التی یقدّمها الناذر للرسول (ص) والرجاء منه تعالی أن یجازیه إزاءها بشفاء المریض الذی نذر لشفائه.

۶. الاحتفال بموالید أولیاء الله وإقامه المآتم لهم

اشاره

السؤال الـذى يُطرح هنـا هو : الاحتفـال بمواليـد أوليـاء الله أمر مسـتحدث ولم يكن متعارفـاً فى عصـر الصـحابه، فمـا هو المسوّغ الشرعى لإقامه لذلک؟

الجواب : التأريخ يشهد بأنّ السلف من المسلمين كانوا يحتفلون فى يوم ولاده الرسول (ص) فى كلّ عام، وكان الخطباء يقرؤون المدائح للرسول، ومبدأ هذه الاحتفالات غير واضح بصوره دقيقه، ولكن المتيقّن أنّها تعود لمئآت السنين، حيث كانت سائده فى البلاد الإسلاميّه.

قال أحمد بن محمّد المعروف بالقسـطلانى ٩٢ه، وهو من العلمـاء المشـهورين فى القرن التـاسع، حول الاحتفالات التى تقام أيّام ولاده الرسول (ص) :

١- فرقان القرآن، ص ١٣٣. .

ص: ۵۵

ولا زال أهل الإسـلام يحتفلون بشـهر مولـده (ص) ، يعملون الولائم، ويتصـدّقون فى لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون الس-رور ويزيـدون المبرّات، ويعتنون بقراءه مولـده الكريم، ويظهر عليهم من بركـاته كلّ فضل عميم. . . فرحم الله امرءاً اتّخـذ ليالى شـهر مولده المبارک أعياداً ليكون أشدّ علّه على من فى قلبه مرض وأعياه داء. (١)

وقال الحسين بن محمّد بن الحسن المعروف بالديار بكرى فى ٩۶٠ه، وهو من قضاه مكّه:

لا يزال أهل الإسـلام يحتفلون بشهر مولده ويتصدّقون فى لياله بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور ويزيدون فى المبرّات ويعتنون بقراءه مولده الشريف، ويظهر عليهم من كراماته كلّ فضل عظيم. (٢)

وهـاذان النصّيان الـذان يعود تأريخهمـا إلى القرن العاشـر يثبتـان أنّ الاحتفـال فى يوم ولاده أولياء الله له جـذورٌ عريقهٌ فى تأريخ الإسـلام، وكان علماء المسـلمين يؤيّدونها، وكان الاحتفال بيوم ولاده الرسول (ص) عندهم مصداقاً لإظهار محبّتهم ومودّتهم له وأما الدليل الشرعى لهذه الاحتفالات، فهو مايلى:

إجلال الرسول (ص) أصلٌ من أصول الإسلام

أمرنـا القرآن الكريم بمودّه الرسول (ص) ، وهـذا مـا لاـ يمكن إنكاره أو التشـكيک فى صـحّته، وليس الاحتفال بمولـد الرسول (ص) إلّا مصداقاً لتجسيد هذه المودّه. ونكتفى هنا بذكر آيتين فى هذا المقام، كما يلى:

١- (قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وأَبْناؤُكُمْ وإِخْوانُكُمْ وأَزْواجُكُمْ وعَشِيرَتُكُمْ

١- المواهب اللدنيّه، ج ١، ص ٢٧.

٢- تاريخ الخميس، ج ١، ص ٣٢٣. .

ص: ۵۶

وأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وتِجارَهٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها ومَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ وجِهادٍ فِی سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّی يَأْتِیَ اللهُ بِأَمْرِهِ واللهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ) (التوبه: ۲۴) .

وتثبت هـذه الآيه بوضوح أنّ محبّه الله ومحبّه الرسول هما شـیءٌ واحدٌ، وهما من الواجبات الإلهيّه. فهذه المحبّه هی تمهيد للعمل بشريعه الرسول وأحكام دينه، أی أنّ العمل بالشريعه يكون فی ضوء محبّه النبیّ (ص) .

۲. وصـف الله تعـالی المـؤمنين فی آيه أخری بقوله: (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وعَزَّرُوهُ ونَصَرُوهُ واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف: ۱۵۷) .

وتتضمّن هذه الآيه أربعه أوامر للمسلمين، هی:

۱. آمنوا به.

۲. عزّروه.

۳. نصروه.

۴. اتبعوا النور الذی أنزل معه.

ومع لحـاظ هـاتين الآـيتين اللتين ورد فيهما الأمر بمحبّه الرسول (ص) وإجلاله واعتُبر ذلك من الفرائض، يطرح هـذه السؤال: ألا يكون إجتماع المسلمين فی يوم ولاده الرسول (ص) مصداقاً للعمل بهاتين الآيتين؟ !

لا شكّ فی أنّ الجواب: نعم.

وكـلّ من يزور هـذه المجـالس يجـد فيهـا التجسـيد الواضـح لإظهار المودّه والمحبّه والاجلال والتعظيم للرسول (ص) . ومن هنا نستنتج بأنّ لعمل المسلمين هذا جذوراً قرآنيّهً، وهو بعيد كلّ البعد عن البدعه، وإذا كان مستحدثاً، فليس كلّ مستحدث بدعه.

ص: ۵۷

وكيف يكون هـذا العمل بدعه وهو يسـتمدّ، مش-روعيّته من القرآن والسـنّه؟ ! وقد قال تعالی فی سوره الانشـراح حول الرسول (ص) : (ورَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ) (الانشراح: ۴) .

وهـذا مـا يكشـف بـأنّ من نِعَم الله علی رسوله أنّه تعـالی رفع ذكره، ومن مصـاديق رفع ذكر الرسول (ص) هو الاحتفـال بمولـده وإقـامه المجالس المعبّره عن الفرح والسـرور والبعيـده عن اللهو والمعاصـی. والإجتماع فی يوم مولـده من أجل رفع ذكره (ص) والتذكير بالمبادئ والقيم التی دعا الناس إليها.

وقد جعل السيّد المسيح اليوم الذى أنزل الله عليه وأصحابه مائده من السماء عيداً لاتباعه كافه، وقال: (رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وآخِرِنا وآيَةً مِنْكَ وارْزُقْنا وأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (المائده: ۱۱۴) .

وإذا كان يوم نزول المائده، وهى نعمه محدوده وعابره، يستحقّ أن يكون عيداً فى كلّ عام لأتباع السيّد المسيح؛ فكيف لا يكون مولد الرسول (ص) أو يوم المبعث، وهو نعمه عظمى وخالده من الله للبشريه، مستحقّاً ليكون يوم عيد وسرور للمسلمين فى كلّ عام؟ !

إذن، مبادره المسلمين بعقد مجالس ذكر فضائل ومناقب الرسول (ص) فى كلّ يوم وليله، وفى كلّ شهر وسنه، وتلاوه الآيات النازله فى حقّ الرسول، وقراءه الأشعار الوارده فى مدحه، هى تلبيه لأوامر الله فى مودّه الرسول (ص) وإجلاله ورفع ذكره.

والسبب فى تخصيص عقد مثل هذه المجالس فى يوم ولادته (ص) هو أنّها نعمه عظمى أكرم الله بها البش-ريّه كافه؛ ولهذا يجدر بالبش-ريه كلّها أن تعظّم هذا اليوم وتعقد الاحتفالات المعبّره عن شكرهم لله إزاء هذه

ص: ۵۸

النعمه العظمى، دون أن ينسبوا ذلك إلى حكمٍ شرعيٍّ معيّنٍ، إذ إنّ تخصيص ذلك للاحتفال بولاده نبيّهم قد كان بإرادتهم واختيارهم، وليس لشرع دخلٌ فيه.

۷. زياره قبور الأولياء

اشاره

السؤال الذى يُطرح هنا، هو : هل أنّ زياره قبور الأولياء مستحبّهٌ؟

الجواب : إنّ زياره قبور الأولياء فى كلّ مدينه وقريه تنطوى على آثار بنّاءه، منها: إنّ زياره القبور بصوره عامّه تبيّن للزائر العجز الذاتى للإنسان وزوال القدرات الماديّه، وإنّ الإنسان الواعى يُدرك عند زياره القبور مدى هشاشه الحياه الدنيويّه، فيبحث عن الحلّ، ويتحرّى لمعرفه هدف الحياه الدنيا، فيتحرّر بهذه الطريقه من الغفله والأنانيّه، ويتفرّغ إلى التفكير فى السعاده الأخرويّه والحياه الأبديّه.

وقد أشار رسول الله (ص) إلى هذا الأمر التربوى، حين قال:

«زوروا القبور؛ فانّها تذكّركم بالآخره» . (۱)

وقال (ص) فى حديث آخر حول زياره القبور:

«. . . فزوروها؛ فإنّ لكم فيها عبره» . (۲)

وهذا النمط من زياره القبور يرتبط بزياره قبور عامّه الناس، والأفضل من ذلك هو زياره قبور الشـهداء، لأنّها زياره الذين جاهدوا بأنفسهم وقدّموا دماءهم فی سبيل الله والدفاع عن القيم الإنسانيه.

١- سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥٠٠.

٢- كنز العمال، ج ١۵، ص ۶۴٧. .

ولزيـاره قبـور الشـهداء فی سبيـل الله آثـار تربـويّه رفيعه جـدّاً، وهی عهـد بيننـا وبينهم، حيث يعلن الزائر بزيـارته هـذه وفـاءه لهم ولمبادئهم المقدّسه.

ومن أجل بيان هذا الأمر نذكر فيمايلی مثالاً حيّاً يرتبط بهذا المجال:

إنّ زائر بيت الله الحرام يسـتلم (الحجر الأـسود) قبـل الطواف ويعلن بهـذا الاسـتلام بيعته للنبـیّ إبراهيم (ع) وهو صـاحب التوحيد الراسـخ، والـذی بـذل غايه جهده لإعلاء كلمه الله فی الأرض، وحيث لا تصل يد الزائر إلی بطل التوحيد فإنّه يضع يده على الأثر الباقی منه ويبايعه بهذه الطريقه.

وقد ورد فی الأحاديث الش-ريفه أنّ الحاجّ يقول عند استلامه الحجرالأسود:

«اللّهم، أمانتی أدّيتها، وميثاقی تعاهدته، لتشهد لی بالموافاه» . (١)

و ينطبق هذا الهدف نفسه على زياره قبور شهداء بدر وأحد وكربلاء وغيرهم من الشهداء أيضاً.

ويصلّی الزائر لهذه المشاهد أو الأضرحه والقبور على الأرواح الطاهره لأصحابها ويعلن بيعته لهم، ويعلن مواصلته طريقهم.

وبعباره أخرى، فإنّ زياره قبر الشـهيد هی تكريم واحترام له، وبما أنّ الشـهيد قد قتل دفاعاً عن المبادئ والقيم، فكلّ من ليحترمه، فإنّه يحترم هذه المبادئ والقيم المقدّسه التی قتل من أجلها.

زياره قبر الرسول (ص)

إنّ زياره قبر الرسول (ص) وزياره قبور أوصـيائه الأطهار: تعبّر عن تقدير الزائر لتضـحيّاتهم فی سبيل هدايه العباد، وهی فی الواقع إقرارٌ بالبيعه

١- وسائل الشيعه، ج ١٠، ص ۴٠٠. .

لهم، وقد قال الإمام على بن موسى الرضا (ع) حول زياره قبور الأئمّه المعصومين: «إنّ لكلّ إمام عهداً فى عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد زياره قبورهم» . (١)

فالزائر لقبر الرسول (ص) وقبور الأئمّه فى الواقع يبايعهم ويعاهدهم على اتّباع نهجهم فى حياته، ولسان حاله هو:

يا رسول الله (ص) ، إن بايعك المهاجرون والأنصار فى الحديبيّه ليدافعوا عن رسالتك السماويّه (٢)، وإن بايعتك المؤمنات فى مكّه على أن لا يش-ركن بالله (٣)، وإذ أمر الله الذين ظلموا أنفسهم أن يأتوك فيستغفروا الله وتستغفر لهم (۴)؛ فأنا أيضاً أتيتك يا رسول الله (ص) ، ويا شفيع الأمّه، كى أبايعك وأُعلن دفاعى عن المبادىء التى جئت بها وأعاهدك على الابتعاد عن الش-رك وسائر المعاصى، وأطلب منك أن تسأل الله لى الغفران وكفّاره الذنوب.

وبما أنّ زياره القبور أمرٌ مستحبٌّ باتّفاق جميع المذاهب الفقهيّه؛ لذلك لم ننقل الأحاديث الشريفه الوارده فى هذا المجال، ونكتفى بهذا الحديث، وهو أنّ الرسول (ص) كان يزور البقيع أحياناً ويخاطب أهل القبور قائلًا:

«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غدَاً مؤجّلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون» . (۵)

١- وسائل الشيعه، ج ١٠، ص ٣۴۶.
٢- (لَقَدْ رَضِیَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَه. . .) (الفتح: ١٨) .
٣- (إِذا جاءَکَ الْمُؤْمِناتُ یُبایِعْنَکَ عَلی أَنْ لا یُشْرِکْنَ بِاللهِ) (الممتحنه: ١٢) .
۴- (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِیماً) (النساء: ۶۴) .
۵- صحیح مسلم، ج ٣، ص ۶٣. .

٨- زياره النِّساء للقبور (الإجابه على سؤالين)

السؤال الذى يطرح هنا هو : هل يوجد محذور من زياره النساء للقبور؟

الجواب : حكم الرجال والنساء بالنسبه إلى زياره قبور أعزائهم أو زياره قبور أولياء الله سواء؛ لأنّ الأحكام الش-رعيّه للرجال والنساء سواء، إلّا فى الحالات التى ذكر فيها الحكم الخاصّ بالرجال أو النساء.

فلا يوجد دليل لتخصيص الحكم بالرجال دون النساء، بل الدليل قائم على أنّهم فى الحكم سواء.

وقال رسول الله مخاطباً المسلمين كافه:

«زوروا القبور؛ فإنّها تذكركم الآخره» . (١)

وقال (ص) فى حديث آخر حول زياره القبور:

«فزوروها، فإنّ لكم فيها عبره» . (۲)

وبيان هـذا الخطاب بصيغه المـذكر لا تعنى اختصاص الخطاب للرجال فقط، لأنّنا نعلم بأنّ جميع خطابات القرآن والسـنه وردت بصـيغه المذكر وهى تشـمل الرجال والنساء، الّا مع وجود دليلٍ أو قرينهٍ على عدم الاشتراك، ولهذا نجد الآيات التى تدعو الناس إلى الصـلاه والزكاه وردت بصـيغه المـذكر ولكنّها تشـمل النساء أيضاً، كما قال تعالى: (وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ) (البقره: ١١٠) .

فالخطاب فى هذه الآيات وفق القواعد العربيّه موجّه للرجال، ولكن نتيجه الحكم تشمل الرجال والنساء.

۱- سنن ابن ماجه، ج ۱، ص ۵۰۰.
۲- كنز العمال، ج ۱۵، ص ۶۴۷. .

ص: ۶۲

إذن، نستنتج بأنّ الخطاب فى الحديث: «زوروا القبور» يشمل الرجال والنساء.

وإضافه إلى هذا الحديث توجد أحاديث أخرى تدلّ على جواز زياره القبور للنساء نذكر منها مايلى:

أ) ورد فى صحيح مسلم عن رسول الله (ص) أنّه قال:

«فإنّ جبريل أتانى. . . ، فقال: إنّ ربّك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم» .

قـالت عـائشه: لما كانت ليلتى التى كان النبىّ فيها عنـدى، انقلب فوضع رداءه. . . ثمّ انطلقت على إثره حتّى جاء البقيع. . . قالت: قلتُ كيف أقول لهم يا رسول الله؟

قال:

«قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين» . (۱)

ومحور الاسـتدلال هو أنّ الرسول علّم عـائشه كيفيّه زيـاره القبور. فـإذا كـانت زيـاره القبور محرّمه على النّاس، فلم علّم الرسول زوجته كيفيّه زياره القبور؟ !

أضف إلى ذلـك، عنـدما كـانت عـائشه تنقل هـذه الواقعه للنساء فإنهنّ علمن بجواز زيارتهن للقبور، وأنّ تكليف زوجه الرسول (ص) وسائر النساء فى هذا المجال واحد، دون تمييزٍ.

ب) كانت فاطمه الزهراء بنت رسول الله (ص) ، وهی من أهل الكساء: تقصـد قبر حمزه فی أَحـد بعـد وفاه أبيها رسول الله (ص) وتصلّی ركعتين عند قبره، وتبكی عليه.

ويقول الحاكم النيسابوری بعد نقله لهذا الحديث الشريف: «هذا الحديث

١- صحيح مسلم، ج ٣، ص ۶۴. .

ص: ۶۳

رواته عن آخرهم ثقات» . (١)

فلا يوجد فرق بين رواه هذا الحديث، ورواه الحديث المذكور فی صحيح البخاری وفی صحيح مسلم.

ج) ينقل الترمـذی عن عبـد الله بن أبی مليكَه، قال: توفّی عبدالرحمن بن أبی بكر فی (الحبشـی) . قال: فحمل إلی مكّه فدفن فيها. فلمّا قدمت عائشه، أتت قبر عبدالرحمن بن أبی بكر: فقالت: . . . . (٢)

د) قال البخاری: مرّ النبی بامرأه عند قبر، وهی تبكی، فقال: «اتّقی الله واصبری» . (٣)

ولم ينقـل البخاری تتمّه الحـديث، إلا أنّ أبی داود ذكرها فی سـننه فقال: «أتی نبیّ الله علی امرأه تبكی علی صبیّ لها، فأتته، فلم تجد علی بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك. فقال: «إنّما الصبر عند الصدمه الأولی» . (۴)

فـاذا كـانت زيارهالقبور محرّمه علی النساء، لِمَ أمر الرسول (ص) هـذه المرأه بالصبر، وكان عليه أن ينهاها عن زياره القبور بـدلاً من أمرها بالصبر علی المصيبه؟ !

الإجابه علی سؤالين:

حرّم البعض زياره القبور علی النساء واستدلّوا بالحديثين التاليين:

أ)

«لعن رسول الله زائرات القبور!» . (۵)

١- مستدرك الحاكم، ج ١، ص ٣٧٧.
٢- سنن الترمذی، ج ٣، ص ٣٧١.
٣- صحيح البخاری، ج ٢، ص ٩٣.
۴- سنن ابی داود، ج ٣، ص ١٩٢.
۵- سنن ابن ماجه، ج ١، ص ۵٠٣؛ سنن أبی داود، ج ٣، ص ٢١٨، و ورد فی الحديث الثانی عباره (زوارات) بدل (زائرات) . .

ص: ۶۴

الجواب :

يفتقر هـذا الحديث إلى الشرط اللازم للاستدلال؛ لأنّه مع لحاظ الأدلّه السابقه محكوم بالنسخ. والملفت للنظر أنّ بعض محدّثی أهل السنّه ذهبوا إلى نسخ هـذا الحـديث، من قبيل الترمـذی ناقل هـذا الحـديث، حيث قال: «انّ هـذا كان قبل أن يرخّص النبی (ص) فی زياره القبور، فلمّا رخّص دخل فی رخصته الرجال والنساء» . (۱)

وقـال القرطبی: هـذا اللعن إنّمـا هو للمكثرات من الزيـاره لمـا تقتضـيه الصـفه من المبالغه، ولعلّ السـبب ما يفضـی إليه ذلك من تضييع حقّ الزوج والتبرج وما ينشأ منهن من الصياح، ونحو ذلك. (۲)

ثمّ بيّن بأنّ الرسول (ص) اسـتخدم فی الحديث عباره «زوّارات» أی صيغه المبالغه، وهذا ما يكشف أنّه قصد المكثرات من زياره القبور.

ب) نقل ابن ماجه عن علیّ أنّه قال:

خرج رسول الله، فـإذا نسوه جلوس. فقـال: مـا يجلسـكنَّ؟ قلن: ننتظر الجنازه. قال: هل تغسـلن؟ قلن: لا. قال: هل تحملنَ؟ قلن: لا. قال: هل تُدْلين فيمن يُدْلی؟ قلن: لا. قال: فارجعن مأزوراتٍ، غير مأجوراتٍ. (۳)

الجواب :

هـذا الحـديث غير معتبر من نـاحيه السـند والـدلاله؛ لأنّ السـند فيه (دينـار بن عمرو) ، وهو برأی أهـل الحـديث من أهـل السنّه مجهول، كذّاب، متروك ومخطئ.

۱- سنن الترمذی، ج ۳، ص ۳۷۱.
۲- فتح الباری، ج ۳، ص ۱۴۹.
۳- سنن ابن ماجه، ج ۱، ص ۵۰۲. .

ص: ۶۵

فيا ترى هل يمكن الاستشهاد بحديث ينقله راوٍ يبلغ درجةً من الضعف إلى هذا المستوى؟

كمـا أنّ مضـمون الحـديث - لوسـلّمنا بصـحّه سـنده - لاـ صـله له بزياره القبور؛ لأنّ ذمّ النبی (ص) موجّهٌ للنساء اللاتی لم يكن قدومهنّ إلى القبور لأداء فريضه أو عمل مستحب.

والجدير بالذكر أنّ الإسلام هو دين الفطره ودين التسامح، وقد قال رسول الله (ص) :

«إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق» . (۱)

فالأم المؤمنه التی فقدت ابنها الأکبر وقد دفن تحت التراب، لا یسکن ألم فراق ولدها الّا بزیاره قبره، فیا تُری هل یعدّ منع الأمّ من زیاره قبر ولدها عملاً عقلائیّاً؟

ویا تُری هل یعقل للشریعه الإسلامیّه، وهی الشریعه المتساهله والمتسامحه أن یصدر منها هذا النهی؟

ولاـریب فی أنّ زیاره القبور فیها دروس وعبر وتـذکیر بالآخره، وهی مقرونه بقراءه القرآن وسوره الفاتحه، فکیف یمکن حرمان المرأه من هذه الأجواء المعنویّه؟

وبعبـاره أخری : فـإنّ الحکمه من زیارهـالقبور عباره عن التـذکیر بالاخره وتلقّی الـدروس والعبر، وهی أمور لا تختصّ بأمر دون غیره.

ومع ذلـک ینبغی أن تکون زیـاره القبور منزّهه من أیّ شـیء لاـ یرتضیـه الله، ولوسـلّمنا بوجود نهی عن زیـاره النساء للقبور، فقد یکون هذا النهی موجّهاً فی ذلک الزمان للنساء اللاتی لا یراعین الأمور الشرعیّه عند زیارتهن للقبور.

۱- مسند احمد، ج ۳، ص ۱۹۹. .

۹- البناء علی القبور

اشاره

السؤال الذی یُطرح هنا، هو: هل یجوز البناء علی القبور؟

الجواب : یمکن إثبات مشروعیّه البناء علی القبور من طرق مختلفه، منها ما یلی:

۱. سیره السلف الصالح فی حفظ قبور الأنبیاء

یشـهد التأریخ بأنّ بناء قبور الأولیاء وصـیانتها سـنّهٌ بش-ریّهٌ قدیمهٌ کانت قبل ظهور الإسلام، حیث کانت قبور أنبیاء بنی إسرائیل مشیّده وعامره، وعنـدما فتح فیه المسـلمون الشام وفلسـطین والأردن، فإنّهم حاولوا الحفاظ علی هذه القبور، وهی باقیه إلی یومنا هذا، ولم یلحق المسلمون بها أیّ ضررٍ، بل قاموا بإعمارها وإعاده بناء البعض منها، وجعلوا لها خَدَمهً من أجل المحافظه علیها.

۲. حفظ الآثار حفظ للأصاله

إنّ حفظ الآثار، ولا سـیما الآثار المرتبطه بالرسول (ص) من قبیل قبره الشـریف وقبور زوجاته وأبنائه وأصحابه والبیت الذی کان

يعيش فيه والمساجد التى كان يصلّى فيها، له فوائد عظيمه سنُشير إلى بعضها بعد بيان مقدّمه.

اليوم وبعد مرور عشرين قرناً من ميلاد المسيح، تحوّل المسيح (ع) وأمّه وكتابه الإنجيل وحواريه فى الغرب إلى أسطوره، وقد شكّك بعض المستشرقين بصّحه وجود شخص باسم السيّد المسيح له أم تُدعى مريم وله كتاب اسمه إنجيل، واعتبروه أسطورةً مثل اسطوره قيس وليلى العامريّه.

ص: ٦٧

وذهبوا إلى أنّ هذه الحكايات وليده الخيال البشرى. لماذا؟ طبعاً لأنّهم لايمتلكون اليوم أثراً واقعيّاً وملموساً من السيّد المسيح، مثلاً ـ ليست لديهم معلومات دقيقه حول البقعه التى وُلد فيها والبيت الذى كان يعيش فيه والمكان الذى دُفن فيه كما يعتقد النصارى، كما أنّ الكتاب السماوى الذى جاء به قد حُرّف، فالأناجيل الأربعه مدوّنه بأيدى من كتبوها بعد السيّد المسيح، وكلّها تحكى فى نهايتها كيفيّه قتل السيّد المسيح ودفنه، ولا صله مباشره لها بالسيّد المسيح.

ولهذا فإنّ الكثير من المحقّقين اعتبروا الأناجيل من النصوص الأدبيّه المرتبطه بالقرن الثانى بعد الميلاد، ولكن لوكانت جميع الآثار المرتبطه بالسيّد المسيح محفوظه، لَدلّت بوضوح على حقيقه وجوده، ولم تبقِ لمن يزعم بأنّ السيّد المسيح أسطوره أيّه ذريعه للتشكيك وإلقاء الشبهات حول أصل وجوده.

ولكن المسلمين يخاطبون جميع شعوب العالم بعزمٍ راسخ قائلين: إنّ النبىّ محمّد (ص) قد بُعث قبل ألف وأربعمائه سنه فى أرض الحجاز لهدايه البشريّه، وقد نال نجاحاً عظيماً فى رسالته وجميع خصائص حياته محفوظه ولا يوجد شكّ فى أصل وجوده أبداً، وحتّى البيت الذى عاش فيه موجود، وأثر وجوده فى جبل حراء الذى نزل عليه الوحى فيه موجود، ومسجده الذى كان يصلّى فيه موجود، ومكان دفنه فى بيته موجود، وكذلك بيوت زوجاته وأهل بيته، وقبور أوصيائه وخلفائه.

فلوكانت هذه الآثار غير موجوده، لأصبح ذلك ذريعه لإنكار أصل وجوده (ص) .

ص: ٦٨

إذن، نستنتج بأنّ تخريب آثار الرساله والآثار المرتبطه بأهل البيت (عليهم السلام) إضافه إلى كونها هتكاً لحرمتهم وتجاسراً عليهم؛ فإنّها تعدّ محاربه لمظاهر أصاله الإسلام وأصاله رساله النبى (ص) .

فالدين الإسلامى دين خالد، وقد جاء لهدايه البشريّه إلى يوم القيامه، والأجيال التى تأتى بعد آلاف السنين يجب عليها الإذعان لأصاله هذا الدين، ولهذا يجب من أجل الحفاظ على هذا الهدف، السعى لحفظ جميع آثار وعلائم صاحب الرساله. وهذا الأمر سببٌ لحفظ أصاله الدين للاجيال اللاحقه، ويجب علينا أن لا نفعل من شأنه أن يؤدّى الى المصير الذى آلت إليه الديانه النصرانيّه ومؤسسها حيث توجه إليه اليوم أصابع الاتّهام بأنّه مجرّد وهم نسجه الخيال البشرى، وأنّه لم يكن له وجود على أرض الواقع.

٣. رفع بيوت الأنبياء

لقـد وصف الله تعـالى نوره فى الآـيه المعروفه بآيه النور، وشـبّهه بمشـكاهٍ فيها بمصـباح، والمصـباح فى زجاجه، والزجاجه كأنّها كوكب درّى، ثمّ أشار فى الآيه التاليه إلى أنّ مكان هـذه المشـكاه بيوتٌ مرفوعهٌ، فقال: (فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُووالْآصالِ) (نور: ٣۶) .

ومـا يهمّنـا فى هـذا المقـام معرفه المقصود من تلـك البيوت. ولاـ شكّ فى أنّ البيت غير المسـجد؛ لأنّ البيت مشـتقّ من البيتو ته بمعنى قضاء الليل فى ذلك المكان، كما يقال: مسكن؛ أى المكان الذى يسكن فيه الإنسان.

والمصـطلح الـذى قد اسـتعمله القرآن الكريم حول مكان العباده أو المكان الذى يجتمع فيه المسـلمون لعباده ربّهم هو مصـطلح (مسجد) وجمعه (مساجد) ، وقد جاءت هذه الكلمه فى القرآن ٢٨ مرّه بصيغتى الجمع

ص: ۶٩

والمفرد.

لكننا نجد بأنّ القرآن عندما يتحدّث عن (المسـكن) و (المأوى) فإنّه يسـتخدم مصطلح (البيت) بصيغتى الجمع والمفرد، وقد جاء هذا المصطلح ۶۶ مرّه فى القرآن. ومن هنا نسـتنتج بأنّ مصداق البيت غير مصداق المسـجد، واعتبار أنّ البيت نفس المسـجد هو إدّعاءٌ بلا دليلٍ.

ولا شكّ فى أنّ المقصود من البيوت فى هـذه الآيه هى بيوت الأنبياء والأولياء والمتّقين الـذين يـذكرون الله ليلاً ونهاراً، وقد نقل جلال الدين السيوطى عن أنس بن مالك مايلى:

قال: قرأ رسول الله هذه الآيه: (فِى بُيُوتٍ أَذِنَ الُله أَنْ تُرْفَعَ) ، فقام إليه رجل، فقال: أىّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال (ص) : «بيوت الأنبياء» . فقام إليه أبوبكر، فقال: يا رسول الله، هـذا البيت منها؟ –مشـيراً إلى بيت على وفاطمه – قال (ص) : «نعم، من أفاضـلها» . (١)

إذن، اتّضح لنا أنّ المقصود من البيوت هو بيوت الأنبياء، لا المساجد.

وبقى لنا أن نعرف المقصود من الرفع.

ويوجد هنا احتمالان:

١. المقصود من الرفع هو الرفع الحسّى.

٢. المقصود من الرفع هو الرفع المعنوى.

وعلى ضوء الاحتمال الأوّل، يكون المقصود من الرفع هو رفع الجدران وسـمكها، كما ورد فى قوله تعالى: (رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها) (النازعات: ٢٨) .

ولكن حيث يتحدّث القرآن الكريم حول بيوت لها جدران ولها سقوف،

١- الدر المنثور، ج ۶، ص ٢٠٣. .

ص: ٧٠

فلاـ شـك سيكون المقصـود من (الرفـع) هو الرفع المعنوى، أى رفعه هـذه الـبيوت وعلوّ شأنهـا، ومن مظـاهر هـذا الرفع تطهيرها وصيانتها من التلف.

وهـذا الرفع والإجلاـل هو فى الحقيقه لعظمه شـأن اهلها الـذين قطنوها وما انفكوا يـذكرون الله فيها بالغـدووالآصال، ولم تمنعهم تجاره أو لهو من إقامه الصلاه وأداء الزكاه، لذا رفع الله شأنها وطهّرها وحفظها من التلف.

وكلّنـا نعلم بـأنّ الرسول (ص) دفن فى بيته -أىّ دفن فى البقعه التى كان يـذكر الله فيها- فعلى ضوء هـذه الآيه يكون بيته محترماً وذا قـداسه؛ لهـذا فـإنّ تخريب هـذا المكـان يعتبر مخـالفهً صـريحهٌ للأـمر القرآنى ومخالفه للمتوقّع فى خصوص التعامل مع هـذا المكان.

وبعض بيـوت المـدينه هى فى الواقع مرقـد لشخصـيّاتٍ عظيمهٍ، فـالزهراء (س) - حسب روايه (١)-دفنت فى بيتهـا، وهو موجود حالياً، والإمام الهادى والامام العسكرى (ع) أيضاً دُفنا فى البيت الذى كان يذكران الله فيه. إذن، نستنتج بأنّ هذه البيوت - حسب صريح هذه الآيه - أذِنَ الله لها أن ترفع، وتخريبها مخالفه واضحه لقول الله سبحانه وتعالى.

وفى محلّه بنى هاشم كانت هناك آثارٌ لبيت الحسنين ومدرسه الإمام الصادق (ع) ، وأنا شخصياً زرت هذه الأماكن عام ١٣٩۴ه، ولكنّها - مع الأسف الشديد - قد أُزيلت حالياً بذريعه توسعه المسـجد النبوى، فى حين كان يمكن توسيعه مع حفظ هذه الآثار، ولا يوجد تنافى بين هذين الأمرين.

١- الكافى، ج ١، ص ۴۶١. .

ص: ٧١

۴. صيانه القبور تدلّ على الرأفه والمودّه

إنّ لزوم محبّه الرسول (ص) وأهـل بيته من أصول الإسـلام التى تمّ التأكّيـد عليهـا كثيراً فى القرآن الكريم والأحـاديث الشـريفه، حيث قد قال الرسول (ص) :

«ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوه الإيمان وطعمه أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما. . .» . (١)

ومحبّه رسول الله (ص) تتجسّد فى أُطُر عديده، منها: نش-ر أحاديثه وحفظ وصـيانه آثاره وبناء قبره. وقد نقل الترمذى فى سـننه:

إنّ النبىّ [(ص)] أخذ بيد حسن وحسين [(ع)]، قال:

«من أحبّنى وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما، كان معى فى درجتى يوم القيامه» . (۲)

وكلّنا نعلم بأنّ السبط الأكبر للنبىّ (ص) مدفون فى البقيع والسبط الأصغر مدفون فى كربلاء، ومرقد كل واحد منهما كان ولا يزال وسيبقى ملجأ الزوّار المسلمين، وأىّ بناء على مرقديهما للحفاظ عليهما إنّما هو تعبير عن المحبّه لهما، فهما سبطى رسول الله (ص) ، وسيكون أجر هذا العمل هو الأجر الذى ورد فى الحديث الشريف الذى ذكرناه آنفاً.

واليوم تحاول شعوب العالم أن تحيى - بشتّى الوسائل - ذكرى شخصيّاتها الوطنيّه والمذهبيّه والسياسيّه والعسكريه ومصلحيها على الصعيد الثقافى؛ ولهذا نجدهم يشيّعون جثامين كبار شخصياتهم بتعظيم ويدفنونهم فى مبانى مجلّله، ويحاولون إحياء ذكراهم بين الحين والآخر؛ ليكون هؤلاء أسوه لأجيال المستقبل.

۱- جامع الأصول، ج ۱، ص ۳۷؛ صحيح البخارى، ج ۱، ص ۱۰ و ج ۸، ص ۵۶.
۲- جامع الأصول، ج ۹، ص ۱۵۷؛ سنن الترمذى، ج ۵، ص ۳۰۵. .

ونحن المسلمون أيضاً ينبغى علينا أن نكرّم شخصيّاتنا الرفيعه، وهى شخصيات لا مثيل لها، وذلك بأساليب مختلفه، من قبيل البناء على قبورهم وتشييد نُصُب تذكارى لهم، وغير ذلك من الأمور التى تعبّر عن اهتمامنا بإحياء ذكراهم.

ومع لحاظ هذه الأدلّه:

ألف) سيره السلف الصالح فى الحفاظ على قبور الأنبياء.

ب) صيانه الآثار، صيانهٌ للاصاله.

ج) حفظ المبانى المرتبطه بالأولياء هو رفعٌ لبيوتهم.

د) حفظ آثار الأولياء دليلٌ على الرأفه والمودّه.

لا يبقى أدنى مجالٍ للشكّ فى مسأله بناء القبور، بل هى أدلّهٌ على كون هذا الامر مطلوباً ومرغوباً.

وفى حديث عن الإمام الصادق (ع) حول تشييد قبور الأولياء: قال أبوعبدالله جعفر بن محمّد:

حدّثنى أبى عن أبيه، عن جدّه الحسين بن على (ع) عن على (ع) : إنّ رسول الله (ص) قال له: والله لتُقتلنّ بأرض العراق وتُدفن بها. قلت: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟

فقـال لى: يـا أبـاالحسن، إنّ الله تعـالى جعـل قبرك وقبر ولـدك بقاعـاً من بقاع الجنّه، وعرصه من عرصاتها، وإنّ الله جعل قلوب نجبـاء من خلقه وصـفوه من عبـاده تحن إليكم وتحتمـل المـذله والأـذى فيعمّرون قبوركم ويكثرون زيارتهـا تقرّبـاً منهم إلى الله ومودّه منهم لرسوله. (۱)

۱- تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى، ج ۶، ص ۲۲؛ وسائل الشـيعه، ج ۱۰، من أبـواب المزار، ب ۲۶، ح۱، يرجى مطالعه تكمله الحديث. .

۱۰. الصلاه عند قبور الأولياء

السؤال الذى يطرح هنا، هو : هل تصحّ الصلاه عند قبور الأنبياء والأولياء؟ وهل يجوز الدعاء عندها؟

الجواب : من الأمور التى ينهى عنها الوهّابيّون هى مسأله الـدعاء وأداء الصـلاه عنـد قبور الأولياء، وقـد كان هؤلاء فى بادى الأمر يعتقـدون بكراهيه الـدعاء والصـلاه عنـد هـذه القبور، ثمّ تحوّلت هـذه العقيـده عنـدهم من الكراهيّه إلى المنع، ثمّ ادّعوا أنّ هـذا الدعاء وهذه الصلاه شرك بالله.

وسنعرض هذه المسأله على القرآن الكريم وسيره المسلمين لتتّضح بشكلٍ جليٍ -وكما يلى:

۱. أمر الله تعالى حجّاج بيته الحرام أن يؤدّوا الصلاه فى مقام إبراهيم، فقال: (وإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وأَمْناً واتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى) (البقره: ۱۲۵) .

ويطرح فى هذا المقام هذا السؤال: عندما أمر الله المسـلمين أن يتّخذوا من مقام إبراهيم (ع) مصلّى لهم، هل توجد حكمه أخرى سوى تشـجيع المسلمين على التبرّک بمقام إبراهيم (ع) ؟ ! وهل يوجد اختلاف بين مقام إبراهيم (ع) ومقام نبيّنا محمّد (ص) ؟ ! وهل يوجد فرق بين مقام الأنبياء، وبين قبورهم التى تضمّ جثامينهم الطاهره؟ !

۲. ورد فى الأحاديث الشريفه المرتبطه بليله معراج الرسول (ص) :

إنّ النبى نزل فى المدينه وطور سـيناء وبيت لحم وصـلّى فيها، وقال جبرئيل: صـلّيت فى طيبه، وإليها مهاجرتک، وصلّيت فى طور سيناء، حيث كلّم الله موسى، وصليت فى بيت لحم، حيث ولد المسيح. (۱)

۱- الخصائص الكبرى، ج ۱، ص ۱۵۴. .

مع لحاظ هذا الحديث، فهل يمكن ادّعاء وجود اختلافٍ بين مكان الولاده ومكان الدفن؟ !

وهـذا الحـديث فى الواقع يشـير إلى معيار عامّ واحـد، وهو أنّ الأرض التى عليها أثر من آثار رجال التوحيـد وأهل التقوى، فإنّها أرض مبـاركه، ويجـدر بالإنسـان اختيـار هـذه البقـاع محلّاً للعبـاده، وأنّ عبـاده الله تعالى فى هـذه الأماكن لا تعتبر عباده للأنبياء والأولياء، وإنّما هى عباده لله فى أماكن مباركه.

أحياناً نجد أنّ امرأةً مؤمنةً بكرامتها وصبرها تجعل بقعةً ما محلاً لعباده الله تعالى وطاعته مثل موضع قدم هاجر أمّ إسـماعيل، فهى صبرت وتحمّلت المصاعب فى سبيل الله، فاختار الله موضع قـدمها وجعله محلّاً لعبادته، فأمر الحجّاج بالسـعى بين الصـفا والمروه، كما سـعت هاجر. فإذا كان صبر هـذه المرأه العظيمه سـبباً لأن يصـبح موضع قـدمها مباركاً ومحلّاً لعباده الحجّاج، فلماذا لايكون موضع جثمـان الرسول (ص) موضـعاً مباركـاً ومقـدّساً فى حين المصـاعب التى تحمّلتهـا هـاجر، لاتُقارن بالمصاعب التى تحملّها الرسول الأعظم (ص) ؟ !

والطريف أنّ ابن القيّم وتلميـذه ابن تيميّه يعترفون بهـذه الحقيقه من حيث لا يعلمون، وفقـد قال ابن القيّم: «وإنّ عاقبه صبر هاجر وابنها على البعـد والوحـده والغربه، والتسـليم إلى ذبـح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسـك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم القيامه وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه» . (۱)

۳. عبـد المسـلمون الله عزّوجلّ من جميع أنحاء العالم مـدّه أربعه عش–ر قرناً بجوار مرقد الرسول (ص) ، فإذا كانت الصـلاه عند قبور الأنبياء أمراً مكروهاً

۱– زاد المعاد لابن القيم، ج ۱، ص ۱۷. .

أو محرّماً أوسبباً لبطلان الصلاه، فلماذا لم يعترض أحد الصحابه أو التابعين والعلماء على هذا الأمر؟ !

أضف إلى ذلك، إذا وقف شـخصٌ فى ناحيه الصـفّه وصـلّى، سـيكون قبر النبى (ص) أمامه، فهل يمكن القول بأنّ هـذه الصـلاه باطله أو مكروهه؟ !

۴. كلّنا نعرف منزله ابنه رسول الله (ص) ، وهى سيّده نساء العالمين التى قال عنها الرسول (ص) :

«فاطمه بضعه منّى، فمن أغضبها أغضبنى» . (۱)

وهذه السيّده الزهراء (س) كانت تذهب فى أيّام الجمعه إلى زياره قبر عمّها حمزه، وتبكى وتصلّى عند قبره. (۲)

۵. بقيت عائشه بعـد وفاه رسول الله (ص) سـنوات متماديه فى حجرته التى دُفن فيها، وكانت تصـلّى عنـد قبره، ولم يعترض عليها أحد.

وذكر السمهودى: «إنّ عائشه قضت حياتها فى بيتها وصلّت فيه تمام عمرها، ولم يكن بينها وبين القبر أىّ جدار إلى أن دفن عمر، فبنى جدار حال بينها وبين القبور الثلاثه» . (۳)

وهذا الحديث يثبت أنّ زوجه النبى صلّت ما يقارب خمسه عشر عاماً عند قبره، ولم يرد فى التأريخ أىّ نصّ يُشير إلى أنّها كانت تخرج للصلاه إلى مكان آخر غير حجرتها.

۶. لا يخفى على أحد بأنّ (حجر إسماعيل (ع) يتضمّن قبر هاجر وابنها إسماعيل (ع) ، ولم يفتِ أحد ببطلان أو كراهيّه الصلاه عند هذا الحجر.

ولم يحرّم هؤلاء الصلاه عند قبور الشهداء فقط، بل ذهبوا إلى لزوم عدم

۱- صحيح البخارى، ج ۵، باب مناقب قرابه رسول الله، ح ۳۷۱۴.
۲- انظر: السنن الكبرى للبيهقى، ج ۴، ص ۷۸؛ مستدرك الصحيحين، ج ۱، ص ۳۷۷.
۳- وفاء الوفاء للسمهودىّ، ج ۲، ص ۵۴۴ .

النظر إلى حجره الرسول (ص) عند الدعاء، وأوجبوا الاتّجاه عند الدعاء نحوالقبله، فى حين سأل أبوجعفر المنصور فقيه المدينه مالك بن أنس، وهما فى حرم الرسول (ص) : أستقبل القبله وأدعوا، أم أستقبل رسول الله (ص) ؟

فأجابه مالك: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيله أبيك آدم إلى الله يوم القيامه؟

بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله. (۱)

فهذه الأدّله الستّه تكشف بوضوح جواز الصلاه عند قبور الأنبياء والأولياء، فيا تُرى هل يعقل أن تكون الأراضى البائره أفضل للصلاه من مشاهد الأنبياء والأولياء؟

۱۱. إقامه المآتم للشهداء

السؤال الذى يطرح هنا، هو : ما الحكمه من إقامه المآتم لمن استشهد فى سبيل الله؟

الجواب : الحكمه من إقامه هذه المآتم ليست سوى إجلالهم وحفظ مبادئهم القائمه على أساس التضحيه من أجل الدين وعدم الخضوع للذلّ والهوان تحت شعار (هيهات منا الذلّه) ، وشعار (الموت بعزّه أفضل من الحياه بذلّه) . فهؤلاء قدّموا أرواحهم من أجل إعلاء كلمه الحقّ وعزّه المؤمنين، وتكريمهم هو تكريم لمبادئهم وقيمهم وسيرتهم الجهاديّه التى ينبغى للجميع تلقّى الدروس والعبر منها.

فالشهداء بمثابه الشمعه التى تحترق لتضىء الطريق للآخرين، والشهيد

١- انظر: وفاء الوفاء للسمهودىّ، ج ۴، ص ١٣٧۶. .

ص: ٧٧

هو الـذى يقدّم حياته من أجل تحرير المجتمع من قيود العبوديّه وظلم الحكومات الجائره. فهل أنّ تكريم هكذا أشـخاص يتنافى مع العقل السليم؟ !

فالرسول قد بكى عند موت أشخاص عاديّين، فهل يعقل تقبيح البكاء على الشهداء وإقامه المآتم لهم؟ !

وأكثر مجالس العزاء التى يقيمها المسلمون لشهدائهم، هى مجالس العزاء باسم الإمام الحسين (ع) ؛ لأنّه سيد الشهداء، وهو الذى علّمنـا أكـثر من غيره كيـف نعيش أحراراً ولا ـ نخضع للظلم والطغيـان، وهو الـذى علّمنـا بـأن يقطّعنـا الأعـداء بسـيوفهم إربـاً إرباً ونستشهد أعزاء أفضل من نحيا حياه ذلٍّ وخنوع.

وقـد اختار الإمام الحسـين (ع) هـذا الطريق واستشـهد فى هـذا السبيل، وقدّم كلّ ما يمتلك وضـحّى بكلّ ما لديه من أجل اعلاء كلمه الحقّ.

وقد قال ابن أبى الحديد حول الإمام الحسين (ع) مايلى:

سيّد أهل الإباء، الذى علّم الناس الحميّه والموت تحت ظلال السـيوف اختياراً له على الدنيّه، أبوعبد الله الحسـين بن على بن أبى طـالب، عرض عليه الأمان فانف من الـذّل، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان -إن لم يقتله- فاختار الموت على ذلك. (١)

ومن هذا المنطلق نحصل على أجابه سؤالين آخرين:

١. هل أنّ مذهب الشيعه هو مذهب حزن وبكاء؟

٢. لمـاذا نقيم مجـالس العزاء والمآتم على مصائب الإمام الحسـين (ع) ، فى حين أنّ مصـيره (ع) الجنّه؟ فما هى ثمره البكاء على أهل الجنّه؟

١- شرح نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢۴٩. .

ص: ٧٨

أمّا جواب السؤال الأوّل : مذهب الشيعه هو مذهب يدعو إلى الحقّ والعدل والجهاد فى سبيل الله، وهو مذهب يقتدى برسول الله الذى كان يذرف الدموع لفقد أعزائه ويحزن قلبه إزاء ذلك.

وبعباره أخرى : فإنّ قراءه المراثى للإمام الحسين (ع) وشهداء الطف والبكاء على مصائبهم، أمر طبيعى يدلّ على الصله العاطفيه بين الشيعى وأهل البيت (عليهم السلام) ، وهو ترسيخٌ لأُسس مذهب قائم على أساس التضحيّه فى سبيل الله والترفّع عن الذلّه، وإذا لم تعقد هذه المجالس ولم تُحيى ذكرى الشهداء فى كلّ عام فسوف يُنسى مبدأ الإيثار والشهاده، فالشيعه يحيون المبادىء التى ثار من أجلها الإمام الحسين (ع) بإحيائهم ذكراه فى شهرى محرّم وصفر.

وأمّا الجواب على السؤال الثانى : فإنّنا لا نبكى على الإمام الحسين (ع) ؛ لأنّه الآن فى الجنّه، بل يسرّنا نيل الإمام الحسين (ع) درجه عند الله باستشهاده فى سبيله؛ وإنّما نبكى للمصائب التى تجرّعها سبط الرسول، حيث قتلوه عطشاناً غريباً وحيداً فريداً، لا ناصر له ولا معين، وسفكوا دماء أهل بيته وأنصاره وهم عطاشى. فالحمزه أيضاً استشهد وذهب إلى الجنّه، ولكن مع ذلك بكى عليه رسول الله (ص) ، بكى؛ لأنّ حمزه استشهد مظلوماً، ومثّلت هند زوجه أبوسفيان بجسده وأخرجت كبده ولاكته بأسنانها.

وعموماً فالحديث حول الحكمه من استشهاد الامام الحسين (ع) طويل، ونحن نكتفى بهذا المقدار، ونوكل الحديث عنه إلى مناسبةٍ أُخرى.

ص: ٧٩

الفصل الثالث: منزله القرآن الكريم عند الشيعه

۱. منزله القرآن الكريم عند الشيعه

السؤال الذى يُطرح هنا، هو : هل يصحّ القول بأنّ الشيعه يعتقدون بتحريف القرآن الكريم؟

الجواب : يعتقد الشيعه أنّ القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى لم يحرّف، ولا يوجد عند المسلمين كتاب أصحّ منه، وجميع الكتب الأخرى غير القرآن عُرضهٌ للنقد والمناقشه.

فالقرآن هو سند العقيده والشريعه، لذا ينبغى للمسلمين أن يرجعوا فى معتقداتهم وأحكامهم إليه، وهو الحَكَم عند الاختلاف فى أيّه مسأله.

ولم يكن بأيدى الشيعه على مرّ العصور قرآن يختلف عن القرآن الموجود بين أيدينا اليوم.

وأمّا ادّعاء تحريف القرآن المنسوب إلى الشيعه، فهو افتراء وبهتان من قبل بعض الأعداء أو المغفلين. وقد تمسّك هؤلاء ببعض الأحاديث الموجوده فى المصادر الروائيه الشيعيّه، والتى توهم بتحريف القرآن؛ فى حين أنّها لا ـ قيمه لها عند الشيعه، وذلك لتعارضها مع القرآن الكريم.

ص: ٨٠

وإذا كان مجرّد وجود بعض الأحاديث فى مصادر الشيعه التى تدلّ ظواهرها على تحريف القرآن يُتغذ ذريعهً لاتّهام الشيعه بهذه العقيده، فما بال مصادر الحديث عند المذاهب الأخرى التى تزخر بالأحاديث الدالّه بظاهرها على هذا التحريف؟ ! فلماذا لا

يتّهمهم أحد بأنّهم يذهبون إلى تحريف القرآن؟ !

وكما قلنا مراراً، ليس كلّ ما يرد فى الأحاديث التى ينقلها أصحاب مذهب معيّن يمكن اعتباره دليلًا على معتقداتهم، وذلك لأنّ الأحاديث بحاجه إلى غربله، وإنّما العقيده تستنبط من الآيات القرآنيه المحكمه والأحاديث الشريفه الصحيحه والأدلّه العقليّه القطعيّه الواضحه.

وسنذكر فى هذا المقام ما أشار إليه كبار علماء الشيعه حول نفى تحريف القرآن، لكن نودّ قبل ذلك أن نثبت أصل عدم تحريفه، كمايلى: إنّ معظم الذين يحاولون ترويج شبهه تحريف القرآن هم من المسيحيين واليهود؛ لأنّ كتبهم السماويّه محرّفه ولا اعتبارلها، ولهذا يحاولون الإطاحه بالقرآن الكريم والتقليل من قيمته.

ولكنّ التأريخ يشهد بض-رسٍ قاطع على أنّ نسخ التورات قد فقدت صراراً على مرّ العصور، ولا سيّما عندما غزا بخت نصّر بيت المقدّس، ثم كتبه بعض علماء اليهود بأقلامهم.

ويشهد التأريخ أيضاً بأنّ الأناجيل الأربعه دوّنت بعد سنوات من حياه السيّد المسيح، وأمّا الإنجيل الذى نزل من الله على السيّد المسيح، فلا أثر له ولا وجود له فى الواقع الخارجى. (١)

١- راجع كتب: قاموس كتاب المقدس؛ الهدى إلى دين المصطفى. .

ص: ٨١

فالذين أسّسوا جميع أصولهم العقائديّه ومعارفهم الدينيّه على أمثال هذه الكتب التى لا صله لها بالسماء، يدّعون بأنّ القرآن الكريم أيضاً لاقى نفس مصير التوراه والإنجيل؛ ولهذا يزعمون تحريفه.

فى حين جميع الطُّرق التى جُمع فيها القرآن فى جميع مراحل التأريخ الإسلامى غير قابله للقياس مع تأريخ التوراه والإنجيل فى العهود اليهوديّه والمسيحيّه ومختلفه عنها اختلافاً جذريّاً.

ونستلهم من التأريخ بأنّ القرآن الكريم لم يواجه المصير الذى حلّ بالتوراه والإنجيل من إبهام وتعقيد، ويجدر بنا فى هذا المقام الإشاره إلى أمرين يتكفّلان الإجابه عن الكثير من الأسئله والإشكالات المطروحه بشأن القرآن:

١. القرآن الكريم كتاب غيّر جميع شؤون حياه المسلمين الاجتماعيّه، والقرآن قضى على الحياه الجاهليّه وقدّم للبش-ريّه حياه جديده مبتنيه على أساس الإيمان والأصول الإنسانيّه.

إذن، القرآن كتاب له صله بشؤون حياه المسلمين الأساسيّه، وكان المسلمون يستلهمون منه ما ينفعهم فى شؤونهم السياسيّه والاقتصاديّه، والقوانين الأخلاقيه، وحتى الآداب والتقاليد العائليّه، فصلتهم بهذا الكتاب وثيقهٌ جدّاً، وهم يقرؤونه كلّ يوم خمس مرّات فى صلواتهم، ويرجعون إليه، ثمّ السنّه للانتفاع منهما فى جميع شؤون حياتهم.

فالكتـاب المتجـذّر إلى هـذا الحـدّ فى نفوس النـاس، وهو المرجع لهم فى جميع أبعـاد حيـاتهم لاـ يمكن تحريفه دون أن يلتفت الخواصّ والعوامّ إلى ذلك.

ومـدى احتمال وقوع تحريف القرآن دون أن يعلم أحدٌ بذلك فهو بمقدار احتمال وقوع التحريف فى الدسـتور لشـعب كبير من دون التفات أحد إلى

ص: ۸۲

هذا التحريف!

ويا تُرى هل يمكن تحريف بنود الدستور لأمّه من دون علم أبنائها بذلك، ومن دون صدور أىّ اعتراض منهم؟ !

إنّ دور القرآن الكريم فى حيـاه المسـلمين الاجتمـاعيّه أسـمى بكثير من دور الدسـتور فى حياه الأمم فى يومنا هـذا، ولوكان ثمّه تحريف فى القرآن، لواجه ردود فعلٍ شديدهٍ واعتراضاتٍ واسعه من قبل المسلمين.

۲. إنّ جمع القرآن الكريم فى زمن النبى (ص) والاهتمام الكبير الـذى كان يوليه (ص) والمسـلمون فى حفظه وتـدوينه، يثبت لنا استحاله نقصان –ولوكلمه واحده – من هذا الكتاب المقدّس.

وكما يشـهد التأريخ، كان حول النبىّ (ص) عدد كبير من الكتّاب، بحيث يبلغ عددهم ثلاثه وأربعين شخصاً كانت مهمّتهم كتابه مـا يـأتى به الوحى، فكـان الرسول يملى عليهم كـلّ آيه وكـلّ سوره تنزل عليه، وهم يكتبونهـا، وكـان المسـلمون يهتمون بحفظ القرآن اهتماماً بالغاً.

وأكثر من اهتمّ بكتابه القرآن الكريم هو علىّ بن أبى طالب (ع) وزيد بن ثابت.

ومن هذا المنطلق توجد حالياً بأيدى المسلمين نسخ متعدّده من القرآن الذى كتبه هؤلاء، كما كان يوجد فى السابق نسخ متعدّده من القرآن يستفيد منها المسلمون ويتلونه ليلَ نهارَ.

كما أنّ عـدداً كبيراً من المسـلمين فى عصـر صـدر الإسـلام كانوا من حفّاظ القرآن، بحيث بذلوا غايه جهدهم لئلّا تفوتهم كلمه واحده، وعُرفوا بالقرّاء، وقد كان الناس يلجؤون إليهم لتعلّم القرآن.

وكان مدى اهتمام المسلمين والقرّاء فى حفظ القرآن والحفاظ عليه كبيراً

ص: ۸۳

جـدّاً، بحيث وقـع اختلاـف ذات يـوم بين أُبى بن كعب وعثمـان حينمـا كـان خليفهً حول قوله تعـالى: (والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الـذَّهَبَ والْفِضَّهَ ولا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللهِ) ، فادّعى عثمان بأنّ: الَّذِينَ نزلت بـدون (واو) ولهـذا يجب حـذف الواو من المصاحف. ولكنّ أُبى اعترض عليه وبيّن له بأنّ (الواو) جزء من الآيه، ثمّ انفعل أُبى، وقال: لتلحقنّها أو لأضعن سيفى على عاتقى، فألحقوها. (۱)

فإذا كان الحديث حول تغيير حرف واحد من القرآن أدّى إلى هذا الاختلاف الكبير، فكيف يمكن القول بأنّ القرآن محرّف وبعض آياته محذوفه؟ !

أضف إلى ذلك، ينبغى الالتفات إلى أنّ القرآن الكريم بنفسه أشار إلى نفى التحريف عنه، كما فى قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) (الحجر: ٩) .

وقد صرّح المفسّرون وعلماء الكلام بأنّ علماء المسلمين أجمعوا على نفى تحريف القرآن، وإذا كان بين العلماء من يعتقد بتحريف القرآن، فسبب ادّعائه هذا فى الواقع بعض الروايات المدسوسه التى وضعها بعض المغرضين فى كتب الحديث، ولا شكّ، فى أنّ هذه الروايات عديمه القيمه، أو أنّها لا تدلّ على التحريف الحقيقى، كما فهم منها هؤلاء العلماء.

٢. مصحف فاطمه الزهراء (س)

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : يُقال: للشيعه قرآن آخر يُدعى (مصحف فاطمه) ، فما هو مدى صحّه هذا القول؟

١- الدر المنثور، ج ۴، ص ٣٧٩. .

الجواب : المصحف لغه: من أصحف، بمعنى ما جُعل فيه الصحف. وإنّما سمّى المصحف مصحفاً لأنّه جعل جامعاً للصحف المكتوبه بين الدفتين، وقد قال تعالى: (وإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) (التكوير: ١٠) ، وقال أيضاً (إِنَّ هذا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولى * صُحُفِ إِبْراهِيمَ ومُوسى) (الأعلى: ١٨ و ١٩) .

وينقل ابن أبى داود السجستانى حول جمع القرآن فى مصحف واحد، عن محمّد بن سيرين:

لما توفّى النبى (ص) أقسم على أن لا يرتدى برداء إلّا جمعهٍ حتّى يجمع القرآن فى مصحف.

ونقل أيضاً عن أبوالعاليه:

إنّهم جمعوا القرآن فى مصحف فى خلافه أبى بكر.

وقال أيضاً:

«وأمر بالقرآن فجُمع، وكان أوّل من جمعه فى المصحف» . (١)

وهذا يدلّ على أنّ المقصود من المصحف فى ذلك الزمان هو الكتاب الكبير أو الكتاب المجلّد الذى يحفظ الصفحات من البعثره، ثمّ أصبح اسم المصحف بمرور الزمان من الأسماء المختصّه بالقرآن.

وحتّى الأحـاديث الشـريفه الوارده فى مصادر مـذهب أهل البيت (عليهم السـلام) أيضاً تبيّن بأنّ اسم المصـحف يُطلق سابقاً على الكتاب أو الدفتر المكتوب.

قال الإمام الصادق (ع) : «

من قرأ القرآن فى المصحف متّع ببصره » . (۲)

وقال (ع) فى حديث آخر: «

قراءه القرآن فى المصحف تخفّف العذاب عن

۱- كتاب المصاحف للحافظ أبى بكر عبدالله بن أبى داود السجستانى، صص ۹-۱۰.
۲- كتاب المصاحف للحافظ أبى بكر عبدالله بن أبى داود السجستانى، صص ۹-۱۰.

الوالدين » . (۱)

وذكر المؤرّخون فى ترجمه خالد بن معدان: «كان علمه فى مصحف له أزرار وعرى» . (۲)

وكان خالد بن معدان من التابعين، وقد لقى سبعين رجلاً من الصحابه، وقد أورد ابن الأثير ترجمته فى ماده (كلاعى) . (۳)

إذن، لفظ (المصحف) كان يستخدم بمعنى: الكتاب حتّى نهايه القرن الأوّل، ثمّ بمرور الزمان اختصّ بالقرآن الكريم.

بنـاءاً على هـذا، ينبغى أن لاـ نسـتغرب من أن يكون لبنت رسول الله (ص) مصـحفاً تجمع فيه مـا تعلّمته من أبيهـا وغير ذلك من علومها ومعارفها لتتركه كأفضل ميراث لأبنائها.

ومن حسن الحظ فقد كشف أبناء الزهراء (س) ، عن حقيقه هذا المصـحف، وأثبتوا أنّ هذا المصحف ليس إلّا الكتاب المتضمّن للمعلومات المدوّنه.

وقال الإمام الصادق (ع) فى حديث آخر حول مصحف فاطمه (س) : «

والله، ما فيه من قرآنكم حرف واحد » ، قال الراوى، قلت: هذا والله العلم، قال (ع) : «

إنه لعلم وما هو بذلك » . (۴)

ومن هنا يتّضح لنا أنّ مصـحف فاطمه (س) شـىء والقرآن الكريم شىء آخر، وكلّ من يحاول جعل مصحف فاطمه (س) ذريعه لاتّهام الشيعه بالقول

۱- الکافی، ج ۲، ص ۶۱۳.
۲- المصاحف للسجستانی، صص ۱۳۴ و ۱۳۵.
۳- اللباب فی تهذیب الانساب، ج ۳، صص ۶۲ و ۶۳.
۴- ارشاد الساری بشرح صحیح البخاری، ج ۶، ص ۹۹. .

بتحریف القرآن، فهو مفترٍ أو جاهل.

وسنبیّن حقیقه مصحف فاطمه (س) للقرّاء الأعزاء فیما یلی:

المحدَّث فی الإسلام

من الأمور المتعارفه بین علماء المسلمین وجود (المحدَّثین) من بین المسلمین. و (المحدَّث) لیس نبیّاً، ولا ینزل علیه الوحی، بل هو ممن تحدِّثه الملائکه فیسمع حدیثهم، ولهذا یطلق علیه (محدَّث) ؛ وقد نقل البخاری مایلی: قال النبیّ (ص) : «

لقد کان فیمن کان قبلکم من بنی إسرائیل رجال یکلّمون من غیر أن یکونوا أنبیاء، فإن یکن من أمّتی منهم أحد فعمر » . (۱)

فالروایات الوارده حول (المحدَّثین) بین المسلمین منقوله فی کتب الفریقین، والمقام هنا لا یسع لبیان ما ذکره العلماء حول هذا الأمر. وقد ذکر الذین شرحوا صحیح البخاری ما فیه الکفایه لبیان معنی (المحدَّث) .

وخصّص الشیخ الکلینی فی کتاب الکافی باباً تحت عنوان: إنّ الأئمّه [(ع)] محدّثون مفهّمون، حیث نقل بعض الأحادیث الشریفه الوارده فی هذا المجال، وجمیع هذه الأحادیث تشیر إلی أنّ المحدّث هو من تحدِّثه الملائکه فیسمع صوتها، ولکنّه لایری لها شخصاً، ولهذا قال الکلینی: الأئمّه علماء صادقون مفهّمون محدّثون. (۲)

فاطمه محدّثه

کانت فاطمه بنت رسول الله (ص) محدَّثه؛ لأنّها بلغت من الکمال درجهً

۱- بخاری، ج ۲، ص ۱۹۴.
۲- الکافی، ج ۱، صص ۳۲۵ - ۳۲۷. .

عُلیا، فکانت تسمع صوت الملائکه، ولکنّها لا تری لهم شخصاً. وازداد حدیث الملائکه مع الزهراء (س) بعد رحیل والدها، حیث هیمن علیها الحزن والغم، فکان یأتیها جبرئیل بأمر من الله عزّ وجلّ ویبیّن لها بعض أخبار المستقبل، ویسلیها بهذه الطریقه.

وقد قال الإمام الصادق (ع) حول مصحف فاطمه (س) :

انّ الله تعالى لمّا قبض نبيّه (ص) دخل على فاطمه من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلّا الله عزّ وجل، فأرسل الله إليها ملكاً يسلّى غمّها ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أميرالمؤمنين (ع) ، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولى لى. فأعلمته بذلك فجعل أميرالمؤمنين يكتب كلّما سمع حتّى أثبت من ذلك مصحفاً، قال ثمّ قال: أمَا إنّه ليس فيه شىء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون. (1)

٣. مصحف على (ع)

السؤال الذى يُطرح هنا، هو : هل كان للإمام على (ع) مصحف خاصّ به؟

الجواب : يطرح هذا السؤال على نحوين:

يُقال تارةً: ما هو المقصود من مصحف على (ع) ؟

ويُقال تارةً أخرى: ما هو المقصود من كتاب على (ع) ؟

المقصود من مصحف على (ع) هو ما جمعه الإمام على (ع) من القرآن حسب ترتيب النزول. وروى ابن نديم فى (الفهرست) عن على (ع) أنّه رأى من الناس طيره عند وفاهالنبى، فأقسم أن لا يضع عن ظهره رداءه حتّى

١- الكافى، ج ١، باب فيه ذكر الصحيفه، ح ٢. .

يجمع القرآن، فجلس فى بيته ثلاثه أيّام حتّى جمع القرآن.

وقال اليعقوبى: «رَوى بعضهم أنّ على بن أبى طالب [(ع)] كان جمعه -القرآن - لمّا قبض رسول الله. . . فقال: «هذا القران جمعته» . وكان قد جزّأه سبعه أجزاء، ثمّ ذكر كلّ جزء، والسور الوارده فيه» .

والتأمّل فى الأجزاء التى ذكرها اليعقوبى عن قرآن الإمام على (ع) يكشف عن عدم وجود أىّ اختلافٍ بين عدد السور التى جمعها الإمام على (ع) مع عدد سور القرآن الموجود بين أيدينا حالياً، وإذا كان هناك اختلافٌ، فإنّه يرتبط بكيفيّه جمع سور القرآن.

وإذا كان الإمام على (ع) قد جمع القرآن، فلا منافاه فى هذا العمل مع حفظه من التحريف؛ لأنّ الإمام على (ع) لم يتفرّد فى جمع القرآن، بل إنّ عبدالله بن عبّاس أيضاً جمع القرآن، ووجود الاختلاف فى كيفيّه الجمع لا تعنى وجود التحريف.

وقد حان الوقت الآن للإجابه على الشقّ الثانى من السؤال:

کتاب علی (ع) هو کتاب دوّنه الإمام علی (ع) فی عهد الرسول (ص) ، وهو یتضمّن مسائل الحلال والحرام والتعالیم الدینیّه الأخری التی أملاها علیه الرسول (ص) . فهو کتاب عُرف بأنّه إملاءٌ من رسول الله (ص) بخطّ الإمام علی (ع) . وقد توارثه أئمّه أهل البیت (علیهم السلام) ، وکان الإمامان الباقر والصادق (ع) یعتمدان علیه کمصدر من مصادر الأحکام الإسلامیّه.

ورَوی النجّاشی، وهو أحد علماء الرجال الشیعه، فی ترجمه لمحمّد بن عذافر الصیرفی، مایلی:

عن عذافر الصیرفی قال: کنت مع الحکم بن عتیبه عند أبی جعفر (ع) ، فجعل یسأله، وکان أبوجعفر (ع) له مکرّماً، فاختلفا فی شیء، فقال أبوجعفر (ع) :

«یا بنی قم، فأخرج کتاب علیّ» . فأخرج کتاباً مدروجاً عظیماً وفتحه (ففتحه) ، وجعل ینظر حتّی أخرج المسأله.

فقال له أبوجعفر هذا خطّ علی (ع) وإملاء رسول الله (ص) ، وأقبل علی الحکم. وقال: «یا أبا محمد، اذهب أنت وسلمه وأبوالمقدام، حیث شئتم یمیناً وشمالاً، فوالله، لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم کان ینزل علیهم جبرئیل (ع)» . (۱)

وقد بیّنت الأحادیث الشریفه الأخری بأنّ کتاب علیّ (ع) طوله سبعون ذراعاً، وهو علی شکل طومار ملفوف.

وللإمام علی (ع) کتاب آخر یدعی (الصحیفه) ، وهو کتاب خاصّ بأحکام الدیّات، قد نُقلت عن هذه الصحیفه الکثیر من الأحادیث فی المصادر الروائیّه.

وقد قام المحقّق المیرزا علی المیانجی بجمع الأحادیث المرویّه عن کتاب الصحیفه. (۲)

ونحن أیضاً قد تحدّثنا بتفصیلٍ عن کتاب علی (ع) وصحیفته فی کتابنا (تأریخ الفقه الإسلامی وأدواره) ، وبیّنا فیه الکثیر من المسائل المرتبطه بکتاب علی (ع) وصحیفته بصوره مفصله. (۳)

وفی الختام نلفت الانتباه إلی أنّ الإمام علی (ع) وأبناءه وشیعتهم منذ وفاه الرسول (ص) ، ورغم منع تدوین الحدیث من قبل السلطات الحاکمه، قد أعاروا أهمیّه لتدوین الحدیث وحفظ سنّه الرسول (ص) ، ولم یردعهم هذا المنع

۱- رجال النجاشی، ترجمه رقم: ۹۶۷.

۲- مکاتیب الرسول، ج ۱، صص ۶۷-۷۱.

۳- انظر: تاریخ الفقه الاسلامی و أدواره، ص ۱۱۸. .

السیاسی عن تدوین الحدیث، حیث دام هذا المنع مائه عام، إلا أنّه حُکِم بالفشل، واهتمّ بعد ذلک سائر المسلمین بجمع

الحدیث. وجمع الحدیث یعدّ موضوعاً مستقلّا یتطلّب بحثاً تفصیلیاً لامجال له هنا.

۴. شبهه الاهتمام بالدعاء أکثر من الاهتمام بالقرآن

السؤال الذی یُطرح هنا، هو : لماذا یهتمّ الشیعه بکتب الدعاء أکثر من اهتمامهم بالقرآن الکریم؟

الجواب : لا یوجد فی التعالیم الدینیّه التی وصلتنا عن أئمّه أهل البیت (علیهم السلام) ما یُشیر إلی أنّ الدعاء أهمّ من القرآن الکریم، فالقرآن هو المعجزه الإلهیّه الخالده، وهو آخر کتابٍ سماویٍ، کما أنّ الکثیر من الأحادیث الشریفه قد أکّدت علی ضروره قراءته وحفظه وتلاوته بصوت حسن، وهناک الکثیر من الکتب دُوّنت حول أهمیّته.

ویکفی فی هذا المجال مراجعه کتاب (القرآن الکریم فی أحادیث أهل البیت (علیهم السلام)) ، وهو الکتاب الذی نُشر فی إیران ومصر، وکلّ من یراجع هذا الکتاب یجد عظمه القرآن وأهمیته عند أئمّه أهل البیت (علیهم السلام) .

وتُعیر الجمهوریّه الإسلامیّه الإیرانیّه فی یومنا هذا اهتماماً کبیراً بمسأله حفظ القرآن الکریم، سواء للرجال أم النساء، وحتّی الجیل الناشیء، بحیث نجد بعض الأطفال الذین کان لهم من العمر خمس سنوات أو أقلّ حفظوا القرآن وحازوا علی جوائز متعدّده فی المسابقات الدولیّه والمسابقات المحلیّه التی تقام سنویاً فی إیران، والتی یُدعی فیها حکّام دولیّون. وتعقد هذه المسابقات فی مجال الحفظ، والترجمه، والتفسیر، ویمنح الفائزون الجوائز من أجل تشجیعهم علی الاهتمام بالقرآن الکریم.

ص: ۹۱

کما أسّست الجمهوریّه الإسلامیّه الإیرانیه قناه خاصّه بالقرآن الکریم تبث برامجها بصوره متواصله لیلَ نهارَ.

وأمّا اهتمام الشیعه بالأدعیّه، ولا سیّما دعاء کمیل ودعاء الندبه، وقراءتهم لهما بصوره جماعیّه فی لیالی الجمعه وصباح أیام الجمعه، أدّی إلی توهّم البعض بأنّ الشیعه تهتمّ بالدعاء أکثر من القرآن! ولکن الواقع لیس کذلک، بل الحقیقه هی أنّ الشیعه والسنّه کلاهما یهتمان بالقرآن الکریم، ولکن أهل السنّه لایهتمون بالدعاء کما یهتمّ الشیعه به؛ لأنّهم لا یمتلکون أدعیه مثل الشیعه الذین لدیهم عدد کبیر منها وصلهم عن طریق أهل البیت (علیهم السلام) ، وهذا ما أدّی إلی قلّه أهل السنّه بالدعاء.

ومن المؤکّد أنّ الدعاء ومناجاه الله من أسمی مراتب العباده، وقد ورد فی الحدیث الشریف: «

الدعاء مخّ العباده » . (۱)

۱- سفینه البحار، ج ۱، ماده: دعا. .

ص: ۹۲

ص: ۹۳

الفصل الرابع: الإمامه عند الشيعه

١. الإمامه فی القرآن

اشاره

السؤال الذی یُطرح هنا، هو : إذا کانت الإمامه من أصول الدین، فلماذا لم یشر القرآن الکریم إلی ذلک؟

الجواب : لا یوجد خلاف بالنسبه إلی ضروره قیام شخص لائق بتولّی زمام الأمور فی المجتمع بعد رحیل الرسول (ص) ، وهذا ما یحکم به عقل کلّ انسان منصف؛ وأمّا القرآن الکریم، فقد أشار إلی الإمامه بصوره عامّه، ولیس الأمر، کما ورد فی السؤال بأنّ القرآن لم یشر إلیها.

وأمّا الآیات القرآنیّه التی ذُکرت فیها إلی الإمامه، فهی کالآتی:

١. آیه الولایه

(إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاهَ ویُؤْتُونَ الزَّکاهَ وهُمْ راکِعُونَ) (المائده: ۵۵) ، وشأن نزول هذه الآیه، کما نقل الکثیر من المفسّرین ورواه الحدیث، کما یلی:

دخل سائل إلی مسجد الرسول (ص) ، وطلب المساعده ممّن کان فی المسجد،

ص: ۹۴

فلم یعطه أحد شیئاً، وکان الإمام علی (ع) فی الرکوع، فأشار للسائل ومدّ یدیه لیأخذ خاتمه، فتقدّم السائل وأخرج الخاتم من ید الإمام وذهب لشأنه.

وعندما اطّلع الرسول علی هذه الواقعه، قال (ص) : «اللّهم، اجعل لی وزیراً من أهلی، کما جعلت هارون من موسی، فأوحی الله عزّ وجل إلیه أنّ علیاً وزیرک وناصرک. . .» . (۱)

وقد ذکر شأن نزول هذه الآیه - إضافه إلی علماء الشیعه - ۶۶ شخصاً من کبار علماء الحدیث والکلام من أهل السنّه فی مصادرهم مع اختلاف یسیر، وقد جمع العلّامه الأمینی هذه المصادر فی کتابه القیّم «الغدیر» . (۲)

وأما بالنسبه إلی صله هذه الآیه بمسأله الإمامه، نقول:

الولایه فی هذه الآیه تعنی استلام زمام الأمور، ولهذا یُقال للأب والحاکم (ولی) . ویُقال (الأب ولیّ الطفل) ، و (الحاکم ولیّ القاصر) .

وبما أنّ الکلام فی هذه الآیه یدور حول (ولی المؤمنین) فالمقصود من ذلک هو الإمامه والحاکمیّه.

وكذلك فإنّ القرائن الموجوده فی الآیه وشأن نزولها دلیلٌ علی أنّ المقصود من: (الولایه) هنا الإمامه والحاکمیّه.

ومن هذه القرائن نذکر مایلی:

۱. إذا کان المقصود من (الولی) فی (ولیکم) ما عدا الولایه والزعامه الدینیّه والحاکمیّه السیاسیّه، وأُرید منها (المحبّ) و (الناصر) ، فسیکون حص-ر الولایه - أی حص-ر المحبّه والنص-ره - فی الله والرسول، والمتصدّق

۱- بحار الأنوار، ج ۲۳، ص ۲۲۱.
۲- انظر: الغدیر، ج ۳، صص ۱۵۶- ۱۶۲. .

بالخاتم سیکون حصراً لا معنی له؛ لأنّ المؤمنین بعضهم محبّ وناصر لبعض، ولا تختص المحبّه بهؤلاء الثلاثه.

۲. یبدومن الآیه بأنّ هؤلاء الثلاثه فقط لهم الولایه علی المسلمین، ومن هنا نستنتج بأنّ من تکون له الولایه یغایر من علیه الولایه، وإذا کان الولی فی هذه الآیه یعنی القائد والحاکم، فالسبیل لتمییز من له الولایه ومن علیه الولایه هو أمر ممکن.

ولکن إذا قلنا إنّ الولی فی هذه الآیه یعنی المُحبّ والناصر، فلا یمکن تمییز من له ومن علیه الولایه؛ لأنّ کلّ واحد من المؤمنین محبّ وناصر للآخر.

۳. إذا کان المقصود من الولی فی هذه الآیه المُحبّ والناصر، فکان المفروض الاکتفاء بقوله: (الَّذِینَ آمَنُوا) وعدم ذکر قوله: (الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاهَ ویُؤْتُونَ الزَّکاهَ وهُمْ راکِعُونَ) ؛ لأنّ جمیع المؤمنین أحدهم محبّ وناصر للآخر، سواء تصدّقوا فی حالهالرکوع أم لم یتصدّقوا فی تلک الحاله.

لذا، نستنتج بأنّ المقصود من الولایه هنا القیاده والحاکمیه.

وهذا ما أشار الیه الرسول (ص) بقوله للإمام علی (ع) : «

أنت ولی کلّ مؤمن بعدی ومؤمنه » . (۱)

وعباره: «بعدی» أفضل شاهد علی أنّ المقصود من الولایه فی هذا المقام هو القیاده والحاکمیّه فی الأمور الدینیّه والدنیویه، ولیس المقصود منها المحبّه والنصره؛ لأنّ المسلمین مکلّفون بمحبّه الإمام علی (ع) ونص-رته فی زمن رسول الله (ص) وبعد رحیله (ص) ، ولا یوجد معنی لتخصیص هذه المحبّه والنصره بعد الرسول (ص) .

۱- المستدرک للحاکم، ج ۳، ص ۱۱۱؛ مسند أحمد، ج ۴، ص ۴۳۷. .

٢. آیه أولی الأمر

إنّ الآـیه السـابقه لیست الآـیه الوحیـده المرتبطه بالإمـامه والولایه، بل إنّ آیه إطاعه أولی الأمر هی أیضاً من الآیات التی أشارت إلی مسأله الإمامه، وهذه الآیه قوله تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللهَ وأَطِیعُوا الرَّسُولَ وأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ) (النساء: ۵۹) .

وأولو الأمر فی هذه الآیه هم من تجب طاعتهم إلی جانب طاعه الله وطاعه الرسول (ص) ، وقد قال الفخر الرازی فی تفسیره لهذه الآیه:

اعلم: أنّ قوله (وأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ) یـدلّ عندنا علی أنّ إجماع الأمّه حجّه، والدلیل علی ذلک، أنّ الله تعالی أمر بطاعه أولی الأمر علی سبیـل الجزم فی هـذه الآـیه، ومن أمر الله بطاعته علی سبیل الجزم والقطع لا بـدّ وأن یکون معصوماً عن الخطأ؛ إذ لولم یکن معصوماً عن الخطأ کان بتقـدیر إقـدامه علی الخطأ یکون قـد أمر الله بمتابعته، فیکون ذلک أمراً بفعل ذلک الخطأ والخطأ لکونه خطأ منهیٌّ عنه. . .

فثبت أنّ الله تعـالی أمر بطـاعه أولی الأـمر علی سبیـل الجزم، وثبت أنّ کـلّ من أمر الله بطـاعته علی سبیل الجزم وجب أن یکون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولی الأمر المذکور فی هذه الأیه لا بدّ وأن یکون معصوماً. (١)

وهاتـان الآیتـان: آیه الولایه وآیه أوُلی الأمر تشیـران إلی مسأله الإمامه بصوره مسـتقلّه، وتوجـد آیات أخری من قبیل آیه إکمال الدین فانّها لا تشیر إلی الإمامه بصوره مستقلّه؛ وإنّما هی ذات صلهٍ بالإمامه ولها شأن نزول مختصٍّ بها.

١- مفاتیح الغیب المعروف بتفسیر الرازی، ج ١٠، ص ١۴۴. .

٣. آیه إکمال الدین

(الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی ورَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً) (المائده: ٣) .

ذکر المفسّـرون وجماعه من المحدّثین أنّ هذه الآیه نزلت فی حجّه الوداع وفی یوم غدیر خم، وهو الیوم الذی نصّب فیه الرسول (ص) الإمام علی (ع) للإمامه بشکلٍ رسمیٍّ. (١)

وبعد بیان هذه الآیات الثلاثه، یثبت لنا أنّ مسأله الإمامه جاءت فی القرآن الکریم، وأنّ القرآن لم یهملها قَطُّ.

٢. أسماء الأئمّه فی القرآن الکریم

اشاره

السؤال الذی یُطرح هنا، هو : لماذا لم یذکر القرآن الکریم أسماء الأئمّه الاثنی عشر؟

الجواب : إنّ منهجیه القرآن التعلیمیّه هی بیان القضایا والأصول العامّه بشکلٍ کلیٍّ، وترک بیان المصادیق والتفاصیل علی عاتق الرسول (ص) . وقد کلّف الله تعالی الرسول - إضافه إلی تلاوه القرآن للناس - أن یبیّن لهم أیضاً ما نزل إلیهم، وقال تعالی: (وأَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ ولَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ) (النحل: ۴۴) .

وإذا تأملنا فی هذه الآیه نجد أنّ الله تعالی قال للرسول (ص) : (لِتُبَیِّنَ) ولم یقل: (لتقرأ) أو (لتتلو) ، وهذا یثبت أنّ مهمّته -إضافه إلی القراءه والتلاوه -

---

۱- الدر المنثور، ج ۲، ص ۲۹۸؛ فتح القدیر، ج ۲، ص ۵۷؛ ینابیع المودّه، ص ۱۲۰؛ تفسیر المنار، ج۶، ص ۴۶۳؛ و قد نقل العلّامه الامینی (رحمه الله) فی کتابه الغدیر ۱۶ مصدراً جاء فیها بأنّ شأن نزول آیه إکمال الدین هو یوم الغدیر. انظر: الغدیر، ج ۱، صص ۴۴۷- ۴۵۸. .

ص: ۹۸

هی تبیین حقائق القرآن للناس.

إذن، فإنّ المرجع لبیان المصادیق والتفاصیل هو الرسول (ص) ، لا القرآن الکریم، ولهذا نجد من نماذج منهجیّه القرآن فی خصوص التعریف بالأشخاص هی کما یلی:

۱. التعریف بالاسم

یقتضی الأمر فی بعض الأحیان أن یذکر القرآن اسم من یبتغی التعریف به، کما فی قوله تعالی: (ومُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ) (الصف: ۶) .

۲. التعریف بالعدد

یقتضی الأمر تارهً أن یشیر القرآن الکریم إلی عدد من یبتغی التعریف بهم، کما فی قوله تعالی: (ولَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِیثاقَ بَنِی إِسْرائِیلَ وبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَیْ عَشَ-رَ نَقِیباً) (المائده: ۱۱) .

۳. التعریف بالصفه

اشاره

یقتضی الأمر فی بعض الأحیان أن یشیر القرآن الکریم إلی صفه من یبتغی التعریف بهم، وذلک کما جاء تعریف نبیّنا الکریم (ص) فی التوراه والإنجیل: (الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراهِ والْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ویَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ ویُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ ویُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ ویَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ) (الاعراف: ۱۵۷) .

لذا، حسب هذه المنهجيّه فإنّ تصوّر ذكر القرآن الكريم أسماء الأئمّه الاثنى عشر مع ذكر أسماء آبائهم وأمّهاتهم، هو تصوّرٌ فى غير محلّه؛ لأنّ المصلحه أحياناً تقتضى التعريف بالاسم، وأحياناً أُخرى تقتض-ى التعريف

ص: ۹۹

بالعدد، أو التعريف بالوصف.

وإذا ما تمسّكنا بهذا الأصل وقلنا بلزوم الذكر الص-ريح لجميع المسائل الخلافيّه فى القرآن الكريم؛ لئلّا تكون ذريعه للاختلاف بين المسلمين، فإنّنا سنتوقّع مجىء مئات المسائل الكلاميّه والعقائديّه والفقهيّه والش-رعيّه فى القرآن، وهى مسائل أدّى الاختلاف بين المسلمين حولها إلى الحروب وسفك الدماء والجدل على مرّ العصور؛ ولكنَّ القرآن الكريم لم يبيّن هذه المسائل بشكلٍ صريحٍ وتفصيليٍّ لتكون هذه الصراحه فصل الخطاب لحلّ النزاعات والاختلافات، ومن هذه المسائل نذكر على سبيل المثال مايلى:

۱. هل صفات الله هى عين ذاته أو زائده على ذاته تعالى؟

۲. ما هى حقيقه صفات الله الخبريّه من قبيل الاستواء على العرش؟

۳. هل كلام الله قديم أو حادث؟

۴. ما هى حدود الجبر والاختيار؟

فهذه المسائل وما شابهها لم ترد فى القرآن بشكل واضحٍ ومفصّلٍ بحيث تكون فصل الخطاب لحلّ النزاع، وإنّما وردت حولها آيات عامّه يمكن الاعتماد عليها فى الاستنباط.

والحكمه هنا هى أن القرآن دعا الناس للتفكّر والتأمّل فى مضامين آياته، وبيان القرآن الكريم لجميع المسائل بصوره تفصيليّهٍ من أجل إرضاء جميع الناس خلاف هذا الأصل القرآنى.

التعريف بالاسم لا يُزيل الاختلاف

يظنّ السائل بأنّه لو ورد فى القرآن اسم أحد الأئمّه أو أسماء الأئمّه فسيكون هذا الأمر سببا لإزاله الاختلاف بين المسلمين، ولكن الواقع خلاف

ص: ۱۰۰

ذلك؛ لأنّه تعالى صرّح فى بعض الموارد بالأسماء، ولكن هذا التصريح لم يحلّ الاختلاف.

ومثال ذلك أنّ بنى إسرائيل طلبوا من الله تعالى أن يعيّن لهم ملكاً يقاتلون تحت إمرته ليستعيدوا أراضيهم المغصوبه ويحرّروا

أسراهم من العدو، قال تعالى: (إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ) (البقره: ۲۴۶) .

فعرّف لهم النبىّ باسمه الصريح، فقال: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً) (البقره: ۲۴۷) .

وهـذا ما يكشف بأنّ الله تعالى عرّف لهم من يجب عليهم طاعته بالاسم، لئلّا تبقى ذريعهٌ لأحـد فى مخالفته أو التمرّد عن أوامره، ولكنهم قالوا: (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا ونَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ولَمْ يُؤْتَ سَعَهً مِنَ الْمالِ) (البقره: ۲۴۷) .

وهذا ما يكشف بأنّ ذكر الاسم لا يكفى لحلّ الاختلاف، بل إنّ الأمر يستدعى أن يكون المجتمع مستعدّاً لطاعه الأوامر الإلهيّه.

وما يـدريك، لعلّ ذكر اسـماء الأئمّه الاثنى عش-ر كان سـبباً للمزيد من طغيان الحكّام، وسـبباً لقتلهم أبناء الناس للوقوف بوجه ولاده الأئمّه: ، وذلك كما فعل فرعون عندما قتل أبناء بنى إسرائيل وذلك فى قصّه ولاده النبىّ موسى (ع) .

وما يشهد على ذلك أنّ الفتره الزمنيه التى ولد فيها الإمام المهدى (ع) كانت مليئه بالضغوط السياسيّه لدى الحكومه إزاء الشيعه، حيث واجهوا ظلمـاً واضـطهاداً، بحيث كـان الإمـام العسـكرى (ع) تحت الإقامه الجبريّه لفتره طويله، لئلّا يُولـد له مولود، أو ليقتل بمجرّد ولادته.

وفى الختام نلفت الانتباه إلى أنّ القرآن الكريم يشبه الدستور، فكما

ص: ۱۰۱

لا‌يجب للنـاس أن يتوقّعـوا مـن الدسـتور بيـان التفاصـيل، فعليهم أيضـاً أن لا‌يتوقّعوا من القرآن بيـان الأـمور التفصـيليّه مع ذكر المصاديق والجزئيّات.

ونحن نرى بـأنّ الصـلاه والصـوم والزكـاه على الرغم من أهميّتهمـا بين سـائر الفرائض الشـرعيّه، ولكن مع ذلـك لم يشـر القرآن الكريم إلى جزئيّاتها، بل اكتفى ببيان احكامها العامّه وأوكل أمر بيان الجزئيّات إلى الرسول (ص) .

۳. زمان نشوء الاعتقاد بإمامه الأئمّه الإثنى عشر

السؤال الـذى يُطرح هنـا، هو : متى نشـأ الاعتقاد بإمامه الأئمّه الإثنى عش-ر؟ هل نشأ هـذا الاعتقاد فى عهـد الرساله أو بعـد وفاه الإمام العسكرى (ع) ؟

الجـواب : لقـد طرحت مسأله خلافـه الأـئمه الا‌ثنى عشـر من قِبـل قريش – أو من قِبـل بنى هـاشم – زمن الرسول (ص) ، ولكنّ المسلمين تعرّفوا على أسماء هؤلاء الاثنى عشر بصوره تدريجيّه، وكان كلّ إمام يعرّف الإمام والوصى الذى يليه.

وتشير الأدلّه القاطعه إلى أنّ الرسول (ص) عيّن الإمام على (ع) للإمامه والقياده من بعده فى مناسـباتٍ مختلفهٍ، ولا سـيّما فى يوم الغدير. وأعلن بأنّ إمامه على (ع) أصل من أصول العقائد الإسلاميّه، كما أنّه أخبر المسلمين بإمامه سبطيه الحسن والحسين (ع) ، وقال:

«الحسن والحسین سبطای من هذه الأمّه، إن قاما أو قعدا» . (۱)

ونصّ الإمام الحسین (ع) من بعده علی ولده الإمام زین العابدین (ع) ، ثمّ ورد النصّ من بعده علی الإمام الباقر (ع) ، ثمّ الامام الصادق (ع) الذی أحیا

۱- البیهقی، الرساله فی نصیحه العامّه، صص ۱۸ و ۶۸؛ إحقاق الحق، ج ۲۶، ص ۴۸. .

سنّه الرسول (ص) وکان إمام المحدّثین والفقهاء. وهکذا کان کلّ إمام ینصّ علی الإمام الذی من بعده، وذلک علی الرغم من وجود الکبت والاضطهاد الذی کانوا یتعرّضون له.

وکان کلّ إمام یقوم بمهامه حسب استطاعته وقدرته، وکان الشیعه أیضاً یعتقدون اعتقاداً جازماً بإمامه من یرد علیهم النصّ.

وظنّ البعض بأنّ العقیده بإمامه إثنی عش-ر إماماً قد نشأت بعد وفاه الإمام العسکری (ع) ، ولکن هذا الظنّ ناشئ من الجهل بتأریخ التشیّع، ولدینا بحوث مفصّله حول تأریخ التشیّع، وبإمکان من یرغب بتوسیع نطاق معرفته فی هذا المجال أن یراجع هذه البحوث والدراسات.

۴. وصایه الإمام علی (ع)

اشاره

السؤال الذی یُطرح هنا، هو : لماذا تعتقدون بأنّ الامام علی (ع) هو وصیّ رسول الله (ص) ؟

الجواب : أصبح الإمام علی (ع) وصیّاً لرسول الله فی مرحلتین، هما:

أ) مرحله تجهیز الرسول (ص) : أوصی النبیّ (ص) علیاً (ع) حین وفاته (ص) بأن یتولّی أمر تغسیله وتکفینه ودفنه؛ ولهذا قام بهذه الأمور بعد وفاه الرسول (ص) ، وهذه الوصایه لاینکرها أحد، وقد اتّفق المسلمون کافهً علی أنّ الإمام علی (ع) کان وصیّاً من قبل الرسول للقیام بأمر تجهیزه بعد وفاته.

ب) الوصایه فی أمر الخلافه بعد الرسول (ص) : عیّن الرسول (ص) الإمام علی (ع) فی مناسباتٍ عدیدهٍ وصیّاً من بعده لإداره شؤون الأمّه، ولونظرنا إلی هذه المسأله بنظره بعیده عن التعصّب، نجد أنّ هذه الوصایه کانت واضحه منذ حیاه الرسول (ص) ، بحیث کان یُلقّب فی تلک الفتره ب-(الوصی) ، وقد ورد هذا

اللقب فی الشعر والنصوص الأدبیّه المنقوله من تلک الفتره.

وینقل المف–سّرون ورواه الحدیث فی خصوص قوله تعالی: (وأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ) (الشعراء: ۲۱۴) ، مایلی:

فجمع النبی رؤوس بنی هاشم، وقال: «یا بنی عبد المطّلب. . . إنّی قد جئتکم بخیر الدنیا والآخره، وقد أمرنی الله تعالی أن أدعوکم إلیه، فأیّکم یؤازرنی علی هذا الأمر یکون أخی ووصیی ووزیری وخلیفتی فیکم؟»

ولقد کرّر النبی العباره الأخیره ثلاث مرّات، ولم یجبه فی کلّ مدّهٍ سوی الإمام علی (ع) الذی أعلن استعداده. لمؤازره النبی ونصرته.

وفی المره الثالثه، قال النبی (ص) :

«إنّ هذا أخی ووصیّی وخلیفتی فیکم، فاستمعوا له وأطیعوا» .

وهذا الحدیث معروف بحدیث: (یوم الدار) ، وقد نقله الکثیر من المحدثین وأهل السیر. (۱)ولا تقتصر مسأله وصایه الإمام علی (ع) علی هذا الحدیث، بل توجد أحادیث أخری تثبتها، منها حدیث (الثقلین) ، و (السفینه) ، و (الغدیر) ، وهی أحادیث معروفه ولم نذکرها مراعاه للاختصار.

وقد قال أمیرالمؤمنین فی إحدی خطبه حول أهل بیت الرسول (ص) :

«وفیهم الوصیّه والوراثه» . (۲)

وصایه الإمام علی (ع) فی شعر الشعراء المعاصرین لعصر الرساله

کان الإمام علی (ع) معروفاً بلقب (الوصی) فی عصر الرساله، وبعد ذلک

۱– تاریخ الطبری، ج ۲، صص ۳۱۹ – ۳۲۱؛ تاریخ کامل، ابن اثیر، ج ۱۲، صص ۶۲ و ۶۳؛ منتخب کنزالعمال فی حاشیه مسند أحمد، ج ۵، صص ۴۱ – ۴۲.
۲– نهج البلاغه، خطبه ۲. .

العصر أیضاً، وکان شعراء عص–ر النبی (ص) یطلقون هذا اللقب علیه فی أشعارهم، ونذکرفیما یلی نماذج منها:

۱. عبد الله بن أبی سفیان:

وصیّ النبیّ المصطفی وابن عمّه

فمن ذا یدانیه ومن ذا یقاربه ۲. عبد الرحمن جعیل:

علیاً وصیّ المصطفی وابن عمّه

وأوّل من صلّی أخا الدین والتقی ٣. ابن التیهان (شارک فی حرب بدر) :

إنّ الوصی إمامنا وولینا

برح الخفاء وباحت الأسرار وقد نقل ابن أبی الحدید الکثیر من الأشعار التی أنشدها شعراء عص–ر الرساله وبعدها، حیث لُقّب فیها الإمام علی (ع) ب–(الوصی) . (١)والاعتراض الوحید الذی یُطرح هنا، هو ما رُوی من أنّ البعض سألوا عائشه عن وصایه الامام علی (ع) ، فقالت إنّ رسول الله (ص) لم یوص لأحدٍ عند وفاته. (٢)

ولکنّ هذا الاستدلال لنفی وصایه الإمام علی (ع) غیر صحیح؛ لأنّه علی فرض وفاه الرسول (ص) فی بیت عائشه وأنّه لم یوصِ إلی أحد فی تلک الحاله، فهذا لیس دلیلًا علی نفی وصایه الإمام علی (ع) ؛ لأنّ الرسول (ص) أکّد علی هذا الأمر طیله فتره حیاته، وإذا لم یذکر الرسول (ص) وصایه الإمام علی (ع) فی لحظه مفارقته للحیاه، فهذا لا یدلّ علی نفی وصایه أحد بعده.

وأمّا الادّعاء بأن رسول الله (ص) لم یوصِ مطلقاً حین وفاته، فهو غیر ممکن،

١– انظر: شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید، ج ١، صص ١٤٣–١٥٠.

٢– انظر: صحیح البخاری، ج ١، کتاب الوصایا، ح ٢٧٤١. .

وکیف یترک الرسول (ص) الوصیّه وهو یقول: «

ما حقّ امرئ مسلم له شیء یوصی فیه یبیت لیلتین إلّا ووصیّته مکتوبه عنده » . (١)

٥. مَن هم أولو الأمر؟

السؤال الذی یطرح هنا، هو : ما هو الدلیل علی تفسیر (أولی الأمر) فی قوله تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللهَ وأَطِیعُوا الرَّسُولَ وأُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ) (النساء: ٥٩) . بأشخاص معیّنین؟

الجواب : هناک رأیان حول المقصود من (أولی الأمر) ، هما کالتالی:

١. قاده الجیش.

٢. علماء الدین.

وذهب البعض إلی الرأی الأوّل؛ لأنّ لفظ (الأمر) یُف–سّر بإصدار الأوامر، ولکن هذا القول غیر صحیح لسببین، هما:

أوّلاً : يحتمل أن يكون المقصود من: (الأمر) هنا هو (الشأن والمنزله) ، ويكون هذا المعنى أكثر انسجاماً مع الرأى الثانى.

ثانياً : هذه الآيه تمهيد للآيه التى تليها، حيث سنذكرها لاحقاً، وشأن نزول الأخيره لا ينسجم مع تفسير أولى الأمر بالأمراء وقاده الجيش، بل ينسجم مع الرأى الثانى.

وذكر المفسّرون حول شأن نزول هذه الآيه مايلى: «كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومه، فقال اليهودى: أحاكم إلى محمّد؛ لأنه علم أنّه لا يقبل الرشوه ولا يجور فى الحكم. فقال المنافق: لا بل بينى وبينك

۱- انظر: صحيح البخارى، ج ۱، كتاب الوصايا، ح ۲۷۳۸. .

كعب بن الأشرف؛ لأنّه علم أنّه يأخذ الرشوه» . فنزلت الآيه عن اكثر المفسرين. (۱)

وبعد هذه الواقعه نزلت آيه أولى الأمر والآيه التى تليها. وآيه أولى الأمر: هى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تنازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: ۵۹) .

الآيه التى تلى آيه أولى الأمر هى: (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيداً) (النساء: ۶۰) .

بناءاً على ما تقدّم ذكره فإنّ الرأى الثانى هو الصحيح؛ لأنّ مسائل القضاء ترتبط بعلماء الدين ولا صله لها بقاده الجيش. ولكن الكلام يدور هنا حول مصداق هؤلاء العلماء.

فهل الآيه تشمل جميع العلماء أو تقصد مجموعه خاصّه متّصفه بالعصمه؟

والجواب كامن فى نفس هذه الآيه، فنقول:

۱. لفظ: (أُولِى الْأَمْرِ) معطوف على لفظ (الرَّسُولَ) ، وعامل النصب فى كليهما هو فعل واحد، قال تعالى: (أَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) . وهذا ما يكشف بأنّ المعطوف (أُولِى الْأَمْرِ) فى مرحله القضاء والحكم يكون فى رتبه واحده مع (الرَّسُولَ) ، فكما أنّ الرسول معصوم من الذنب والاشتباه كذلك أولو الأمر معصومون، ومن هنا نستنتج بانّ المقصود من علماء الدين فى هذه الآيه هم العلماء المعصومون.

۱- مجمع البيان، ج ۲، ص ۲۶۴. .

۲. الطاعه المذکوره فی هذه الآیه لأولی الأمر، مطلقهٌ وغیر محدودهٍ أو مقیّدهٍ، مثلاً لم یرد فیها: (أطیعوا أولی الأمر ما لم تکن فی أوامرهم معصیه لله) ، فلوکانت الطاعه مقیّده لصحّ القول بأنّ (أُولِی الْأَمْرِ) غیر معصومین.

ولکن بما أنّ طاعه هؤلاء مطلقه فإنّها تکشف عن لزوم عصـمه أولی الأمر، وأنّ أوامرهم لا تخالف الشـرع أبداً ولا یعتریها الخطأ والاشتباه.

لذلک نجد أنّ الله تعالی جعل طاعه الوالدین محدوده، فقال: (ووَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حُسْـناً وإِنْ جاهَداکَ لِتُشْـرِکَ بِی ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما) (العنکبوت: ۸) .

فطاعه الوالـدین فی هـذه الآـیه مقیّـدهٌ، بینما طاعه أولی الأمر مطلقهٌ، وهـذا یـدلّ علی أنّ أولی الأمر لهم خصوصـیّه تختلف عن الوالدین، بحیث أصبحت طاعتهم مطلقه، وهذه الخصوصیّه هی العصمه.

وکما نعلم، فلا یجوز لنا إطاعه أیّ مخلوقٍ فیما یخالف الش-رع، کما قال رسول الله (ص) :

«لا طاعه لمخلوق فی معصیته الخالق» . (۱)

وقال تعالی: (إِنَّ اللَّهَ لا یَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ) (الأعراف: ۲۸) .

فمع لحاظ هاذین النصّین نستنتج التالی:

أ) طاعه أولی الأمر فی الآیه مطلقهٌ وغیر مقیّدهٍ.

ب) طاعه أیّ شخص فی أمرٍ مخالفٍ للشرع، حرامٌ.

النتیجه : أولو الأمر لا یأمرون بشـیء فیه خلاف الشـرع أبداً، فلوکان من الممکن أن تصدر منهم أوامر تخالف الشـرع لما أمر الله العباد بطاعتهم بصوره مطلقه.

۱- وسائل الشیعه، ج ۸، ص ۵۹. .

ومن هنا تثبت عصـمه أولی الأمر، وحیث لم تثبت العصمه لأحد بعد رسول الله إلا للأئمّه الاثنی عشر (ع) ، یکون المقصود من (أُولِی الْأَمْرِ) هو الأئمّه الإثنی عشر: .

وقـد ورد عن أئمّه أهل البیت (علیهم السـلام) أکثر من ثلاثین حدیثاً صـحیحاً ومرسـلاً حول تفسـیر: (أُولِی الْأَمْرِ) ، وکلّها تؤکّد علی أنّ أولی الأمر هم الأئمّه الإثنی عشر: . (۱)

۶. أسطوره خان الأمين

السؤال الذی یطرح هنا، هو : هل صحیح أنّ الشیعه یکرّرون بعد صلاتهم عباره (خانَ الأمینُ) ثلاث مرّاتٍ؟

هـذا السؤال یتضـمّن افتراءاً نسـبه البعض إلی أتبـاع مـذهب أهـل البیت (علیهم السـلام) من أجل تشویه سـمعتهم، ولهـذا الإفتراء جـذور قـد لا یعلمها السائل، وذلک أنّ الیهود کانوا یعتقـدون بأنّ النبوه یجب أن تکون فی سـلاله یعقوب، ولایصحّ لها الخروج من هـذه السـلاله. ولکن عنـدما بُعث رسول الله (ص) وجـاء بـبراهین قـاطعه علی صـحّه نبوّته، حـاول الیهود وضع عقبـاتٍ أمـامه فـاتهموا جبرئیـل بالخیـانه وقـالوا: (خـان الأـمین! خـان الأمین! خان الأمین!) ؛ لأنّه کان من المفروض أن یعطی النبوّه لأحـد أبناء إسحاق، ولکّنه نقلها إلی رجلٍ من أبناء إسماعیل (ع) ، وهذا الأمر هو سبب عداوه الیهود الشدیده مع جبرئیل الأمین.

وقال الفخر الرازی فی تفسیره: «زعمت الیهود أنّ جبرئیل (ع) عدوّنا،

۱- انظر: تفسیر البرهان، ج ۱، صص ۳۸۱- ۳۸۶. .

أُمر أن یجعل النبوّه فینا فجعلها فی غیرنا، فأنزل الله هذه الآیات» . (۱)

وتظاهر الیهود بمحبّه میکائیل، فواجههم القرآن الکریم بشـدّه، فقال تعالی: (قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وهُدیً وبُشْری لِلْمُؤْمِنِینَ) (البقره: ۹۷) .

فانظر ما یقوله الیهود ضدّ المسلمین، وکیف ینسبه البعض إلی الشیعه؟ !

وکلّ من ینسب هذا البهتان إلی الشیعه، فهو لا یتقی الله، وهو من مُناهضی وحده المسلمین.

وصـلاه الشیعه فی یومنا هذا لا تخفی علی أحد، فملایین الشیعه یؤدّون صلاتهم أمام أنظار العالم، ومن المستحیل أن تجد واحداً منهم یذکر هذه العباره، بل الجمیع یرفعون أیدیهم ویقولون (الله اکبر) ثلاث مرّات، بل إنّ غالبیه الشـیعه لم یسـمعوا بهذه العباره أبداً.

۷- عصمه الأئمّه

السؤال الذی یطرح هنا، هو : ما هو الدلیل علی عصمه أئمّه أهل البیت (علیهم السلام) ؟

الجواب : العصـمه کیفمـا عرّفناهـا فهی أوّلاًـ وبالـذات لله تعـالی، فهو تعـالی فی ظلّ علمه الأزلی، منزّه عن الخطأ والاشـتباه، وهو الحکیم المنزّه عن الأفعال التی لا تلیق بشأنه.

وهذا التنزیه غیر مختصّ بعصـمه الله تعالی، بل یشمل سائر الصفات الإلهیّه، فهو تعالی العالم والقادر والحیّ بالذات، وعلم وقدره

وحیاه کلّ ما

۱– التفسیر الکبیر، ج ۳، ص ۱۹۵. .

ص: ۱۱۰

سواه منه تعالی.

بعباره أخری : فإنّه تعالی هو الغنیّ المطلق، وما سواه فقیرٌ بالذات.

وقد قال تعالی: (یا أَیُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَی اللهِ واللهُ هو الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ) (فاطر: ۱۵) .

وهـذا الغنی الإلـهی بالـذات هو السبب فی غنی کـلّ من سواه، وهو مصـدر حیاه جمیع المخلوقات وهو الـذی یفیض علی عباده العلم والقدره.

ومسأله العصـمه مـن هـذا القبیـل أیضـاً، فهی قـدرهٌ یمنحهـا الله لبعض عبـاده حسب اقتضـاء المصـلحه، فیصـطفیهم لتعلیم عبـاده وهدایتهم إلی الحقّ، فیدعمهم بقوّهٍ تصونهم من الخطأ والاشتباه دون أن یسلب منهم الإراده والاختیار.

وهـذه القوّه التی یُطلق علیها (روح القدس) قد تکون کامنهً فی ذات المعصوم أو قد تکون مُهیّأهً له فی الخارج، کالملاک الذی یصونه من الزَّلل. لـذا فإنّ العصـمه الـذاتیه فی عین اختصاصـها بالله تعالی، فهی تصون الأنبیاء من الوقوع فی الخطأ ومن ارتکاب المعاصـی بأنواعها؛ وهذا ینطبق مع معتقدات جمیع المسـلمین حول عصمه نبیّنا الکریم (ص) الذی هو مصونٌ من الخطأ والذنب. وقد ذکرت أدلّه عصمته فی مختلف مصادر المسلمین العقائدیّه، شیعهً وأشاعرهً ومعتزلهً، وغیرهم.

وأما عصمه الأئمّه الإثنی عشر: عن طریق الأدلّه المنقوله، فهی قطعیّه، نذکر هنا بعضها:

۱. الأئمّه: ، کما ورد فی حـدیث الثقلین، هم عِـدْلُ القرآن، وهـذا ما یلازم المساواه والتشابه بینهم وبین القرآن الکریم، وبما أنّ القرآن هو کلام الله وهو معصوم ومنزّه من الخطأ، فلهذا یکون عِدله أیضاً معصوماً ومنزهاً عن الخطأ.

ص: ۱۱۱

وقـال الرسول (ص) إنّ القرآن والعتره لن یفترقـا حـتی یردا علیه الحوض، فلوجـاز صـدور الخطأ من العتره، فهـذا لافترقت عن القرآن.

فهل یعقل صدور الخطأ ممّن عرّفهم الرسول (ص) ، بأنّهم ما إن تمسّک بهم العباد لن یضلّوا أبداً؟ !

۲. آیه التطهیر التی تتحدّث عن أهل البیت (علیهم السلام) ، قد بیّنت أنّ إراده الله التکوینیّه والقطعیّه تعلّقت بتطهیرهم من جمیع أنواع الرجس.

والمقصود من إراده الله هو إذهاب الرجس عن أهل البيت (عليهم السلام) وتطهيرهم، حيث يُفسّر هذا المعنى بتفسيرين، هما:

أ) الإراده التشريعه. أى أنّ الله شاء تطهير أهل البيت (عليهم السلام) من الرجس شرعاً.

ب) الإراده التكوينيّه. أى أنّ الله طهّر اهل البيت (عليهم السلام) من الرجس ذاتاً فى عالم التكوين.

الإراده وفق المعنى الأوّل غير مختصّه بأهل البيت (عليهم السلام) ، بل قد تشمل جميع الناس؛ لأنّ الله أمر جميع عباده أن يبتعدوا عن الرجس؛ بينما آيه التطهير مختصّه بأهل البيت (عليهم السلام) . إذ قال تعالى: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) .

فالإراده المقصوده هنا إراده خاصّه، ولهذا لا يمكن اعتبار هذه الإراده تشريعيّهً تشمل جميع البشر.

لذا، نستنتج أنّ المقصود من الإراده الإلهيّه هنا هى الإراده التكوينيّه، ولايخفى بأنّ هذه الإراده فى خصوص أفعال أهل البيت (عليهم السلام) تعنى منحهم مقوّمات الطهاره، وهى فى نفس الحين لا تعنى سلب قدرتهم عن فعل القبيح.

ص: ۱۱۲

وشبّه الشيخ المفيد \ العصمه بقوله: «مثل إعطائنا رجلًا غريقاً حبلًا ليتشبث به فيسلم، فهو إذا أمسكه واعتصم به سمّى ذلك الشىء عصمه له، لما تشبث وسلم به من الغرق، ولو لم يعتصم به لم يسمَّ عصمه» . (۱)

والأدلّه التى تثبت عصمه الأئمّهالاثنى عش–ر: كثيره جدّاً، ولكنّنا لم نذكرها فى هذا المقام مراعاهً للاختصار.

۸. علم الائمّه: بالغيب

السؤال: العلم بالغيب مختصٌّ بالله تعالى، فكيف يمكن أن يعلم به الأنبياء وأئمّه الشيعه؟

الجواب: العلم بالغيب تارهً يطلق على العلم بالغيب الذاتى الذى ينبع من الذات، وهو غير اكتسابى، وليس له حدودٌ تقيّده؛ وهذا العلم مختصّ بالله، ولا يناظره فى ذلک أىّ كائنٍ كان. لأنّ كلّ ما سواه فقير بالذات، وكلّ من يتّصف بالعلم فإنّه يستمدّ علمه من الله، ولا يوجد فرق فى هذا المقام بين العلم بالأمور الحسّيه أوالأمور الخفيّه. فالإنسان لا يبصر ولا يسمع إلّا بإراده الله تعالى وقدرته.

وتاره يطلق على العلم بالغيب الغير الذاتى وهو اكتسابى.

وهو إذا تعلقت الإراده الإلهيّه – حسب اقتضاء المصلحه – تعلّق علم الغيب بأحد الأولياء، فهذا الأمر ممكن ولا يوجد أىّ مانع من تحقّقه، ولايوجد محذورٌ فى أن يُطلع الله بعض العباد العاديّين على ما عنده من علم الغيب، فكيف إذا أراد أن يطلع الأنبياء والأولياء على هذا العلم؟

١- أوائل المقالات، ص ١٣٥. .

ص: ١١٣

وبما أنّ المخاطبين من كلامنا هـذا يُـذعنون لما جاء فى كتاب الله تعالى، نقلو إنّ القرآن الكريم قـد صـرّح به وذلك فى الآيات التى تشير إلى إنباء الرسل والأنبياء على الأمور الغيبيّه، وكلّ من يتأمّل فى هذه الآيات، فإنّه لا يسعه إنكار هذه الحقيقه.

وتنقسم الآيات القرآنيّه الوارده فى هذا المجال إلى قسمين، كما يلى:

القسم الأوّل : الآيات التى تصرّح بعلم الأنبياء بالأمور الغيبيّه وتثبت أن الله تعالى أطّلع أنبياءه على الغيب.

القسم الثانى : الآيـات التى تكشف بوضوح بأنّ الأنبياء أخبروا فى بعض الموارد الخاصّه عن الغيب، وهـذه الآيات متمّمه للقسـم الأوّل فى إثبات علم الأنبياء بالغيب.

أمّا آيات القسم الأوّل، فهى:

أ) (ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ولكِنَّ اللهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ وإِنْ تُؤْمِنُوا وتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (آل عمران: ١٧٩) .

والمقصود من الآـيه أنّه تعـالى لاـ يرضـى بعـدم تمييز الخبيث عن الطيب والمنـافق عن المؤمن، ويفعـل الله من أجـل تحقّق هـذا الهدف أمرين هما:

١. الاختبار الذى يتميّز فيه المؤمن الحقيقىّ من المنافق، فقال تعالى:

(ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) .

٢. إخبار بعض الرُّسل بالغيب ليعلموا واقع كلّ إنسانٍ وليتمكنوا من تمييز الخبيث من الطيّب، فقال تعالى:

(وما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ولكِنَّ اللهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ) .

نستنتج من هذه الآيه أنّ الله يصطفى بعض رسله ليطلعهم على الغيب،

ص: ١١٤

وهذا دليل على علمهم بالغيب.

وإذا تأمّلنا بفحوى هذه الآيه، سـنلاحظ أنّ هذه الفضيله ليست لجميع الأنبياء، وإنّما تختصّ ببعضهم دون البعض الآخر، وعباره: (مِنْ رُسُـلِهِ) هى الشاهـد على هـذا الأـمر؛ لأـنّ لفـظ: (مِنْ) يـدلّ على التبعيض، والله تعالى إنّما: (يَجْتَبِى مِنْ رُسُـلِهِ) ليطلعهم على

الغيب.

ب) (عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَداً) (الجن: ٢٦ و ٢٧) .

ويكشف مضمون هذه الآيه بأنّ العلم بالغيب بذاته مختصّ بالله تعالى، وأنّه تعالى لا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسولٍ.

٩. الاخبار الغيبيّه عن الأنبياء

اشاره

وأمّا آيات القسم الثانى، فهى تتضمّن الأخبار الغيبيّه التى حُكيت عن الأنبياء، ولا يخفى بأنّ الأنبياء لا يخبرون بالغيب إلّا عند اقتضاء المصلحه. ونذكر من هذه الآيات مايلى:

١. النبى نوح (ع) وإخباره بالغيب

قال النبيّ نوح (ع) : (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ ولا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً) (نوح: ٢٦ و ٢٧) .

ونجد فى هذه الآيه أنّ النبيّ نوح أخبر عن أمرين من أمور الغيب، هما:

أوّلاً : سوف لا يؤمن أحد من قومه فى المستقبل.

ثانياً : سوف لا يلد أحد من قومه إلّا فاجراً كفّاراً.

ص: ١١٥

٢. يعقوب ويوسف والإخبار بالغيب

إنّ سوره يوسف مليئه بالأخبار الغيبيّه المرتبطه بالنبيّ يعقوب وابنه العزيز يوسف (ع) . ولوتأمّلنا فى هذه السوره، سنجد العديد من الآيات الداله على علم يعقوب ويوسف بالغيب، نذكر منها موردين فقط:

المورد الأوّل :

عرّف يوسف نفسه فى اللقاء الأخير الذى كان له مع إخوته وأعطاهم قميصه ليكون البشاره إلى أبيهم، وفور خروجهم من مصر، قال يعقوب:

(إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَولا أَنْ تُفَنِّدُونِ) (يوسف: ٩٥) .

وليس إخبار يعقوب عن ريح يوسف، وهو يبعد عنه مسافةً شاسعةً إلّا إخبارٌ بالغيب.

المورد الثانى :

عندما ذكر صاحبا يوسف فى السجن ماشاهدا فى منامهما له، فقد فـسّر لها ذلك بصوره صحيحه، وهذا دليلٌ على علمه بالغيب فى هذا الخصوص، حيث قال لهما: (أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْراً وأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) (يوسف: ۴۱) .

۳. إن الاخبار بالغيب لم يكن مختصّاً بالانبياء، بل نجد فى القرآن شواهد على إخبار غير الأنبياء بالغيب، كما أخبر صاحب موسى ومعلّمه عن ثلاثه حوادث ترتبط بالغيب، وهى:

أوّلاً: خرق السفينه.

ثانياً: قتل الغلام.

ثالثاً: بناء الجدار. (۱)

۱- انظر: (الكهف: ۶۰-۸۲) . .

ص: ۱۱۶

۳. السيّد المسيح وإخباره بالغيب

السيّد المسيح عيسى بن مريم (ع) هو حلقه الوصل بين الأنبياء الماضين ورسول الله (ص) هو أحد المخبرين بالغيب، ووصف نفسه بقوله: (وأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) (آل عمران: ۴۹) .

ومن معاجزه: (أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ وأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ وأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) (الصف: ۶) .

وهذه الآيات تدلّ بوضوح علم بعض الرسل والأولياء بالغيب. ونتطرّق فيما يلى إلى الحديث عن علم الرسول (ص) والأئمّه الاثنى عشر: بالغيب:

۴. إخبار رسول الله (ص) بالغيب

۱. الإخبار باستشهاد أمير المؤمنين (ع) على يد أشقى الأشقياء

رأى الإمام على (ع) الرسول (ص) ذات يوم باكياً، فاستفسر منه عن سبب ذلك، فقال (ص) :

يا على، ابكى لما يستحلّ منك فى هذا الشهر، كأنّى بك وأنت تريد أن تصلّى، وقد انبعث أشقى الأوّلين والأخرين، شقيق عاقر

ناقه صالح، يض-ربک ضربه على رأسک فيخضب بها لحيتک. (۱)

۲. الإخبار بوفاه أبی ذر وحيداً غريباً

جاء فی الحديث الشريف أنّ أباذر تأخّر عن الركب فی إحدى غزوات الرسول (ص) ، وتمرّدت ناقته عن الحركه ولم تتحرّک.

فلمّا أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثمّ خرج يتبع أثر رسول الله (ص)

۱- تاريخ بغداد، ج ۱، ص ۱۳۵؛ الكامل للمبرّد، ج ۲، ص ۱۳۲؛ نهج البلاغه: خطبه ۱۵۱ .

ص: ۱۱۷

ماشياً ونزل رسول الله فی بعض منازله، فنظر ناظرٌ من المسلمين، فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الرجل يمشی على الطريق وحده، فقال رسول الله (ص) : «أبا ذر» . فلمّا تأمّله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبوذر. فقال رسول الله: «رحم الله أباذر، يمش-ی وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده» . (۱)

وفعلاً فقد أثبت المستقبل أنّ إخبار الرسول (ص) عن الغيب كان صحيحاً وذلک أنّ أباذر بقی فی منطقه الربذه، وتوفّی هناک وحيداً بعد أن عاش هناک فتره يُرثی لحاله فيها، ولم يكن معه إلّا ابنته.

وهاذان الموردان يدلّان على إخبار الرسول (ص) عن الغيب، ونكتفی بهذا المقدار مراعاه للاختصار، وإلّا فالأخبار المذكوره حول علم رسول الله (ص) بالغيب كثيره، بحيث يحتاج بيانها إلى تأليف كتاب مستقلّ فی هذا المجال.

نستنتج من ذلک أنّ : أولياء الله يهذّبون أنفسهم، فيبلغون فی صفاء الس-ريره إلى درجهٍ يطلعهم الله فيها على الغيب، فيخبرون الناس بالغيب. وقد يكون سبب علمهم بالغيب لأنّهم محدَّثون، أی أنّ الملائكه تحدّثهم وتخبرهم بالغيب بإذن الله تعالى.

۵. أميرالمؤمنين (ع) وإخباراته بالغيب

اشاره

أخبر أميرالمؤمنين (ع) والأئمّه الأحد عش-ر: بالغيب لأنّهم كانوا محدَّثين، ومن نماذج إخبار الإمام على (ع) بالغيب مايلی:

۱. غرق مدينه البصره

فتح الإمام على (ع) مدينه البصره فی حرب الجمل، وذلک بعد أن قض-ی

۱- السيره لابن هشام، ج ۲، ص ۵۲۳ .

على جيش العدووبعد أن قُتل طلحه والزبير. فدخل بعدها الإمام (ع) المسجد وارتقى المنبر وخطب خطبةً، منها:

«وأيمُ اللهِ، لَتَغرقَنَّ بلدتكم حتّى كأنّى اَنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينه، أو نعامه جاثمه» . (۱)

وقال ابن أبى الحديد فى هذا الصدد:

فإنّ البصره غرقت مرتين: مرّه فى أيّام القادر بالله، ومرّه فى أيّام القائم بالله، غرقت بأجمعها، ولم يبقَ منها إلّا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر – حسب ما أخبر به أميرالمؤمنين (ع) – [وقد] جاءها الماء من بحر فارس، من جهه الموضع المعروف الآن بجزيره الفرس، ومن جهه الجبل المعروف بجبل السنام وخرجت دورها، وغرقت كلّ ما فى ضمنها وهلك كثيراً من أهلها. (۲)

۲. سيطره معاويه على أرض العراق

أخبر الإمام على (ع) بأنّه سيُلاقى ربَّه قبل معاويه، وأنبأ بأنّ سوف يسيطر من بعده على العراق، لكنّه (ع) لم يصرّح باسم معاويه، بل أشار إلى صفات لاتنطبق إلّا على معاويه، حيث قال (ع) :

أما إنّه سيظهر عليكم بعدى رجل. . . ألاَ وإنّه سيأمركم بسبّى والبراءه منّى؛ فأمّا السبّ فسبّونى، فإنّه لى زكاه ولكم نجاه؛ وأمّا البراءه فلا تبرّؤوا منى، فإنّى وُلدت على الفطره وسبقت إلى الإيمان والهجره. (۳)

۱– نهج البلاغه: خطبه ۱۲.
۲– شرح ابن أبى الحديد، ج ۱، ص ۲۵۳.
۳– المصدر نفسه. .

۳. الإخبار بمصير الخوارج فى حرب النهروان

أتمّ الامام على (ع) الحجه على الخوارج قبل حرب النهروان، فلمّا عزم على حربهم، قال لاصحابه:

«والله، لا يفلت منهم عش-ره، ولا يهلك منكم عشره» . (۱)

قال ابن أبى الحديد فى هذا الصدد: «هذا الخبر من الأخبار التى تكاد تكون متواتره لاشتهاره ونقل الناس كافه له، وهو من معجزاته وأخباره المفصّله عن الغيوب» . (۲)

۱– نهج البلاغه، خطبه ۵۸.

۲- المصدر نفسه. .

ص: ۱۲۰

ص: ۱۲۱

الفصل الخامس: أهل البيت (علیهم السلام)

۱. من هُم أهل البیت حسب اعتقاد الشیعه؟

اشاره

لقـد تحـدّث القرآن عن إراده الله لإذهاب الرجس عن أهل البیت (علیهم السـلام) فالسؤال الـذی یطرح نفسه فی هذا المقام: من هم أهل البیت حسب اعتقاد الشیعه؟

الجواب : السائل یقصد قوله تعالی: (إِنَّما یُرِیدُ الله لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ ویُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً) (الأحزاب: ۳۳) .

وللحدیث عن آیه التطهیر یتطلّب الأمر تسلیط الضوء علی أمرین، هما:

۱. المقصود من أهل البیت وفی أیّ موارد یستعمل العرب هذا المصطلح؟

۲. من هم الذین نزلت بشأنهم هذه الآیه؟

بیان مفهوم (أَهْلَ الْبَیْتِ)

مصطلح (أَهْلَ الْبَیْتِ) مرکب من کلمتین، هما:

۱. أهل.

۲. بیت.

ص: ۱۲۲

ومفهوم کـلّ واحـده من هاتین الکلمتین واضـح ولا غبار علیه، ولا حاجه فی هـذا المقام إلی مراجعه المعاجم اللغوّیه. وتسـتخدم کلمه الأهل فی موارد عدیده، منها:

أهل الأمر: من بأیدیهم زمام أمور السلطه.

أهل الإنجیل: أتباع الإنجیل، وهم النصاری.

أهل الكتاب: أتباع الكتب السماويّه.

أهل الإسلام: أتباع دين الإسلام.

أهل الرجل: الذين لهم قرابه معه.

أهل البيت (عليهم السلام) الذين تربطهم قرابه ويعيشون فى بيت واحد بصوره مشتركه.

أهل الماء: الكائنات الحيّه التى تعيش فى الماء أو تعيش فى جواره.

إذن، نستنتج ممّا ذكر أنّ كلمه أهل تضاف إلى ما ينتسب إليه الإنسان أو ألى ما يختصّ به أو إلى ما يستأنس به.

ولهذا قال ابن منظور فى لسان العرب «أهلُ الرجل أخصّ الناس به» . (١)

بعباره أخرى :

عندما يُقال (أهل الرجل) فالمقصود هو المرتبطون به والذين يعتبرون من أتباعه وذويه، ومن هذا المنطلق يجب القول بأنّ أهل البيت مفهوم واسع يشمل أبناء وزوجات الإنسان.

ولهذا استخدم القرآن هذا المصطلح بشأن زوجه النبى إبراهيم (ع) ، فقد قال تعالى حكايةً عن خطاب الملائكه لإبراهيم (ع) : (رَحْمَتُ اللهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) (هود: ٧۴) .

١- لسان العرب، ج ١، ص ٢٩. .

من هم المقصودون من أهل البيت فى آيه التطهير؟

اشاره

ذكرنا أن مصطلح أهل البيت (عليهم السلام) هو لفظٌ عامٌ يشمل الأبناء والزوجات، لذا، فإنّنا إذا لم نجد دليلًا يخرج زوجات النبىّ (ص) من أهل البيت -فى آيه التطهير- سنحكم بأنهنّ من أهل البيت (عليهم السلام) ولكن لدينا أدلّهٌ وقرائن كثيره تدلّ على تخصيص أهل البيت فى آيه التطهير، برسول الله (ص) وعلى وفاطمه والحسن والحسين: فقط، لذلك يثبت لنا أنّ زوجات النبىّ (ص) لسن من أهل البيت فى آيه التطهير. ومن هذه الشواهد والقرائن نذكر مايلى:

١. لفظ (البيت) يدلّ على معنىً معيّنٍ

الألف واللام فی (البیت) لیست للجنس أو الاستغراق، وإنّما هی للعهد، وتعنی الإشاره إلی البیت المعهود؛ إذ لو کان المقصود من الآیه بیوت زوجات النبیّ (ص) للزم أن یُقال: أهل البیوت، لأنّ سیاق الأیه یدلّ عل الجمع لا المفرد.

فقد قال تعالی: (وقَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِیَّهِ الْأُولی) (الأحزاب: ۳۳) .

وعباره (بُیُوتِکُنَّ) إشاره إلی مجموع غرف نساء النبیّ (ص) ، حیث کانت کلّ غرفه متعلّقه بواحده منهنّ، ولکن آیه التطهیر تشیر إلی بیت واحد، وهذا یلزم تحدید بیتٍ واحدٍ، ولا یصحّ القول بأنّ المقصود من البیت هو واحد من البیوت المرتبطه بنساء النبیّ (ص) ، لأنّ مفهوم الآیه فی هذه الحاله یکون مبهماً وغامضاً ومجملاً.

کما لا توجد أیّه قرینه علی رجحان أحد بیوت نساء النبیّ (ص) علی الآخر.

إذن، نستنتج أنّ هذا البیت یجب أن یکون معزولاً عن بیوت زوجات

ص: ۱۲۴

النبیّ (ص) ، وهو لیس سوی بیت فاطمه (س) ؛ لأنّه متعلّق بالنبیّ (ص) وفی نفس الوقت یعیش فیه أربعه أشخاص بصوره مشترکه.

ویؤیّد هذا الرأی حدیثٌ نقله السیوطی فی تفسیر آیه: (فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) حیث قال:

عن أنس بن مالک قال: قرأ رسول الله هذه الآیه: (فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) فقام إلیه رجل، فقال: أیّ بیوت هذه یا رسول الله؟ قال: «بیوت الأنبیاء» .

فقام إلیه أبوبکر، فقال: یا رسول الله، هذا البیت منها؟ - مشیراً إلی بیت علی وفاطمه [(ع)] -.

قال: «نعم، من أفاضلها» . (۱)

۲. استخدام ضمائر مذکّره

تحدّث القرآن الکریم فی سوره الأحزاب من الآیه ۲۹ حتّی الآیه ۳۴ حول نساء النبیّ (ص) ، وجاءت الضمائر فی جمیع هذه الآیات بصیغه التأنیث لأنّها مختصّه بنساء النبیّ (ص) وهذا ینطبق مع قواعد النحو فی اللغه العربیّه، وقد تضمّنت هذه الآیات أکثر من عشرین ضمیراً مؤنّثاً منها: (کُنْتُنَّ) ، (فَتَعالَیْنَ) ، (أُمَتِّعْکُنَّ) ، (أُسَرِّحْکُنَّ) ، (تُرِدْنَ) ، (لَسْتُنَّ) ، (اتَّقَیْتُنَّ) ، (فَلا تَخْضَعْنَ) ، (قُلْنَ) ، (قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ) ، (تَبَرَّجْنَ) ، (آتِینَ) ، (أَطِعْنَ) ، و (اذْکُرْنَ) ، إلخ.

ولکن عندما بدأ الحدیث عن (أهل البیت) فی آیه التطهیر، وهی الآیه ۳۳

۱- الدر المنثور، ج ۶، ص ۲۰۳؛ تفسیر سوره النور، روح المعانی، ج ۱۸، ص ۱۷۴. .

من سوره الأحزاب تغيّر المخاطب، وتغيّرت الضمائر من المؤنث إلى المذكر. وقال تعالى: (عَنْكُمُ الرِّجْسَ) ، و (يُطَهِّرَكُمْ) وهنا ينبغی علينا البحث من أجل معرفه أسباب هذا التغيير.

وسبب هذا التغيير هو أنّ الآيه ۳۳ نزلت فی حقّ غير نساء النبی (ص) .

وأمّا بالنسبه إلی سبب مجيئها ضمن الآيات المرتبطه بنساء النبی (ص) ، فسوف نتحدّث عنه لاحقاً.

٣. أهل البيت فی أحاديث الرسول (ص)

تؤكد الأحاديث المتظافره، بل المتواتره عن الرسول (ص) على أنّ المقصود من آيه التطهير هو النبیّ (ص) فقط والساكنون فی بيت فاطمه، وقد نقل هذه الأحاديث مجموعه من الصحابه عن النبی (ص) ، منهم: ١-أبوسعيد الخدری، ٢-أنس بن مالك، ٣-أبوإسحاق، ۴-واثله بن الأسقع، ۵- أبوهريره، ۶-أبوالحمراء، ٧- سعد بن أبی الوقّاص، ٨-عائشه، ٩- أمّ سلمه، ١٠-ابن عبّاس.

وقد بيّن رسول الله (ص) فی هذه الأحاديث المقصود من اهل البيت (عليهم السلام) ، ونذكر فيما يلی أمرين يثبتان ذلك، هما:

الأوّل : ألقى رسول الله على اربعه من أهل بيته: عباءه أو قطيفته، وهم على وفاطمه والحسن والحسين: وعندما طلبت أمّ سلمه أن تلتحق بهم تحت الكساء، لم يوافق الرسول (ص) ، وقال:

«اللهّم، هؤلاء أهل بيتی، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» . (١)

١- تفسير الطبری، ج ١٢، ص ٩. .

الثانی: قصد الرسول (ص) بيت فاطمه (س) مدّه ثمانيه أشهر عندما كان يذهب إلی المسجد لصلاه الصبح، وكان يدعو أهله إلى الصلاه، ثمّ تلا هذه الآيه: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ. . .) .

وهاذان الموقفان من الرسول (ص) يكشفان معنی (اهل البيت) فی آيه التطهير على نحوالتعيين.

ومن الأحاديث الوارده فی هذا المجال نذكر مايلی:

قال أبوسعيد الخدری: قال رسول الله (ص) : «نزلت هذه الآيه فی خمسه: فیّ، وفی علی، وحسن وحسين وفاطمه» . (١)

ورُوِی عن أمّ سلمه أنّها قالت: فی بيتی نزلت: (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) . [و] جائت فاطمه إلى رسول الله ببرمه فيها عصيره تحلّها على طبق، فوضعته بين يديه، فقال: «أين ابن عمّك وابناك؟» . فقالت: «فی البيت» . فقال: «ادعيهم» .

(٢)فجاءت تقود ابنيها كلّ واحد منهما في يد وعلى يمشى فى أثرهما حتى دخلوا على رسول الله فأجلسهما فى حجره، وجلس على [(ع)] عن يمينه، وجلست فاطمه [(س)] عن يساره. (٣)

فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله (ص) : (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) . فأخذ النبيّ (ص) بفضله ازاره فغشاهم إيّاها، ثمّ أخرج يده من الكساء، وأومأ بها إلى السماء، ثمّ قال: «اللّهم، هؤلاء أهل بيتى وخاصّتى، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» .

١- تفسير الطبرى، ج ١٢، ص ٩.

٢- المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٠.

٣- الدر المنثور، ج ۵، ص ٣٧۶. .

قالها ثلاث مرّات.

قالت أمّ سلمه: فأدخلت رأسى فى الستر، فقلت: يا رسول الله، وأنا معكم؟ فقال: «إنّك [إلى] خير» . (١)

وقدر ورد مضمون هذه القصّه فى مصادر الحديث والتفسير، وكلّ ما رُوى يشير إلى أنّ المقصود من (أَهْلَ الْبَيْتِ) فى آيه التطهير خمسه لا غير.

وحتى أفضل وأطهر زوجات النبيّ (ص) أيضاً لم تشارك هؤلاء فى هذه الفضيله.

وكان الرسول (ص) أربعين يوماً حسب روايه أو ثمانيه أشهر حسب روايه أخرى، أو تسعه أشهر حسب روايه ثالثه، يقف عند باب بيت على (ع) عندما كان يقصد المسجد لصلاه الصبح، ويقول: «الصلاه، الصلاه، (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) » . (٢)

فمع لحاظ هذه الأحاديث هل يمكن ادّعاء تفسيرٍ آخر لآيه التطهير؟

والغريب هو ما ادّعاه رئيس تحرير مجله (ترجمان الحديث) فى لاهور باكستان، وهو إحسان إلهى ظهير، حيث يعتبر نفسه مترجماً لأحاديث رسول الله (ص) ، حيث تجاهل جميع هذه الأحاديث التى تؤكّد على بيان مصداق (أَهْلَ الْبَيْتِ) فى آيه التطهير، واستند فى كتابه (الشيعه وأهل البيت) إلى روايه عكرمه - وهو من الخوارج - وادّعى أنّ المقصود من (أَهْلَ الْبَيْتِ) فى هذه الآيه نساء النبيّ (ص) ، وقال إنّه يصحّ الحاق الأبناء أيضاً ب- (أَهْلَ الْبَيْتِ) على نحو المجاز.

١- الدر المنثور، ج ۵، صص ٣٧۶ - ٣٧٧؛ تفسير الطبرى، ج ١٠، ص ١٠.

٢- راجع: تفسير الطبرى، ج ٢۴، صص ۵-٧؛ تفسير الدر المنثور، ج ۵، صص ١٩٨ و ١٩٩. .

ص: ۱۲۸

والسؤال الآخر هو: لماذا جاءت آیه التطهیر فی سیاق الآیات المرتبطه بنساء النبی (ص) ؟

الجواب: نری فی القرآن الکریم أحیاناً، أنّه تعالی یتحدّث حول موضوعٍ ما ثمّ ینتقل بدون مقدّمه إلی موضوعٍ آخر، ثمّ یعود مرّهً أُخری إلی الموضوع الأوّل. ومن ذلک قصّه یوسف (ع) ، عندما انکشفت خیانه زوجه العزیز واطّلع زوجها علی الحقیقه، وعندها التفت العزیز إلی زوجته، وقال لها: (إِنَّهُ مِنْ کَیْدِکُنَّ إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ) (یوسف: ۲۸) .

وبصوره مفاجئه یتغیّر خطاب القرآن الکریم، وینتقل إلی یوسف، فیقول تعالی: (یُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا واسْتَغْفِری لِذَنْبِکِ إِنَّکِ کُنْتِ مِنَ الْخاطِئِینَ) (یوسف: ۲۹) .

وأمّا فی خصوص آیه التطهیر، فإنّه یمکن ذکر سببین حول علّه مجیء عباره (أَهْلَ الْبَیْتِ) ضمن الآیات التی تتحدّث عن نساء النبی، وهما:

۱. نلاحظ أنّ الله تعالی عندما خاطب نساء النبی (ص) توجّه إلیهنّ بالتهدید، وقال:

(یا نِساءَ النَّبِیِّ مَنْ یَأْتِ مِنْکُنَّ بِفاحِشَهٍ مُبَیِّنَهٍ یُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَیْنِ وکانَ ذلِکَ عَلَی اللهِ یَسِیراً) (الاحزاب: ۳۰) .

ثمّ أشار الله إلی (أَهْلَ الْبَیْتِ) ، لیقدّمهم نموذجاً یلزم علی نساء النبیّ (ص) الاقتداء بهم واقتفاء أثرهم.

۲. الکثیر من مسلمی صدر الإسلام کانوا یبغضون علیّاً (ع) وأهل بیته: ؛ لأنّه (ع) قتل العدید من أبناء قبائلهم وعشائرهم فی حروب الإسلام ضدّ الجاهلیّه، وبسبب هذا الاستیاء العام من الإمام علی (ع) والحقد الدفین فی قلوب الکثیر إزاءه، فقد ظهرت هذا الأحقاد وبشکلٍ علنیٍّ بعد وفاه

ص: ۱۲۹

الرسول (ص) ، فانتقموا منه ومن أهل بیته.

إلی هنا نکتفی بهذا المقدار، ونختم الکلام بنقل حدیث عن سعد بن أبی الوقّاص، حیث قال: «دعا رسول الله بحسن وحسین وفاطمه وعلی، فضمّهم إلیه ونشر علیهم الثوب، والحجاب علی أمّ سلمه مض-روب، ثمّ قال: «اللّهم، هؤلاء أهل بیتی، اللّهم، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهیراً» . قالت أم سلمه: فأنا معهم یا نبیّ الله؟ قال: «أنت علی ملائکه وإنّکِ علی خیر» . (۱)

۲. حدیث الملائکه مع فاطمه الزهراء

السؤال الذی یطرح هنا، هو : کیف یمکن إثبات صحّه حدیث الملائکه مع فاطمه بنت رسول الله (س) ؟

الجواب : لیس هناک شکّ فی حدیث الملائکه مع الأنبیاء من أجل إبلاغ الوحی الإلهی، ولکن ینبغی الالتفات إلی أنّ حدیث

الملائكه غیر مختصّ بالأنبیاء، بل هناک عباد لیسوا أنبیاء، ومع ذلک تحدّثت معهم الملائکه، وهؤلاء یطلق علیهم: محدَّثون.

وقد ورد فی أحادیث الفریقین ذکر بعض المحدَّثین، وهم الذین تحدّثهم الملائکه.

والمحدَّث هو الذی یصل إلی درجهٍ من الکمال، بحیث یتمکّن من استماع الأصوات البرزخیّه التی یعجز عامه الناس عن سماعها، وهذا الکمال هو الذی یمکّن هؤلاء من الارتقاء المعنوی حتی یصل بهم المستوی حدّ التمکّن

۱- جامع الأصول، ج ۱۰، صص ۱۰۱ و ۱۰۲؛ الدر المنثور، ج ۵، ص ۱۹۸. .

من استماع حدیث الملائکه معهم.

وقد ورد فی الأحادیث الش-ریفه بأنّ فاطمه بنت رسول الله کانت (محدَّثه) . (۱)

یعتقد البعض بأنّ الملائکه لا تتحدّث مع غیر الأنبیاء، ولکنّ هذه العقیده تخاف القرآن الکریم، حیث أشار إلی حدیث الملائکه مع مریم بنت عمران، وذلک فی قوله تعالی: (وإِذْ قالَتِ الْمَلائِکَهُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفاکِ وطَهَّرَکِ واصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ) (النساء: ۴۲) .

فحدیث الملائکه مع شخص لا تعنی نبوّته، بل تعنی بلوغه أعلا درجات الإیمان. وقد ذکر القرآن الکریم أیضاً حدیث الملائکه مع زوجه ابراهیم: (قالُوا أَ تَعْجَبِینَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وبَرَکاتُهُ عَلَیْکُمْ أَهْلَ الْبَیْتِ إِنَّهُ حَمِیدٌ مَجِیدٌ) (هود: ۷۳) .

ومسأله الإلهام والفتوحات الغیبیّه فی خصوص أولیاء الله مسأله کلامیّه وفلسفیّه واسعه جدّاً، بحیث لا یمکن تفصیلها فی هذا الکتاب الموجز.

ولکن یمکن القول باختصارٍ إنّ عص-ر النبوّه والرساله - بمعنی قیاده البش-ریه عن طریق الوحی التش-ریعی - قد انتهی، ولا یوجد نبیّ بعد رسول الله (ص) ، إلا أنّ الإلهام لم ینقطع، وبإمکان أیّ إنسان أن یری ویسمع ما لا یراه ولا یسمعه عامّه الناس وذلک عن طریق تهذیب نفسه.

وقد قال تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرْقاناً) (الانفال: ۲۹) .

وقال أمیرالمؤمنین فی وصف السالک الطریق إلی الله سبحانه: «قد أحیا

۱- انظر: بحارالأنوار، ج ۴۳، ص ۷۹. .

عقله وأمات نفسه، حتّی دقّ جلیلُهُ ولطف غلیظُهُ، وبرق له، لا مع کثیر البرق، فأبان له الطریق وسلک به السبیل، وتدافعته الأبواب إلی باب السلامه ودار الإقامه، وثبتت رجلاه بطمأنینه بدنه فی قرار الأمن والراحه بما استعمل قلبه وأرضی ربّه» . (۱)

۳. کیفیّه الصلاه علی النبی (ص)

السؤال الذی یطرح هنا، هو : کیف نصلّی علی النبیّ محمّد (ص) ؟

الجواب : الصلاه علی أشرف الخلف هو عمل یرتضیه الله تعالی، وقد سبق الله تعالی الجمیع فی الصلاه علی النبیّ، فقال: (إِنَّ اللَّهَ ومَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِیماً) (الاحزاب: ۵۶) .

وذکر الصلوات فی أیّ زمان وفی جمیع الحالات هو أمر مستحبّ، ولهذا لم تحدّد هذه الآیه وقتاً أو مکاناً خاصّاً للصلاه علی النبی (ص) ، وإنّ کان لبعض الأحیان أولویّه للصلوات، ولا سیّما عند ذکر أو استماع اسم النبیّ صلوات الله علیه وآله.

وأمّا کیفیّه الصلاه علی النبیّ (ص) ؛ فقد ورد فی صحیح البخاری عن عبدالله بن عیسی أنّه سمع عبدالرحمن [بن أبی لیلی]، قال (ع)

لقینی کعب بن عجزه، فقال: ألا أهدی لک هدیه سمعتها من النبیّ؟ ! فقلت: بلی، فاهدها. فقال: سألْنا رسول الله فقلنا: یا رسول الله، کیف الصلاه علیکم أهل البیت، فإنّ الله قد علمنا کیف نسلّم؟ قال (ص) قولوا: «اللّهمّ، صلِّ علی محمّد وعلی آل محمّد، کما صلّیت علی إبراهیم وعلی آل

۱- نهج البلاغه: خطبه ۲۲۰. .

ص: ۱۳۲

إبراهیم إنّک حمید مجید، اللّهمّ، بارک علی محمّد وعلی آل محمّدکما بارکت علی إبراهیم وآل إبراهیم، إنّک حمید مجید» . (۱)

ویتّضح من هذه الحدیث لزوم ذکر آل محمّد عند الصلوات علی النبیّ محمّد (ص) لتکون الصلاه کامله.

وقول البعض فی یومنا هذا بعد ذکر النبیّ «صلّی الله علیه وسلّم» ، هو فی الحقیقه مخالفٌ تماماً لما أمر به رسول الله (ص) .

ونقل ابن حجر الهیثمی (۸۹۹ -۹۷۴ه) مایلی: «إذ قال رسول الله: «لا تصلّوا علیّ الصلاه البتراء» . فقالوا: وما الصلاه البتراء؟ قال: «تقولون: اللّهمّ، صلّی علی محمّد وتسکتون، بل قولوا: اللّهم صلِّ علی محمّد وعلی آل محمّد» . (۲)

إذن، نستنتج ممّا ذکر أنّ: صلاه الشیعه علی النبیّ هی صلاه کامله ومطابقه للأحادیث المرویّه فی صحیح البخاری الذی هو أصحّ کتب الحدیث عند أهل السنّه.

ويجدر أيضاً عند الصلاه على محمّد وآل محمّد أن نقول بعدها: «كما صلّيت على ابراهيم وآل ابراهيم» .

ولكن هـذه العبـاره تُترك في بعض الأحيـان مراعـاه للاختصار، كما أنّ الرسول (ص) أيضاً في الحـديث الثانى الـذى ذكرناه لم يذكر هذه العباره.

أضف إلى ذلـك، فإنّ عباره «كما صـليت على ابراهيم وآل ابراهيم» ، ليست جزءاً من الصـلاه، بل هى عباره تعلّمنا بأنّه كما يلزم الصلاه على

١- صحيح البخارى، ج ۴، ص ١٨٨؛ كتاب بدء الخلق، ج ۶، ص ۶٧؛ باب تفسير سوره الأحزاب، ج ٧، ص ١۵٧.

٢- الصواعق المحرقه، ص ١۴۶. .

آل إبراهيم إضـافه إلى الصـلاه على إبراهيم، فإنّه يلزم علينا أن نصـلّى على آل محمّـد كما نصـلّى على النبىّ محمّـد (ص) ، وألّا نفصل في الصلاه بين محمّد وآل محمّد فتكون مبتورهً.

والملفت للنظر أنّه لا يوجـد فى الصـحيحين ولا الكتب الأخرى، أىّ حديثٍ عن الصـلاه على الصـحابه، فى حين نجد أهل السـنّه عندما يريدون أداء الصلاه على محمّد كامله، فإنّهم يقولون: اللهم صلِّ على محمّد وعلى آله وصحبه.

۴. الغلو فى أهل البيت (عليهم السلام)

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : ألا يُغالى الشيعه فى عقيدتهم بأهل البيت (عليهم السلام) ؟

الجواب : الغلوّ فى اللغه العربيّه يعنى تجاوز الحدّ.

ومثال ذلك أن يُقال عن طبيب عادى بأنّه متخصّـص فى أمراض القلب، أو أن يفرط الإنسان فى بيانه لصـفات الآخرين الظاهريّه والباطنيّه. وبما أنّ الغلوّ مذموم، فقد نهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلوّ فى دينهم قائلًا:

(يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) (النساء: ١٧١؛ المائده: ٧٧) .

وقد عرّف أميرالمؤمنين (ع) سلوك وتصرّفات وحديث أهل البيت بأنّها الحدّ للشريعه والعقيده الحقّه، فقال:

«نحن النُمرقه الوسطى، بها يلحق التالى وإليها يرجع الغالى» . (١)

لذلك فإنّ اتّهام أتباع أهل البيت (عليهم السـلام) بالغلوهو اتّهام باطل، وهو ناشئ من الجهل بعقائدهم ومبانيهم الفكريّه وأدلّتهم التى يعتمدون عليها.

۱- نهج البلاغه، الحکمه ۱۰۹. .

والمغالی - فی الواقع - هو الذی یعتقد بأنّ للأئمّه: مقاماً یفوق مقام العبودیّه، أو یری أنّهم آلههً.

ومثال ذلک أن یقول بأنّهم خلقوا الأرض والسماء، وهذا هو الشرک فی الخالقیّه؛ أو یعتقد بأنّهم أرباب من دون الله، بحیث لدیهم القدره الذاتیه بأنّ یرزقون ویحیون ویمیتون، وهذا هو الشرک فی الربوبیّه؛ أو یعتقد بأنّ الله فوّض إلیهم أمر التشریع، وأنّهم یحرّمون ما أحلّه الله، ویحلّلون ما حرّمه، وهذا هو الشرک فی التشریع.

وأتباع أهل البیت (علیهم السلام) لا یتجاوزن التوحید الحقیقی فی جمیع مراتبه قید أُنمله، ویعتقدون بأنّ الخالف والربّ والمشرّع الحقیقی هو الله تعالی، ویؤمنون بأن الأئمّه: عباد الله مکرمون، ولهم منزله رفیعه عند الله.

ویعتقد الشیعه بأنّ الأئمّه: إذا صدر منهم أمر خارق للعاده أو استجاب الله دعاءهم وغیّر بدعائهم شیئاً من الکون؛ فکلّه إنمّا هو بتأثیرٍ مباشرٍ من الله تعالی وبإذنه وکما أنّ صدور المعجزه من الأنبیاء لا یخرجهم من مقام عبودیّتهم لله، فکذلک الأئمّه: تصدر منهم الأمور الخارقه للعاده بإذن الله، ولا یثبت هذا الأمر مقاماً یخرجهم من کونهم عباداً لله تعالی.

فشفاعه الأئمه: فی یوم القیامه هی بإذن الله تعالی، والتوسّل بهم إنّما یجوز لمنزلتهم العظیمه عند الله تعالی.

ولیس ذکر فضائلهم ومناقبهم إلّا تعبیرٌ وإظهارٌ لمودّتهم ومحبّتهم التی دعا إلیها القرآن الکریم، ودعت إلیها السنّه الشریفه. ولا یخفی علی أحد بأنّ مودّه ذوی القربی أصل من أصول الکتاب والسنّه. (۱)

۱- انظر: سنن الترمذی، کتاب المناقب، ح ۳۷۷۲، ۳۷۷۵۱؛ مستدرک الحاکم، ج ۳، ص ۱۷۷. .

وأمّا العقیده باطّلاع الأئمّه: علی علم الغیب فهی تعنی أنّ الله تعالی هو الذی یخبرهم بذلک، لا أنّهم یعلمون الغیب بأنفسهم ومن دون إذن الله تعالی.

وقد ارتقی أمیرالمؤمنین (ع) المنبر بعد فتح البصره، وأخبر عن مستقبل مدینه البصره، فقال له أحد أصحابه: قد أعطیت علم الغیب؟ فضحک (ع) ، وقال للرجل:

«لیس هو بعلم غیب، وإنّما هو تعلّم من ذی علم. . . فعلم علّمه الله نبیّه فعلّمنیه» . (۱)

إذن، علم الغیب الذاتی -غیر الاکتسابی- هو لله فقط؛ وأمّا اطّلاع ما سوی الله علی الغیب، فإنّه علم اکتسابی.

وأما قوله تعالی: (قُلْ لا یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّماواتِ والْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلَّا اللهُ) (النمل: ۶۵) . فالمقصود هو: العلم بالغیب الذاتی والأزلی

الذی لا یعلمه إلّا الله، وکلّ ما سوی الله، فإنّه محتاج إلیه تعالی فی کلّ شیء.

لذا، لا یمکن اعتبار هذه الأمور للأئمّه: غلوّاً فی حقّهم: .

وقد تبّرأ الأئمّه: دائماً من الغلاه، وللإمام الرضا (ع) دعاء یتبرَّأ فیه من غلاه زمانه، ویدین فیه الذین شاهدوا صدور بعض الأمور الخارقه للعاده عن الأئمّه: فافرطوا فی وصف مقامهم ومنزلتهم، فقال (ع) فی هذا الدعاء:

اللّهمّ إنّی أبرأ الیک من الّذین قالوا فینا ما لم نقله فی أنفسنا، اللّهمّ، لک الخلق ومنک الرزق وإیّاک نعبد وإیّاک نستعین، اللّهمّ أنت خالقنا وخالق آبائنا الأوّلین وآبائنا الآخرین، اللّهم، لا تلیق الربوبیّه إلّا بک ولا تصلح الإلهیّه إلّا لک، من زعم أنّا أرباب فنحن منه بُرآء، ومن زعم أنّ إلینا الخلق وعلینا

۱- نهج البلاغه، خطبه ۱۲۸. .

الرزق فنحن بُرآء منه. . . اللّهمّ، انّا لم ندعهم إلی ما یزعمون، فلا تؤاخذنا بما یقولون. (۱)

استثمار الأئمّه: الأسباب الطبیعیّه

لا یمکن لأیّ إنسان أن یصبح بدیلاً عن وسائط فیض الله تعالی مهما کان مقامه، بل هو لیس سوی منتفع من هذه الوسائط. فأشعه الشمس ونزول المطر کلّها أسباب توفّر العیش لحیاه الأنبیاء: والأئمّه: وأولیاء الله، کما أن الوحی یصل إلی الرسول بواسطه الملک، وملک الموت هو الذی یقبض روحه (۲)، ولکلّ إنسان حفظه من الملائکه یحرسونه ویساعدونه فی تنمیه ملکاته وفضائله الأخلاقیّه. (۳)

إذن، جمیع الناس – وحتّی الأنبیاء والأئمّه: -جزء من نظام الأسباب والمسبّبات فی هذا العالم، ولیس بإمکانهم إلغاء هذا النظام، وإنّما حقیقه الأمر أنهم یتمکّنون، إذا اقتضت المصلحه، أن یکونوا منشأً للکرامات والتحکّم فی العالم؛ وذلک أیضاً لا یکون إلّا بإذن الله تعالی، وفی ظلّ قدرته وسلطانه.

۱- بحارالأنوار، ج ۲۵، ص ۲۴۳.
۲- قال تعالی فی هذا المجال: (وَ یُرْسِلُ عَلَیْکُمْ حَفَظَهً حَتّی إذا جاءَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) (الأنعام: ۶۱) .
۳- قال امیرالمؤمنین (ع) : «و لقد قرن الله به (ص) من لدن أن کان فطیماً أعظم ملک من ملائکته یسلک به طریق المکارم و محاسن أخلاق العالم» . نهج البلاغه، الخطبه ۲۳۴. .

الفصل السادس: المهدویه فی الإسلام

۱. ولاده الإمام المهدی (عج)

السؤال الذی یُطرح هنا، هو : هل ولد الإمام المهدی؟ وهل کان للإمام الحسن العسکری (ع) ابن لیخلفه فی الإمامه؟

الجواب : اتّفق جمیع علماء الشیعه علی أنّ الإمام المهدی ولد فی ۱۵ شعبان عام ۲۵۵ه، وقیل إنّه ولد عام ۲۵۶ه، وأُمّه نرجس. وکانت ولادته [فی سامرّاء فی بیت الإمام الحسن العسکری (ع) ، وقد ورد فی هذا المجال أحادیث کثیره روُیت عن أبیه الإمام العسکری (ع) ، ولکنّنا لم نذکرها مراعاه للاختصار.

وحیث کانت ولاده الإمام المهدی (عج) تشکّل خطراً کبیراً علی جمیع السلطات الجائره آنذاک، فقد بذل العباسیّون قُصاری جهودهم لیمنعوا من تحقّق هذه الولاده، أو لیفتکوا به إن وُلد. وکان هذا الأمر من أسباب إبقاء الإمام العسکری فی الإقامه الجبریّه فی سامراء.

وکانت ولاده الإمام المهدی (عج) کولاده النبیّ موسی (ع) ، حیث حفظه الله تعالی من شرّ سلطه بنی العبّاس لیکون خاتم الأوصیاء بعد الإمام

ص: ۱۳۸

العسکری (ع) .

ومن الذین حضروا ولاده الإمام المهدی وشاهدوه بعد ولادته: السیّده حکیمه بنت الإمام الجواد (ع) ، وهی عمّه الإمام الحسن العسکری (ع) ، وقالت:

«بعث إلیّ أبومحمّد (ع) سنه خمس وخمسین ومائتین فی النصف من شعبان، وقال:

یا عمّه إجعلی اللیله إفطارک عندی، فإنّ الله عزّ وجلّ سی–سرّک بولیّه وحجّته علی خلقه خلیفتی من بعدی.

قالت حکیمه: فتداخلنی السرور الشدید وأخذت ثیابی علیّ وخرجت من ساعتی حتّی انتهیت إلی أبی محمّد، وهو جالس فی صحن داره وجواریه حوله، فقلت: جعلت فداک یا سیدی، الخلف ممّن هو؟ قال: «من سوسن» . فأدرت طرفی فیهن، فلم أرجاریه علیها أثر غیر سوسن.

وقالت حکیمه: فلمّا أن صلّیت المغرب والعشاء، أتیت بالمائده، فأفطرت أنا وسوسن وبایتّها فی بیت واحد، فغفوت غفوه، ثمّ استیقظت، فلم أزل مفکّره فیما وعدنی أبومحمّد (ع) من أمر ولی الله (ع) ، فقمت قبل الوقت الذی کنت أقوم من کلّ لیله للصلاه، فصلّیت صلاه اللیل حتّی بلغت إلی الوتر، فوثبت سوسن فزعه وخرجت [فزعه] وأسبغت الوضوء، ثمّ عادت فصلّت صلاه اللیل، وبلغت إلیّ الوتر.

فوقع فی قلبی أنّ الفجر قد قرب فقمت لأنظر فإذا بالفجر الأوّل قد طلع، فتداخل قلبی الشکّ من وعد أبی محمّد، فنادانی من حجرته: لا تشکّی، وکأنّک بالأمر الساعه قد رأیته إن شاء الله تعالی. . . .

ص: ۱۳۹

. . . فإذا أنا بولى الله متلقياً الأرض بمسجاده. . . فاتيته به» . (۱)

وبسبب المراقبه الشديده من قبل الحكومه العباسيّه، کان من الصعب جدّاً رؤیه الإمام المهدی (عج) فی حیاه الإمام العسکری (ع) ، ولکن مع ذلک فقد التقی به المقرّبون فی ذلک الوقت، ومنهم:

۱. أبوغانم الخادم، قال: وُلِد لأبی محمّد ولدٌ فسمّاه: محمّداً، فعرضه علی أصحابه یوم الثالث، وقال:

«هذا صاحبکم من بعدی وخلیفتی علیکم، وهو القائم الذی تمتد إلیه الأعناق بالانتظار» (۲).

۲. الحسن بن الحسین بن العلوی قال:

«دخلت علی أبی محمّد الحسن بن علی (ع) فهنأته بولاده ابنه القائم (۳)» .

۳. الحسن بن المنذر عن حمزه بن أبی الفتح، قال: جاءنی یوماً، فقال لی: البشاره ولد البارحه فی الدار مولود لأبی محمّد، وأمر بکتمانه. قلت: وما اسمه؟ قال: سمّی ب–محمّد. (۴)

۴. أحمد بن اسحاق قال:

دخلت علی أبی محمّد الحسن بن علی، وأنا أُرید أن أسأله عن الخلف بعده، فقال لی مبتدأً: «یا أحمد بن إسحاق إنّ الله تبارک وتعالی لم یخلّ الأرض منذ خلق آدم ولا تخلوا إلی یوم القیامه من حجّه الله علی خلقه، [به] یدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ینزّل الغیث، وبه یُخرج برکات الأرض» .

قال: فقلت له: یابن رسول الله، فمن الإمام والخلیفه بعدک؟ فنهض (ع)

۱– الغیبه للشیخ الطوسی، ص ۱۴۱.

۲– إثباه الهداه، ج ۶، ص ۴۳۱.

۳– المصدر نفسه، ص ۴۳۳.

۴– المصدر نفسه، ص ۴۳۹. .

ص: ۱۴۰

فدخل البیت، ثمّ خرج وعلی عاتقه غلام کأن وجهه القمر لیله البدر من أبناء الثلاث سنین، فقال «یا أحمد بن إسحاق لولا کرامتک علی الله عزّ وجلّ وعلی حججه ما عرضت علیک ابنی هذا، إنّه سمیُّ رسول الله وکنیّه، الذی یملأ الأرض قسطاً وعدلاً، کما مُلئت جوراً وظلماً» . (۱)

فهولاء أبرز شخصيّات الشيعه التی إلتقت بالإمام المهدی (عج) فی حیاه الإمام العسکری (ع) ، وإن کان اللقاء بالإمام المهدی لم یقتصر علی هولاء بل رآه أکثر من هذا العدد فی بیت الامام الحسن العسکری (ع) وبحضوره. (۲)

وفی الختام نلفت الانتباه إلی أنّ بعض کبار علماء أهل السنّه صرّحوا بولاده الإمام المهدی (عج) ، وللاطّلاع علی أقوال هؤلاء العلماء مراجعه کتاب (منتخب الأثر) ، الطبعه الجدیده، الصفحه ۷۱ إلی ۹۲. وقد ذکر مؤلّف هذا الکتاب ۶۸ شخصاً من أهل السنّه صرّحوا فی کتبهم بولاده الإمام المهدی ابن الإمام العسکری (ع) .

۲. سبب غیبه الإمام المهدی (عج)

السؤال الذی یُطرح هنا، هو : ما هو سبب غیبه الإمام المهدی (عج) ؟

ولماذا لایعیش مع الناس کسائر الأئمّه: ؟

الجواب : غیبه الإمام المهدی (عج) هی سرّ من أسرار الله تعالی، بحیث لایمکننا الإحاطه بکُنهها. إنَّ غیبه الأنبیاء عن أممهم لفتره مؤقّته، هو أمر قد تحقّق فی الأزمنه السالفه، مثل غیبه موسی بن عمران مدّه أربعین یوماً عن

۱- بحارالأنوار، ج ۵۲، ص ۲۳.
۲- المصدر نفسه، صص ۲۵، ۷۸، ۸۶؛ اثبات الهداه بالنصوص و المعجزات، ج ۶، صص ۳۱۱، ۴۲۵ و ج ۷، ص ۱۶؛ ینابیع المودّه، باب ۸۲. .

أمّته عندما ذهب إلی میقات ربّه (۱)، وغیبه السیّد المسیح بمشیئه الله عندما أراد الأعداء قتله، (۲)وغیبه النبیّ یونس فی الفتره التی قضاها فی بطن الحوت. (۳)

فالأمر الذی یبلغنا عن طریق النقل المتواتر، ولکنّنا لا نتمکّن من الإلمام بأسبابه، علینا، أن لا نشکّ فی صحّته أو نتردّد فی حقیقته، لأنّنا إذا اتبعنا هذه المنهجیه فسوف نُشکّک فی معظم الأحکام الإلهیّه وکذلک سنتردّد فی ضروریات الدین الإسلامی.

وغیبه الإمام المهدی لا ـ تُستثنی من هذه القاعده، وعدم الاطلاع علی السرّ الحقیقی لا یعتبر مسوغاً للشکّ فی أصل الغیبه أو إنکارها من الأساس.

ولکن مع ذلک یمکن فهم السرِّ من غیبه الإمام المهدی بمستوی العقل البشری. فالإمام المهدی هو خاتم الأوصیاء، وهو الموعود الذی سیملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً وسیرفع رایه التوحید فی جمیع أنحاء العالم. وهذا الهدف لا یتحقّق إلا بعد مض-یّ زمانٍ یستعدُّ فیه الناس روحاً وعقلاً لاستقباله ومؤازرته فی إقرار العدل والحریه.

ولا شکّ أنّ ظهور الإمام بعد مدّهٍ قصیرهٍ من غیبته سوف لا یؤدّی إلی انفجار ثورهٍ عالمیّهٍ شاملهٍ، لأنّه إن قام قبل توفّر الشروط

اللازمه لدى الناس، فسوف يكون مصير كمصير سائر حجج الله الذين استشهدوا قبل أن يتمكّنوا من تحقيق الهدف المنشود.

وقد أشار أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) إلى هذه الحقيقه فى أحاديثهم الشريفه، كما

١- (وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَهً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَهً) (الأعراف: ١۴٢) .

٢- (بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء: ١۵٨) .

٣- (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) (الصافات: ١۴٠) . .

قال الإمام الباقر (ع) : «إنّ للقائم غيبه قبل أن يقوم» فسأله الراوى: ولم؟ فقال (ع) : «يخاف» . وأومأ بيده إلى بطنه. (١)

أضف إلى ذلك، توجد أحاديث بيّنت أنّ سبب غيبه الإمام المهدى (عج) هو تمحيص الناس، أى أنّه وسيله أراد الله تعالى بها أن يختبر البشريّه يرى مدى إيمانها وصبرها فى هذا المجال. (٢)

وخلاصه الكلام هو أنّ الإمام المهدى خاتم الأوصياء، وهو الذى أعدّه الله لقياده الحكومه الإلهيّه الموحّده، ولا يتحقّق هذا الأمل العالمى إلّا بعد بلوغ البشريّه مرحله الاستعداد لتقبّل الإمام، والانقياد إلى أوامره. ودون ذلك فظهور الإمام (عج) قبل أوانه سيؤدّى إلى قتله وعدم تحقّق الهدف المنشود الذى غاب من أجله. ولهذا غاب الإمام المهدى (عج) ، ولكنّه مع ذلك يعيش بين الناس ويَرونه، ولكنّهم لا يعرفونه بأنّه الإمام المهدى (عج) ، وهذه هى الوسيله التى تصونه من شرّ الأعداء.

أضف إلى ذلك، بما أنّ حكومه الإمام المهدى (عج) حكومه عالميّه، فإنّها لاتتحقّق إلّا بعد توفّر الشروط المطلوبه، ولم تكن هذه الشروط متوفّره حين ولاده الإمام (عج) ، كما أنّها لم تتوفّر لحدّ الآن، ومتى ما توفّرت فسيأذن الله تعالى له ليظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً.

٣. انتفاع الناس من الإمام المهدى (عج) فى زمن غيبته

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : ماذا ينتفع الناس من الامام المهدى (عج) فى زمن غيبته؟

١- كمال الدين، باب ١۴، ح ٨، ٩، ١٠.

٢- انظر: بحارالأنوار، ج ۵٢، صص ١٠٢، ١١٣ - ١١۴. .

الجواب : قسّم القرآن الكريم أولياء الله إلى ولىٍّ ظاهرٍ يعرفه الناس بشخصه، وولىٍّ غائبٍ عن أنظار الناس، بحيث لا يعرفونه

شخصه، على الرغم من وجوده بينهم واطلاعه على أحوالهم.

وقد أشار القرآن الكريم فی سوره الكهف إلى هذين القسمين، فأحدهما موسى بن عمران حيث كان حجه الله الظاهر، والآخر هو الخضر (ع) الذی كان حجه الله الغائب، الذی صحب موسى لفترهٍ قصيرهٍ.

وهو حجّه الله الغائب الذی لا يعرفه أحد حتّى النبیّ موسى (ع) ، وإنّما تعرّف عليه موسى بإرشاد من الله تعالى واكتسب منه علماً. قال تعالى: (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنا وعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً * قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) (الكهف: ۶۵ و۶۶) .

ثم يبيّن القرآن الكريم بعض الأعمال النافعه التی يقوم بها الخضر، وهو حجّه الله الذی لا يعرفه أحد. ونستوحی من ذلک أنّ حجّه الله الغائب على الرغم من عدم معرفه الناس له، لكنّه يقوم بأعمال لها آثار وبركات. (۱)

والإمام المهدی (عج) أيضاً هو حجّه الله الغائب، وهو كالخضر، حيث لايعرفه أحد بشخصه، ولكنه يقوم بأمور نافعه للناس. إذن، غيبه الإمام لاتعنی انفصاله عن المجتمع، بل هو، كما جاء فی أحاديث أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) كالشمس المحتجبه وراء السحاب ولا يراها أحد. ولكنّ بركاتها تعمّ الأرض وأهلها.

قال رسول الله (ص) :

«إی والذی بعثنی بالنبوّه إنّهم لينتفعون به، ويستضيؤون بنور ولايته فی غيبته

۱- (الكهف: ۷۱-۸۲) . .

ص: ۱۴۴

كانتفاع الناس بالشمس، وإن جلّلها السحاب» . (۱)

فأنوار وجود الإمام المهدی (عج) تشعّ وراء سُحُب الغيبه ولها تأثيرها فی أوسع نطاق ممكن، وحرمان الإمام من بيان المسائل العلميّه والتربويّه للناس بصوره مباشره؛ وعدم تصديه لزمام الحكم لا يعنی أنّه لا نشاط له فی مجال هدايه البشريّه، بل له مهام يؤدّيها، منها:

أ) الحفاظ على دين الله

يواجه الدين التحريف بمرور الزمان بسبب امتزاج تعاليمه بالأهواء والآراء الشخصيّه وهيمنه المذاهب والتيارات المختلفه عليه، فيؤدّی هذا الأمر إلى تحريف مفاهيمه السماويّه.

وإنّما الإمام المعصوم وحده قادرٌ على حفظ ما جاء به الرسول (ص) من دون أن تشوبه شائبه، ولهذا عندما تعمّ الشبهات فی المجتمع ويواجه الناس التزلزل العقائدی، يكون الإمام المعصوم هو الوحيد القادر على تصحيح مسار الأمّه وصيانتها من

الانحراف.

وكلّنا نعلم بأنّ كلّ مركزٍ هامٍّ فيه خِزانةٌ لحفظ الوثاق المهمّه كى تحفظ من السرقه والتلف.

فقلب الإمام المعصوم بمثابه هذه الخزانه، وهو يحفظ ما جاء به الرسول (ص) ويصونه من جميع أنواع التحريف ومن جميع الشوائب والأدران.

وهكذا يحفظ الله تعالى دينه من الانحراف، والإمام يؤدّى مهمّته فى زمان غيبته دون أن يطّلع أحد عليه بشخصه.

١- بحارالأنوار، ج ۵۲، ص ۹۳، نقلاً عن: كمال الدين للشيخ الصدوق. .

ص: ۱۴۵

ب) مهمّه الإمام فى إعداد النخبه الواعيه فى غيبته

صله الإمام المهدى (ع) بالناس لا تنقطع فى زمن غيبته، بل له صله وثيقه بفئهٍ قليله، وهم الذين يجد فيهم الإخلاص والاستعداد التامّ للالتحاق بركبه من أجل القيام بالإصلاح العالمى، وغيبته لا تعنى عدم قدره الناس على رؤيته، بل الإمام (عج) يُرى وله حياته الطبيعيه، ولكن لا ـ يعرفه الناس بشخصه، لأنّه يعيش بين الناس، ويصطفى أصحاب القلوب المستعدّه ويعمل على رفع مستواهم المعنوى.

وكلّ إنسان بمقدار استعداده يستفيض من ألطاف الإمام المهدى (ع) ، وكلّ مَن يلتقى به فإنّه يحظى ببركاته حسب ما يستحقّه، فترى البعض يلتقى بالإمام عدّه ساعات والآخر يلتقى به عدّه أيّام، وغيره يعاشر الإمام عدّه سنوات، وكلّهم لا يعلمون بأنّهم يرون الإمام المهدى (عج) .

فالشمس الغائبه وراء السحاب تكون غائبه لمن هو تحت السحاب، ولكن الذين يمكنهم الارتفاع إلى عنان السماء واجتياز السحاب، فإنّهم قادرون على خرق الحجب ورؤيه الشمس بصورهٍ مباشرهٍ.

لذا، يجب على كلّ من يريد رؤيه نور الشمس أن يُزيح الحُجب ويجتاز السحاب بأعماله الصالحه وانتظاره الفرج.

ج) . الهدايه التكوينيّه

لا يخفى على أحد بأنّ للشمس إشعاع غير مرئى يدعى الأشعه تحت الحمراء، أو الاشعه فوق البنفسجيّه، فضلاً عن نورها المرئىّ الذى يتجزّأ إلى سبعه ألوانٍ.

ولحجه الله أيضاً – سواء كان نبيّاً أو إماماً – إضافه إلى هدايته عن طريق

ص: ۱۴۶

بيان الأحكام الش-رعيّه، هـدايةٌ باطنيّةٌ لها تأثيرها المعنوى على القلوب والأفكار، ويمكننا تسـميه هذه الهدايه بالهدايه التكوينيّه. وفى هذه الهدايه لاتستخدم الكلمات والعبارات وأنّما تأثيرها باطنيٌّ يجذب الانسان نحو حجّه الله تعالى.

ولوجود الإمام المهدى (عج) وراء سـحاب الغيبه أيضاً هذا التأثير التكوينى، فهو ينفذ فى القلوب المستعدّه ويترك أثره الإيجابى فيهـا؛ ويربّى بعض الأشـخاص بهـذه الطريقه. فنحن لا ـ نرى الأمواج المغناطيسـيّه الموجوده فى الأرض ولا نشـعر بها، ولكنّنا نرى أثرها على البوصله، وبهذه الطريقه استطاع الانسان أن يهتدى الى مقصده فى الصحارى والبحار والفضاء.

والملايين فى العالم يتعرّفون على المسار الصحيح لحركتهم فى السفر عن طريق هذه الأمواج غير المرئيه، ولذا، ليس من العجيب قولنا إنّ للإمام الحجّه الغائب آثاراً معنويّةً يستقطب من خلالها قلوب ونفوس الكثير من الناس من أجل هدايتهم إلى الحقّ.

ولا يخفى بأنّ الأمواج المغناطيسـيّه الموجوده فى الأرض لا تُحرّك كلّ قطعه حديـد، وإنّما تحرّك العقربات الظريفه والحساسـه التى تمتلك خصوصيه المغناطيسيّه فقط، والتى يكون بينها وبين الأمواج سنخيّه وتشابه.

وكذلك فجميع القلوب لا تتأثر بهدايه الامام (ع) التكوينيّه وإنّما يكون هذا التاثير نافذاً فى القلوب المسـتعدّه لاستقبال ما يفيضه الإمام إليها.

وبركات الإمام المهدى (عج) وآثاره فى زمان الغيبه كثيره جدّاً، ولا يسعنا المقام هنا الحديث عنها بالتفصيل، وإنّما اكتفينا بهذا المقدار مراعاه للاختصار.

والحمد لله فقد تناول الباحثون هذا الموضوع بالشرح والتحليل فى مختلف جوانبه، وبإمكان الراغبين بالاطلاع على هذا الموضوع مراجعتها.

ص: ۱۴۷

۴. الإمام المهدى والعمر الطويل

اشاره

السؤال الـذى يطرح هنا، هو: ولد الإمام المهدى عام ۲۵۵ه، ويمرّ لحـدِّ الآن أكثر من ألف عام على ولادته، فكيف يمكن لإنسانٍ أن يعيش كلّ هذه المدّه؟

الجواب : يمكن تفسير هذا الأمر بتفسيرين، كما يلى:

۱. تفسير غيبىّ

أشار القرآن الكريم والأحاديث الش-ريفه إلى بعض الناس الذين لاتنسـجم أعمارهم مع الأعمار المألوفه عندنا، منها قوله تعالى حول النبى نوح (ع) : (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَهٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً) (العنكبوت: ۱۴) .

وتشير هذه الآيه، إلى فتره تبليغ النبى نوح (ع) فقط، ولا تشير إلى الفتره التى عاشها بعد الطوفان أو قبل التبليغ.

وأشار الله تعالى أيضاً إلى النبى يونس (ع) قائلًا (فَلَولا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الصافات: ۱۴۳ و ۱۴۴) .

فالله القادر على إبقاء النبى يونس (ع) حيّاً إلى يوم القيامه فى بطن الحوت، كيف لايسعه إبقاء الامام المهدى (عج) وهو حجّته على الأرض حيّا لفتره تفوق الحدِّ الطبيعى لحياه الإنسان العادى؟ ! قال تعالى: (وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (الأنعام: ۹۱) .

وينبغى أن نعرف بأنّ طول عمر الإمام المهدى (عج) هو لطفٌ إلهيٌّ، ولولا هذا اللّطف لما تمكّن من البقاء حيّاً طيله هذه الفتره التى غاب فيها، حيث حفظه الله تعالى من مكائد الدهر ومصائبه.

۲. تفسير طبيعيٌّ

إنّ علم الطب وعلم الأحياء لم يضعا حدّاً لعمر الإنسان، بحيث يكون من

ص: ۱۴۸

المستحيل للإنسان تجاوز هذا الحدّ، ومن خلال تشخيص أسباب الشيخوخه والموت المبكّر والعمل على مكافحه ذلك، سوف يتيسّر رفع نسبه عمر الإنسان، وكما نلاحظ اليوم فإنّ تطوّر علم الطب ارتفاع مستوى الصحه العامّه فى البلدان المتطوّره قد أدّيا إلى زياده أعمار الناس فيها. مثال ذلك كان متوسط العمر فى أمريكا عام ۱۹۰۱ للرجال ۲۳/۴۸ وللنساء ۸۰/۵۱، ولكنَّ هذه النسبه ارتفعت فى عام ۱۹۴۴ وأصحبت للرجال ۵۰/۶۳ وللنساء ۹۵/۶۸.

ويعود سبب هذا الارتفاع إلى ارتقاء مستوى التغذّيه والصحّه فى فتره الطفوله وتطوير أساليب العلاج والوقايه الصحيّه، ولا سيّما الوقايه من الأمراض المسريّه، ولكنّنا نجد بأنّ الطب لم يتمكّن لحدّ الآن من علاج بعض الأمراض المستعصيه من قبيل تصلّب الشرايين. (۱)

وهذه الاحصائيّات تعود إلى الفتره الماضيه، وأمّا الآن، فقد تطوّرت وسائل الصّحه والعلاج، وارتفعت نسبه العمر فى جميع أنحاء العالم، ففى إيران مثلاً قد تحقّق هذا الأمر أيضاً.

ولطول العمر صله وثيقه بالوراثه والأجواء التى يعيش فيها الإنسان، ونوع العمل الذى يقوم به، ومدى الضغوط النفسيه والعصبيه التى يواجهما فى حياته، كما للتغذيه المناسبه أيضاً دور أساسى فى هذا المجال.

وطول العمر بذاته لا يعتبر العلّه للموت، بل إنّ الموت يحدث بسبب على الأمراض والعادات المضرّه التى تؤدّى إلى استهلاك أعضاء البدن وتعطّلها عن العمل والنشاط. ونحن نشاهد فى زماننا هذا الكثير ممّن تجاوزت أعمارهم مائه عام.

۱- انظر: دادگستر جهان، صص ۱۷۷-۱۸۲. .

ص: ۱۴۹

ویعود سبب ذلک للظروف المناخیّه والتغذیّه الطبیعیّه والصحیّه التی یمتع بها هؤلاء.

وهناک الکثیر من المعمّرین فی تأریخ البش-ریه حیث فاقت أعمارهم الحدَّ الطبیعیّ، وقد ألّفت العدید من الکتب حول هؤلاء تحت عنوان: (المعمّرون) .

۵. تأخّر ظهور الإمام المهدی (عج)

اشاره

السؤال الذی یطرح هنا، هو : ما هی أسباب تأخر ظهور الإمام المهدی (عج) ؟

الجواب : تختلف طریقه الإمام المهدی (عج) فی إحیاء دین الله تعالی عن طریقه الأنبیاء وسائر الأئمّه: الذین سبقوه؛ لأنّه لا یقتص-ر علی مجرّد الدعوه والإرشاد، بل یظهر لینشر العدل والدین فی جمیع أنحاء العالم، أی أنّ مهمّته هی نشر جمیع تعالیم الإسلام فی جمیع ربوع العالم.

ولاریب فی أنّ ظهور الإمام المهدی (عج) للقیام بثوره عالمیّه لملء الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، یستدعی توفّر شروط ومقدّمات، وهی تستلزم نضج البشریّه وبلوغها مرحله قبول هذه الثوره العظمی، ومن هذه المقدّمات نذکر مایلی:

۱. الاستعداد النفسی

إنّ أهمّ أمرٍ یجب تحقّقه لظهور الامام المهدی (عج) هو رغبه الناس الشدیده لنشر العدل وإقرار الحقّ، وإذا لم یبلغوا هذه المرحله فلن یکون لدیهم اهتمام بما یدعوهم الإمام المهدی (عج) إلیه، فقانون (العرض والطلب) لا یحکم فی النظام الاقتصادی فحسب، بل هو قانون ینطبق علی جمیع الأصعده، ومنها البرامج المعنویّه والأصول الاخلاقیّه والمدارس السیاسیه والثوریه.

ص: ۱۵۰

وما لم ینشأ طلب فی أعماق قلوب الناس لش-یء، فسیکون عرض ذلک الشیء غیر مرغوب فیه.

قال الإمام الباقر (ع) :

«إذا قام قائمنا وضع الله یدیه علی رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وکملت به أحلامهم» . (۱)

وبالطبع فإنّ مرور الزمان وفشل القوانین المادیّه وانقطاع السُّبُل ووصول البشریّه إلی حافه الهاویه واندلاع الحروب إلی استیعاب هذه الحقیقه وهی أنّ القوانین المادیّه، والمنظمات التی یُطلق علیها اسم المنظمّات الدولیّه، لا یسعها حلّ مشاکل البشریّه ولا تتمکّن من بسط العدل فی العالم.

بـل هی السبب فی فشل البش-ریّه، وعنـدما یهیمن الیأس والجزع علی الناس، سوف یُطالبون بثورهٍ عالمیهٍ تحت رایه قائـدٍ دینیٍّ متکاملٍ ینقذهم ممّا هم فیه من جورٍ وظلمٍ.

ولاـ یخفی بـأنّ هـذا الأـمر یتطلّب زمنـاً طویلًا لتثبت التجارب المرّه للبش-رّیه بأنّ جمیع الأنظمه المادیّه والمؤسّ-سات البش-ریّه عـاجزه عن تحقیق العـدل وإحقـاق الحقّ وتثبیت الأـمن والاسـتقرار، ومن هنـا تنشأ فی نفوس الناس حاله التعطّش لسـیاده العـدل الإلهی علی الأرض، وتتهیأ الأرضیّه لظهور المصلح العظیم الذی یملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. (۲)

۲. تکامل علوم البشر وثقافاتهم

إنَّ الحکومه العالمیّه المبتنیه علی أساس العدل بحاجه ماسّه إلی تطوّر

۱- الکافی، ج ۱، ص ۲۵.

۲- من علامات ظهور الإمام المهدی (عج) أنّ الأرض تمتلیء ظلماً و جوراً، و هذا ما أشارت إلیه العدید من الأحادیث الشریفه، و هذا الظلم هو الذی یهیّئُ الأرضیّهَ لظهور المصلح العالمی لیملأ الأرض قسطاً و عدلاً. .

العلوم وارتقاء المستوی الثقافی علی الصعید الاجتماعی هذا التطوّر والرقیّ لایتحقّق إلّا بعد النضوج الفکریّ ومرور الزمان.

۳. تکامل وسائل الاتّصال

لاـ شـکّ فی أنّ تأسـیس حکومه عـالمیّه یسودهـا العـدل تتطلّب وجود وسائـل اتّصالات متکامله لیتسـنی من خلالها اِبلاغ الناس بـالمقرّرات والأحکـام اللاـزمه فی أسـرع وقت ممکن، وهـذا الأـمر أیضـاً لا یتحقّق إلّا عن طریق تکامل الصـناعه البشـریّه ومرور الزمان.

۴. تربیه الکوادر الکفوءه

لا تتحقّق أهداف حکومه المصلح العالمی إلّا بعد امتلاکها الکادر المتمتّع بالحیویّه والنشاط، وهذا الأمر بحاجه إلی مرور الزمان.

وبشکلٍ عامٍّ، فإنّ غیبه الإمام المهدی (عج) هی اختبار إلهی للبش-ریه، والاختبار بالطبع یکشف البواطن ویزرع فی نفوس الناس روح الصبر الصـمود والاسـتقامه، وغیرها من الفضائل الأخلاقیّه. والهـدف من جمیع الاختبارات الإلهیّه للأنبیاء والأولیاء: هو بلوغ المراتب العلیـا عنـد الله تعـالی، ومن هنـا ابتلی اللهُ إبراهیمَ، فلمّا وجـده لائقـاً اصـطفاه للإمـامه. وهکـذا سـائر الناس، کلٌّ حسـب استعداده، وکلّ من یفوز فی الاختبارات الإلهیّه یکون مؤهّلًا للانخراط فی رکب الإمام المهدی (عج) عند ظهوره.

وعموماً فهذه المقدّمات الأربعه تحتاج إلی زمان لتتهیأ الأرضـیّه وتتهیأ الأجواء وتتهیأ النفوس لتقبّل الحکومه العالمیّه المبتنیه علی أساس الحقّ والعدل، وهذا ما یکشف لنا جزءاً من حکمه غیبه الإمام المهدی (عج) .

ص: ۱۵۲

ص: ۱۵۳

الفصل السابع: المسائل الفقهيه

۱. طريقه غسل اليدين عند الوضوء

السؤال الـذى يطرح هنـا، هو : لمـاذا يغسل الشـيعه أيـديهم فى الوضوء من الأعلا إلى الأسـفل فى حين أهل السـنّه يغسـلونها من الأسفل الى الأعلا؟

الجواب : نحن نعلم أنّ الوضوء من مقدّمات الصلاه. قال تعالى:

(يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاهِ فَاغْسِـلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْـدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وامْسَـحُوا بِرُؤُسِـكُمْ وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) (المائده: ۶) .

وسيتضح لنا فيما يلى سبب غسل الشيعه أيديهم فى الوضوء من الأعلا إلى الأسفل:

۱. لكلمه (اليد) فى اللغه العربيّه استعمالات مختلفه، فهى قد تُطلق على الأصابع فقط، أو من الأصابع إلى المعصم، أو من الأصابع إلى المرفق، أو من الأصابع إلى الكتف.

۲. المقدار الواجب فى غسل الأيدى هو القسم الواقع بين المرافق وأطراف الأصابع، والمقصود من (إِلَى) هنا تحديد الجزء الذى يجب غسله، وليس المقصود أن تبدأ عمليّه الغسل من الأصابع وتنتهى إلى المرافق.

ص: ۱۵۴

إذن، نسـتنتج بأنّ لليـد معانى متعدّده، وهذه الآيه فى مقام بيان المقدار المطلوب لغسل الأيدى. فأكّدت على المقدار الذى يجب غسله هو (إِلَى الْمَرافِقِ) ، وهى ليست فى مقام بيان كيفيّه الغسل ومن أين يبدأ وإلى أين ينتهى؟

ومثـال ذلك أن يقول الطبيب للمريض: يجب عليك أن تغسل رجليك إلى الركبتين. ولا يخفى بأنّ مقصود الطبيب هنا تحـديد المقدار الذى يجب غسله، وليس المقصود لزوم غسل الرجل، بحيث يبدأ الغسل من أصابع الرجل، وينتهى إلى الركبتين.

فالآيه بصدد بيان المقدار المطلوب غسله من الأيدى فى الوضوء، وأمّا كيفيه الوضوء، فقد بيّنتها السنّه والأحاديث الشريفه الوارده عن أئمّه أهل البيت (عليهم السلام) ، وهى صريحه بأنّ الكيفيّه التى أرادها الله تعالى هى غسل الأيدى ابتداءاً من المرافق.

وهـذه الطريقه أيضـاً هى الطريقه المتعـارفه عنـد عامه الناس عنـدما يُؤمروا بغسل أيـديهم، فإذا قلت لشـخص: اغسل يـديك إلى الكتف، فإنّه لا يفهم لزوم بدء غسلها من الأصابع باتّجاه الكتف، بل يفهم بأنّ عليه أن يغسل يديه، فيغسلها بصوره لا شعوريّه من الأعلا إلى الأسفل.

۲. مسح الرجلين بدلاً من غسلهما

اشاره

السؤال الذی يطرح هنا، هو : لماذا يمسح الشيعه أرجلهم فی الوضوء بدلاً من غسلها؟

الجواب : أمرنا القرآن الكريم وكذلك الأحاديث الش-ريفه بمسح أرجلنا فی الوضوء، لا غسلها.

فالآيه السادسه من سورهالمائده تكشف بأنّ الوضوء يتحقّق بأمرين، هما:

ص: ۱۵۵

۱. غسل الوجه واليدين.

۲. مسح الرأس والرجلين.

وهذا ما يمكن الإلمام به من خلال المقارنه بين العبارتين التاليتين فی قوله تعالی:

۱. (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ) .

۲. (وامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) .

فلوعرضنا هاتين العبارتين علی شخص عربی، غير مطّلع علی الاختلافات الفقهيّه المطروحه حول هذه الآيه، فإنّه سيقول من دون شكّ بأنّ الوضوء هو غسل الوجه واليدين، ومسح الرأس والرجلين.

ومن الناحيه اللّغويه، فلفظ (أَرْجُلَكُمْ) يجب عطفه علی كلمه (رُؤُسَكُمْ) . وهذا يُثبت لزوم مسح الأرجل، ولا يمكن عطف (أَرْجُلَكُمْ) علی (أَيْدِيكُمْ) وادّعاء وجوب غسل الأرجل؛ لأنّ هذا العطف تتبعه جمله اعتراضيه بين المعطوف (أَرْجُلَكُمْ) والمعطوف عليه (أَيْدِيكُمْ) وهی عباره (فَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ) . وهذا الأمر لايطابق قواعد اللغه العربيّه، ويوجب الوقوع فی الخطأ فی فهم المقصود.

علماً بأنّ مسح الأرجل لا يوجد فرق بين قراءه الجر وقراءه النصب، وعلی ضوء القراءتين تكون (أَرْجُلَكُمْ) معطوفه علی (رُؤُسَكُمْ) ، ولكن مع هذا الفرق بأنّها اذا كانت معطوفه علی لفظ رؤوسكم، فهی مجروره، وإذا كانت معطوفه علی محلّها فهی منصوبه.

وقد تحدّث علماء الإماميّه عن آيه الوضوء فی بحوث كثيره، وقد أشار الطبرسی فی مجمع البيان إلی بعض هذه البحوث. (۱)

۱- انظر: مجمع البيان، ج ۲، صص ۱۶۳-۱۶۷. .

ص. ۱۵۶

منشأ الاختلاف

اشاره

تكشف آيه الوضوء بأنّ المطلوب فی الوضوء، هو مسح الأرجل، ومضمون الآیه لا یخلومن أمرین:

۱. غسلتان: غسل الوجه والیدین.

۲. مسحتان: مسح الرأس والرجلین.

وعندما كان یسأل ابن عبّاس عن كیفیّه الوضوء، فإنّه كان یقول:

نزل القرآن بالمسح. ویقول أیضاً: «نزل القرآن بالمسح وجرت السنّه بالغسل» . (۱)

والجدیر بالبحث هنا هو معرفه سبب نشوء الاختلاف، وذلک من خلال دراسه الأحادیث الشریفه ودراسه تأریخ تش-ریع الوضوء، وهناک سببان لذلک، هما كما یلی:

۱. السلطات الحاكمه

كان للسلطات الحاكمه بعد وفاه الرسول (ص) الدور الأساسی فی تغیر حكم المسح علی الأرجل فی الوضوء، ولا سیّما فی زمن الحجّاج بن یوسف الذی كان یصرّ علی غسل الرجلین معتقداً أنّه أفضل، لأنّه یؤدّی إلی نظافه أرجل المصلّین.

وعندما علم الصحابیّ أنس بن مالک بأنّ الحجّاج أمر بغسل الرجلین فی الوضوء، سخط سخطاً شدیداً. فقد ذكر المؤرخون والمفسرون مایلی:

عندما قال الحجّاج: «إغسلوا بطونهما وظهورهما» ، غضب أنس لذلک،

۱- الدر المنثور، ج ۳، صص ۱ – ۴. .

ص: ۱۵۷

وقال: «صدق الله، وكذب الحجّاج، قال الله تعالی: (وامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ) » . (۱)

وكان إصرار حكومه بنی أمیّه علی غسل الرجلین شدیداً جدّاً، بحیث لم یجرؤ أحد من الفقهاء آنذاک بالاعتراض علیهم.

روی أحمد بن حنبل بسنده عن أبی مالک الأشعری أنّه قال لقومه:

اجتمعوا أصلّی بکم صلاه رسول الله. فلمّا اجتمعوا، قال: هل فیکم أحد غیرکم؟

قالوا: لا. فدعا بجفنهٍ فیها ماءٌ، فتوضّأ ومضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثاً وذراعیه ثلاثاً، ومسح برأسه وظهر قدمیه، ثمّ صلّی. (۲)

۲. تقدیم المصلحه الخاصّه علی النصّ القرآنی

من الأمور التی أدّت إلی نشوء الکثیر من البدع هی مسأله تقدیم المصلحه علی الکتاب والسنّه، وقد أشرنا فی کتابنا (البدعه) إلی بعض البدع التی نشأت لهذا السبب، ومن هذه البدع بدعه غسل الأرجل فی الوضوء.

أبوبکر الرازی المعروف بالجصّاص (ف ۳۷۰ه) ذکر فی کتابه (أحکام القرآن) ، بأنّ آیه الوضوء من ناحیه وجوب المسح أو وجوب الغسل مجمله، والاحتیاط یقتضی غسل الأرجل؛ لأنّ من یغسل رجله فقد قام بالغسل والمسح معاً. (۳)

ولکن الادّعاء بأنّ آیه الوضوء مجمله، لا ینسجم مع مضمون الآیه الذی

۱- انظر: تفسیر الطبری، ج ۶، ص ۸۲؛ تفسیر القرآن لابن کثیر، ج ۲، ص ۲۰.
۲- مسند أحمد، ج ۵، ص ۳۴۲؛ المعجم الکبیر للطبرانی، ج ۳، ص ۲۸.
۳- انظر: أحکام القرآن، ج ۲، ص ۳۴۶. .

هو بیان وظیفه المکلّف، أضف إلی ذلک فإنّ الاحتیاط یقتضی أن یتوضّأ المرء مرّتین؛ لأنّ المسح یختلف عن الغسل. وصاحب تفسیر (المنار) لا ینکر ظهور الآیه فی لزوم المسح علی الأرجل، ولکنّه یقول إنّ مسح الأرجل المتّسخه یزید فی وساختها.

ولکنّه غفل بأنّ الوضوء غیر مختصّ بالبدو والأشخاص الذین لایهتمون باالنظافه، بل التشریع الإلهی یشمل أهل المدینه والبادیه معاً، وأحکام الله لاتتغیّر إلی قیام الساعه.

ونسأل مؤلف المنار: ما هی الفائده المتوخّاه من المسح علی الرأس بأصبع واحد - کما أجازه الشافعی -؟

فلماذا یکون المسح علی الرأس باصبع واحد جائزاً، ولکنّ المسح علی الأرجل غیر جائزٍ؟ !

أضف إلی ذلک، فأنّ الحکمه من الوضوء لا تقتصر علی النظافه، بل هی عباده. وهو واجبٌ علی أنظف الناس أیضاً، والإنسان غیر النظیف - أیضاً - ینبغی علیه أن یغسل رجلیه أولاً، ثمّ یتوضّأ.

تحدّثنا حتی الآن عن آیه الوضوء. وأمّا أدله السنّه علی لزوم مسح الأرجل فی الوضوء فهی کما یلی:

قد یتصوّر البعض بأنّ کتب أهل السنّه لا تتضمّن أحادیث نبویه حول لزوم المسح علی الأرجل فی الوضوء، ولکنّ الواقع لیس

كذلك، حيث عثرت على أكثر من ثلاثين حديثاً، كلّها تبيّن بأنّ النبى (ص) والصحابه كانوا يمسحون على الأرجل فى وضوئهم.

فالدلاله الواضحه لآيه الوضوء والأحاديث النبويّه على لزوم المسح توجب على فقهاء أهل السنّه أن يعيدوا النظر فى هذه المسأله.

وهذا ما يقرّبهم إلى الوحده الإسلاميّه على الصعيد العملى، كما أنّهم إذا أفتوا بلزوم المسح على الأرجل فى الوضوء فإنّهم سيتبعون بموقفهم هذا الكثير من كبار الصحابه والتابعين، منهم:

۱. أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (ع) الذى قال:

«رأيت رسول الله يمسح ظاهرهما» . (۱)

۲. جابر بن عبد الله، حيث نقل عن الإمام محمّد بن على بن الحسين:

– المعروف بباقر العلوم، وهو الذى اتّفق الجميع على عظمته وجلاله قدره وفقاهته (۲)– أنّه (ع) قال له: «امسح على رأسك وقدميك» . (۳)

۳. عن بسر بن سعيد أنّه قال:

«أتى عثمان المقاعد، فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق، ثمّ غسل وجهه ثلاثاً، ويديه ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه ورجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثمّ قال: «رأيت رسول الله هكذا توضّأ. . .» . (۴)

۴. عن حمران أنّه قال: «دعا عثمان بماء فتوضّأ، ثمّ ضحك، ثمّ قال: ألا تسألونى ممّ أضحك؟ قالوا: يا أميرالمؤمنين ما أضحكك؟ قال: رأيت رسول الله توضّأ كما توضّأت، فتمضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثاً، ويديه ثلاثاً، ومسح برأسه وظهر قدميه» . (۵)

۵. رُوى فى مسند عبدالله بن زيد المازنى: «إنّ النبى توضّأ فغسل وجهه ثلاثاً،

۱– مسند أحمد، ج ۱، ص ۱۵۳.
۲– تذكره الحفاظ، ج ۱، ص ۱۲۴.
۳– تفسير الطبرى، ج ۶، ص ۸۲.
۴– مسند أحمد، ج ۱، ص ۱۰۹.
۵– كنز العمال، ج ۹، ص ۴۳۶. .

ویدیه مرتین، ومسح رأسه ورجلیه مرتین» . (۱)

۶. عبد الله بن عبّاس کان یقول دائماً: «إنّ الوضوء غسلتان ومسحتان» . (۲)

۷. رُوی عن عامر الشعبی أنّه قال: «أمر أن یمسح بالصعید فی التیمّم ما أمر أن یغسل بالماء، وأهمل ما أمر أن یمسح بالماء» . (۳)

۸. قال الصحابیّ رفاعه بن رافع إنّ رسول الله (ص) کان یمسح رأسه ورجلیه إلی الکعبین. (۴)

۹. الصحابیّ أبومالک الأشعری کان یعلم عشیرته وضوء النبی (ص) ، وکان یمسح علی رأسه وظهر قدمیه. (۵)

۱۰. روی الصحابی رفاعه بن رافع عن رسول الله (ص) أنّه قال:

«لا تتمّ صلاه أحدکم حتّی یسبغ الوضوء کما أمر الله، فیغسل وجهه ویدیه إلی المرفقین، ویمسح برأسه ورجلیه إلی الکعبین» . (۶)

ونحن نکتفی فی هذا المقام بذکر أقوال ومواقف هؤلاء العش-ره من الصحابه والتابعین الذین کانوا یمسحون علی أرجلهم فی الوضوء، ومن أراد المزید، فلیراجع کتابنا (الإنصاف فی مسائل دام فیها الخلاف) . (۷)

۳. (حیّ علی خیر العمل) فی الأذان

السؤال الذی یطرح هنا، هو : لماذا یقول الشیعه فی الأذان والإقامه عباره

۱- کنز العمال، ج ۹، ص ۴۵۱.

۲- تفسیر الطبری، ج ۶، ص ۸۲.

۳- المصدر نفسه.

۴- سنن ابن ماجه، ج ۱، ح ۴۶۰؛ سنن النسائی، ج ۲، ص ۲۲۶.

۵- مسند احمد، ج ۵، ص ۳۴۲.

۶- مسند احمد، ج ۵، ص ۳۴۲.

۷- المجلّد الأوّل، صص ۵۶ - ۹۵. .

(حیّ علی خیر العمل) ؟

الجواب : یقول الشیعه فی الأذان عباره (حیّ علی خیر العمل مرّتین، وذلک بعد عباره (حیّ علی الفلاح) .

وقد ورد فی أحادیث أئمّه أهل البیت (علیهم السلام) بأنّها جزء من الأذان. ولمعرفه سبب حذف هذه العباره من الأذان عند أهل

السنّه، فلابدّ من البحث من أجل معرفه ذلک.

ذکرنا آنفاً مسأله تقدیم المصلحه، ویجد کلّ متأمّل فی التأریخ الإسلامی بأنّ هذه المسأله اشتهرت فی عصر الخلیفه الثانی، بحیث أدّی الأمر إلی تقدیم المصلحه علی الکتاب والسنّه فی العدید من الموارد.

ومثال ذلک أنّنا نجد فی عصر الرسول (ص) وفی زمن الخلیفه الأوّل وحتّی فی وقتٍ من خلافه الخلیفه الثانی، کان إیقاع الطلاق ثلاث مرّات فی المجلس الواحد یعدّ إیقاعاً واحداً، ولکن فی منتصف فتره خلافه الخلیفه الثانی تغیّر الحکم، وأصبح إیقاع الطلاق ثلاث مرّات فی المجلس الواحد یعدّ ثلاث إیقاعات، ولا یکون للزوج بعد ذلک حقّ الرجوع إلی زوجته. (۱)

وسنوضّح أنّ حذف عباره: (حیّ علی خیر العمل) من الأذان أیضاً، قد کان فی عهد الخلیفه الثانی.

وتثبت البحوث التأریخیه بأنّ عباره (حیّ علی خیر العمل) کانت من الأجزاء الثابته والأساسیّه فی الأذان، وکان المؤذّنون یقولونها فی أذانهم فی عهد النبی (ص) ، وبعد وفاته أیضاً ثمّ حذفت السلطه هذه العباره من الأذان لسبب أو أسباب ما.

۱- الانتصار، ص ۱۳۷، باب وجوب قول: «حی علی خیر العمل» . .

ص: ۱۶۲

أ) قال السیّد المرتضی: «وقد روت العامه أنّ ذلک: (حی علی خیر العمل) ممّا کان یقال بعض أیّام النبی (ص) ، وإنّما ادّعی أنّ ذلک نسخ ورفع» . (۱)

ب) قال ابن عربی فی الفتوحات المکیه: «فی غزوه الخندق، إذ کان الناس یحفرون، فجاء وقت الصلاه فنادی منادی من أهل الخندق: (حیّ علی خیر العمل) - فما أخطأ من جعلها فی الأذان، بل اقتدی - إن صحّ الخبر- أو سنّ سنّه حسنه» . (۲)

ج) قال شرف الدین المعروف بالسیاغی المتوفّی سنه ۱۲۲۱هفی کتاب (الروض النضیر) : «الصحیح أنّ الأذان شرع بحیّ علی خیر العمل؛ لأنّه اتّفق علی الأذان به یوم الخندق» . (۳)

د) . وأتباع المذاهب الإسلامیّه الثلاث: الإمامیّه والزیدیّه والإسماعیلیّه، الذین هم أتباع مذهب أهل البیت (علیهم السلام) ، یعتقدون بأنّ عباره: (حیّ علی خیر العمل) جزء من الآذان. (۴)

ونذکر فیما یلی بعض الأحادیث الشریفه الوارده فی هذا المجال:

۱. نقل المتّقی الهندی فی کنز العمّال عن معجم الطبرانی: «کان بلال یؤذّن بالصبح، فیقول: حیّ علی خیر العمل» . (۵)

۲. نقل الحافظ العلوی الزیدی ۳۶۷-۴۴۵هفی رسالته «الأذان بحیّ علی خیر العمل» ، عن الصحابیّ أبی محذوره أنّه قال: «کنت غلاماً صیّتاً

۱- الفتوحات المكيّه، ج ۱، ص ۴۰۰.
۲- الاعتصام بالكتاب والسنه، صص ۱۷۵ – ۲۱۰.
۳- الروض النضير، ج ۱، ص ۵۴۲.
۴- انظر: كتاب الاذان بحيّ على خير العمل للحافظ العلوى، ص ۹۱.
۵- كنز العمّال، ص ۲۴۳. .

ص: ۱۶۳

فأذّنت بين يدى رسول الله، فلما انتهيت إلى حيّ على الفلاح، قال النبى (ص) : «

ألحق فيها: حيَّ على خير العمل (۱)» .

وأجمع أهـل السير بـأنّ (حى على خير العمل) كانت جزءاً من الأذان فى غزوه حنين، (۲)وقد وقعت هذه الغزوه فى أواخر السـنه الثامنه للهجره، حيث وقعت بعد فتح مكّه.

وهذا يدلّ على أنّ (حيّ على خير العمل) كانت جزءاً من الأذان فى عهد الرسول (ص) .

فى رساله (الأذان بحيّ على خير العمل) ، تأليف الحافظ العلوى الزيـدى وهو من علماء الزيـديّه، وفى رساله (الاعتصام بحبل الله) ، تأليف الإمام القاسم بن محمّد الزيدى ۱۰۲۹ه، وهو أيضاً من علماء الزيديّه، ذكرت قائمه تتضمّن أسماء كبار الصحابه والتابعين الذين كانوا يقولون فى أذانهم (حيّ على خير العمل) .

ولم نذكر أسماء هؤلاء الصحابه مراعاه للاختصار، ومن أراد التعرّف على أسمائهم، فليراجع هاتين الرسالتين.

إذن، يجب علينـا أن لاـ نتردّد فى أصـل تش-ريع هـذا الجزء من الأذان، بل يجب على من حـذف هـذا الجزء من الأذان أن يُبرّر فعله فى حذف ما شرّع الله تعالى.

ولكن مع الأسف لا يوجد سبب يبرّر به هؤلاء عملهم هذا إلّا تقديم مصالحهم الشخصيّه على الشرع.

۱- الاذان بحى على خير العمل، صص ۲۶، ۲۷، ۲۹؛ الاعتصام بحبل الله، تأليف الإمام قاسم بن محمّد الزيدى ۱۰۲۹ه.
۲- انظر: مسند أحمد، ج ۳، ص ۴۰۸. .

ص: ۱۶۴

وينقل الحافظ العلوى فى رساله (الأذان بحيّ على خير العمل) حديثاً، عن الحسن بن يحيى بن الحسـين بن زيد بن على، يبيّن أنّ آل الرسول (ص) أجمعوا على أنّ (حيّ على خير العمل) هى جزء من الأذان.

وكان المؤذّنون فی زمن أبی بكر يـذكرون هذا الجزء فی أذانهم، ولكن عندما سيطر عمر علی الخلافه قال: «دعوا حیّ علی خير العمل، لئلّا يشتغل الناس عن الجهاد، فكان أوّل من تركها» . (۱)

وذكر المحقّق المعروف، سعد الـدين التفتـازانی ۷۱۲-۷۷۹هفی شـرح المقاصـد حـديثاً ذكره أيضاً المتكلّم الأشـعری المعروف علاء الدين القوشجی ۸۷۹ه، جاء فيه:

«خطب عمر بن الخطّاب. وقال: أيّها الناس، ثلاث كنّ علی عهـد رسول الله أنا أنهی عنهن وأحرّمهن، وأعاقب عليهن، وهی: متعه النساء، ومتعه الحجّ، وحیّ علی خير العمل» . (۲)

ونَهیُ عمر فی هـذا المجـال علی ضوء المصـلحه التی رآهـا، هو حجّه علی نفسه فقـط، ولا يحقّ له فرض رأيه علی الآخرين، ولا سيّما علی أجيال المستقبل.

والحقيقه أنّ كلام عمر فی هـذا المجال هو اجتهاد فی مقابل النصّ. وإذا اتّضـح واقع الأمر لمن جاء بعـد عمر، فعليهم أن يقـدّموا السنّه ويرفضوا البدعه، ولا سيّما مع تغيّر معيار اجتهاد عمر وانتفاء وجود جهاد ضدّ الكفر والشرك.

۱- الأذان بحی علی خير العمل، ص ۲۹.
۲- شرح المقاصد، ص ۲۸۳۵؛ شرح القوشجی، مبحث الإمامه. .

وحيث إنّ قبول هذه البدعه غير جائزٍ، فقد رفضه بعض علماء أهل السنّه وأصرّوا علی لزوم ذكر (حیّ علی خير العمل) فی الأذان والإقامه.

ومن هؤلاء برهان الـدين الحلبی ۹۷۵-۱۰۴۴هالـذی حيث قـال فی كتـابه السيره: «ونقل عن إبن عمر وعن الإمام زين العابـدين [(ع)] أنّهما كانا يقولان فی أذانيهما بعد: (حیّ علی الفلاح) ، (حیّ علی خير العمل)» . (۱)

وقـد تحوّلت عبـاره: (حیّ علی خير العمـل) إلی شـعار ضـدّ المخـالفين، فلهـذا نجـد علی مرّ العصور أنّ الموافق والمخـالف قد استخدماها، ومن ذلك: نجـد فی ثورات الحسـنيين عنـدما هيمن الحسـين بن علی بن الحسن (صاحب فخّ) علی المدينه، ارتقی عبدالله بن الحسن الأفطس المناره التی عند رأس النبیّ [(ص)] عند موضع الجنائز، فقال للمؤذن: أذّن بحیّ علی خير العمل. (۲)

كما نجد بأن الشيعه فی ظلّ دوله آل بويه، حيث كان لهم ميول شـيعيّه، رفعوا شـعار (حیّ علی خير العمل) فی أذانهم، ثمّ عندما جاء من بعدهم السلاجقه منعوا المؤذّنين من ذلك.

والغريب أنّهم أمروا أن يُقـال فی أذان الصـبح بـدل (حی علی خير العمـل) عباره (الصـلاه خير من النوم) مرّتين. وكان ذلك فی عام ۴۴۸ه.

۴. الشهاده بولایه الإمام علی (ع) فی الأذان

السؤال الذی یطرح هنا، هو : لماذا یقول الشیعه فی أذانهم (أشهد أنّ علیّاً ولی الله) ؟

۱- السیره للحلبی، ج ۲، ص ۳۰۵.

۲- مقاتل الطالبیین، صص ۲۸۴ - ۳۵۶. .

الجواب : یقول الشیعه فی أذانهم (أشهد أنّ علیّاً ولی الله) بعد (أشهد أنّ محمّداً رسول الله) ، وهذه الطریقه سائده فی جمیع بلدان الشیعه، ویجدر بنا فی هذا المقام بیان أمور، منها:

۱. أجمع فقهاء الشیعه علی أنّ الشهاده الثالثه (أشهد أنّ علیّاً ولی الله) لیست جزءاً من الأذان؛ ولهذا عندما یذکرون أجزاء الأذان یقولون إنّها ثمانیه عشر جزءاً، وهی عباره عن:

۱. التکبیر (أربع مرّات) .

۲. أشهد أن لا اله الّا الله (مرّتان) .

۳. أشهد أنّ محمّداً رسول الله (مرّتان) .

۴. حیّ علی الصلاه (مرّتان) .

۵. حیّ علی الفلاح (مرّتان) .

۶. حیّ علی خیر العمل (مرّتان) .

۷. الله أکبر (مرّتان) .

۸. لا إله إلّا الله (مرّتان) .

وهذا ما اتّفق علیه جمیع فقهاء الشیعه.

۲. إذا قرأ شخص الشهاده الثالثه، وهو یعتقد بأنّها جزء من الأذان، فقد ارتکب فعلاً محرّماً.

۳. ذکر الشهاده الثالثه فی الأذان من دون قصد الجزئیّه جائزٌ أو مستحبّ، وهذا الاستحباب مبتنی علی أمرین، هما:

أ) الإمام علی (ع) هو ولی الله، وقد شهد بذلک القرآن الکریم وأحادیث الرسول (ص) .

ب) أمرنا الإمام الصادق (ع) بأنّنا إذا قلنا: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» ،

ص: ۱۶۷

فعلينا أن نتبعها بقولنا: «أشهد أن عليّاً ولى الله» .

وأمّا بالنسبه إلى ولايه الإمام على (ع) ، فخير شاهد عليها فى الأحاديث الشريفه هو حديث الغدير، والأحاديث المتواتره الوارده عن الرسول (ص) كقوله:

«يا عليّ، أنت ولى كلّ مؤمن بعدى» . (۱)

وأما القرآن الكريم أيضاً، فقد شهد للإمام على (ع) بالولايه، وقال تعالى: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ ويُؤْتُونَ الزَّكاهَ وهُمْ راكِعُونَ * ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ) (المائده: ۵۵ و۵۶) .

وقد اتّفقت آراء المف-سّرين بأنّ هذه الآيه نزلت فى شأن أميرالمؤمنين على (ع) ؛ وذلك عندما دخل فقيرٌ إلى مسجد الرسول (ص) ، وطلب المساعده من الناس، وكان الإمام على (ع) راكعاً، فمدّ يده إلى الفقير، وأشار إليه بأن يأخذ الخاتم الذى كان فيها، وعندئذ نزلت هاتان الآيتان.

والشواهد الدالّه على هذه الآيه كثيرةٌ ولا مجال لذكرها بالتفصيل هنا، ولكن نشير - على سبيل المثال - إلى بعض المصادر فى الهامش. (۲)

إذن، يتّضح لنا من هذه الآيات ومن الآيات والأحاديث الكثيره الأخرى بأنّ الإمام عليّ (ع) هو ولى الله.

وأمّا بالنسبه إلى ماقاله الامام الصادق (ع) ، فقد نقل القاسم بن معاويه،

۱- كنز العمّال، ج ۶، ص ۳۹۶.
۲- تفسير الطبرى، ج ۶، ص ۸۶؛ أحكام القرآن لابى بكر الجصّاص، ج ۲، ص ۵۴۲؛ أسباب النزول، ص۱۴۸؛ الكشاف، ج ۱، ص ۴۲۲. و قد نقل العلامه الأمينى ۶۶ مصدراً من مصادر أهل السنّه تبيّن بأنّ شأن نزول هاتين الآيتين هو الإمام على بن أبى طالب (ع) ، و حتّى حسّان بن ثابت كان حاضراً فى هذه الواقع فانشد: فأنت الذى أعطيت إذ أنت راكع فدتك نفوس القوم يا خير راكع

ص: ۱۶۸

وهو من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم (ع) عن الصادق (ع) قوله: «

إذا قال أحدكم لا إله الا الله، محمّد رسول الله فليقل: على أميرالمؤمنين » . (۱)

نستنتج ممّا تقدّم بأنّه لا يوجد أحد من الشيعه يعتقد بجزئيه الشهاده الثالثه فى الأذان، وبعض الشيعه أيضاً يذكرون هذه الشهاده فى الإقامه مرّه واحده ليميزها بهذه الطريقه عن أجزاء الإقامه، وبهذه الصوره لا محذور من ذكر الشهاده الثالثه فى الأذان والإقامه.

۵. عدم تكتّف الشيعه فى الصلاه

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لماذا لا يتكتّف الشيعه فى الصلاه؟

الجواب : وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى فى الصلاه هو أمرٌ مستحبٌّ عند فقهاء المذاهب الثلاثه، من بين مذاهب أهل السنّه الأربعه.

قالت الحنفيه: إنّ التكتّف مسنون وليس بواجب، والأفضل للرجل أن يضع باطن كفّه اليمنى على ظاهر كفّه اليسرى، تحت سرّته، وللمرأه أن تضع يديها على صدرها.

وقالت الشافعيه:

«يسنُّ للرجل والمرأه، والأفضل وضع باطن يمناه على ظهر يس-راه تحت الصدر وفوق السرّه ممّا يلى الجانب الأيسر» .

وقالت الحنابله:

«إنّه سنّه، والأفضل أن يضع باطن يمناه على ظاهر يسراه، ويجعلها تحت السره» .

۱- الاحتجاج للطبرسى، ص ۸۳ .

ص: ۱۶۹

وشذّ عنهم المالكيه، فقالوا:

يُندب إسدال اليدين فى الصلاه الفرض.

وقالت بذلك جماعه أيضاً قبلهم، منهم: عبدالله بن الزبير، وسعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، وعطاء، وابن جريح، والنخعى، والحسن البصرى، وابن سيرين وجماعه من الفقهاء.

والمنقول عن الإمام الأوزاعى التخيير بين التكتّف والسدل. (۱)

وأمّا الشيعه الإماميه، فالمشهور عندهم أنّه حرام ومبطل للصلاه، وشذّ منهم من قال بأنّه مكروه، كالحلبى فى الكافى. (۲)

كيفيّه صلاه النبى (ص)

اشاره

إنّ علماء مذاهب أهل السنّه، باستثناء المالكيه، قد اعتبروا التكتّف فى الصلاه سنّهً وتحدّثوا كثيراً عن ذلك، لكن ليس لهم دليل مقنع على جوازه فى الصلاه، فضلاً عن كونه مندوباً، بل يمكن أن يُقال: إنّ الدليل على خلافهم، والروايات المرويّه عن الفريقين والتى تُبيّن صلاه الرسول (ص) ، لم يُذكر فيها التكتّف مطلقاً؛ ولو كان هذا الأمر مندوباً لما تركه رسول الله (ص) ، لأنّه لايترك المندوب أبداً.

وإليك ثلاثه نماذج من هذه الروايات: واحدهٌ عن طريق الشيعه، والأخريان عن طريق أهل السنّه، وهى تُبيّن كيفيّه صلاه النبىّ (ص) وليست فيها أيّه إشاره إلى التكتّف، فضلاً عن ذكر تفاصيله.

۱- انظر: الفقه على المذاهب الخمسه لمحمّد جواد مغنيه، ص ۱۱۰؛ رساله مختصره السدل للدكتور عبدالحميد، ص ۵.

۲- جواهر الكلام، ج ۱۱، صص ۱۵و ۱۶. .

ص: ۱۷۰

أ) حديث أبى حميد الساعدى

روى حديث أبى حميد الساعدى غير واحد من المحدّثين، ونحن نذكره هنا بنص البيهقى. قال:

أخبرنا أبوعبدالله الحافظ: فقال أبوحميد الساعدى: أنا أعلمكم بصلاه رسول الله (ص) ، قالوا: لِمَ، ما كنت أكثرنا له تبعاً، ولا أقدمنا له صحبه! قال: بلى. قالوا: فأعرض علينا، فقال: كان رسول الله (ص) إذا قام إلى الصلاه رفع يديه حتى يحاذى بهما مَنْكَبيه، ثمّ يكبّر حتّى يقرّ كلّ عضو منه فى موضعه معتدلاً، ثمّ يقرأ، ثمّ يكبر ويرفع يديه حتّى يحاذى بهما منكبيه، ثمّ يركع ويضع راحتيه على ركبتيه، ثمّ يعتدل ولا ينصب رأسه ولا يقنع ثمّ يرفع رأسه، فيقول: «سمع الله لمن حمده» ، ثمّ يرفع يديه حتّى يحاذى بهما منكبيه حتّى يعود كلّ عضو منه إلى موضعه معتدلاً، ثم يقول: «الله أكبر» ، ثمّ يهوى إلى الأرض فيجافى يديه عن جنبيه، ثمّ يرفع رأسه، فيثنى رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجليه إذا سجد، ثم يعود، ثم يرفع فيقول: «الله أكبر» ، ثمّ يثنى برجله فيقعد عليها معتدلاً حتّى يرجع أو يقرّ كل عضو موضعه معتدلاً، ثمّ يصنع فى الركعه الأُخرى مثل ذلك، ثمّ إذا قام من الركعتين كبّر ورفع يديه حتّى يحاذى بهما منكبيه كما فعل أو كبّر عند افتتاح صلاته، ثمّ يصنع مثل ذلك فى بقيّه صلاته، حتّى إذا كان فى السجده التى فيها التسليم أخّر رجله اليسرى وقعد متورّكاً على شقّه الأيسر.

فقالوا جميعاً: صدَق هكذا كان يصلّى رسول الله (ص) . (۱)

۱- سنن البيهقى، ج ۲، صص ۷۲ - ۷۳، ۱۰۱- ۱۰۲؛ سنن أبى داود، ج ۱، ص ۱۹۴؛ سنن الترمذى، ج ۲، ص ۹۸؛ مسند أحمد، ج ۵، ص ۴۲۴، و ابن خزيمه فى صحيحه، باب الاعتدال فى الركوع، برقم ۵۸۷. .

ص: ۱۷۱

وهذا الحديث الذی یوضّح کیفیّه صلاه رسول الله (ص) مرویٌّ فی مصادر أهل السنّه.

وأمّا الحدیث الذی اخترناه من مصادر الشیعه فی هذا المجال، فهو:

ب) حدیث حمّاد بن عیسی

روی حمّاد بن عیسی، عن الإمام الصادق (ع) أنّه قال:

«ما أقبح بالرجل أن یأتی علیه ستّون سنه أو سبعون سنه فما یقیم صلاه واحده بحدودها تامّه!» .

«قال حمّاد: فأصابنی فی نفس-ی الذلُّ، فقلت: جعلت فداک! فعلّمنی الصـلاه؟ فقام أبوعبدالله [(ع)] مستقبلَ القبله منتصباً فأرسل یدیه جمیعاً علی فخذیه، قد ضمّ أصابعه وقرّب بین قدمیه حتّی کان بینهما ثلاثه أصابع مفرجات، واستقبل بأصابع رجلیه (جمیعاً) لم یُحرفهما عن القبله بخشوع واسـتکانه، فقال: «الله أکبر» ، ثمّ قرأ الحمـد بترتیل، وقل هو الله أحد، ثمّ صبر هنیئه بقدر ما تنفس، وهو قـائم، ثم قال: «الله أکبر» ، وهو قائم ثمّ رکع وملأ کفّیه من رکبتیه مفرّجات، وردّ رکبتیه إلی خلفه حتّی استوی ظهره، حتّی لوصـبت علیه قطره مـاء أو دهن لم تزل لاسـتواء ظهره وتردّد رکبتیه إلی خلفه، ونصب عنقه، وغمض عینیه ثمّ سـبح ثلاثـاً بترتیل وقال: «سـبحان ربی العظیم وبحمـده» ، ثمّ استوی قائماً، فلمّا استمکن من القیام قال: «سـمع الله لمن حمـده» ، ثمّ کبر وهو قائم، ورفع یـدیه حیـال وجهه، وسـجد، ووضع یـدیه إلی الأرض قبل رکبتیه وقال: «سـبحان ربی الأعلی وبحمـده» -ثلاث مرات- ولم یضع شیئاً من بدنه علی شیء منه.

وسجد علی ثمانیه أعظم: الجبهه، والکفّین، وعینی الرکبتین، وأنامل إبهامی

ص: ۱۷۲

الرجلین، والأنف، فهذه السبعه فرض.

ووضع الأ-نف علی الأرض سنّه، وهو الإرغام، ثمّ رفع رأسه من السـجود فلمّا اسـتوی جالساً قال: «الله أکبر» ، ثمّ قعـد علی جانبه الأیس-ر، ووضع ظاهر قـدمه الیمنی علی باطن قدمه الیسـری، وقال: «أسـتغفر الله ربّی وأتوب إلیه» ، ثمّ کبر، وهو جالس وسـجد الثانیه، وقال، کما قال فی الأُولی ولـم یستعن بشیء من بدنه علی شیء منه فی رکوع ولا سجود.

وکان مجنّحاً، ولم یضع ذراعیه علی الأرض، فصلّی رکعتین علی هذا» .

ثم قال:

یا حمّاد هکذا صلّ، ولا تلتفت، ولا تعبث بیدیک وأصابعک، ولا تبزق عن یمینک ولا (عن) یسارک، ولا بین یدیک. (۱)

نلاحظ أنّ الروايتين بصدد بيان كيفيّه الصلاه المفروضه على الناس، وليست فيهما أيّه إشاره إلى التكتّف بأقسامه المختلفه، فلوكان سنّه لما تركه الإمام فى بيانه، وهو بعمله يجسّد لنا صلاه الرسول (ص) ؛ لأنّه أخذه عن أبيه الإمام الباقر (ع) ، وهو عن آبائه، عن أميرالمؤمنين: ، عن الرسول الأعظم (ص) فيكون التكتّف بدعه؛ لأنّه إدخال شيء فى الشريعه وهو ليس منها.

ج) حديث المسيء فى صلاته

روى محدّثوا أهل السنّه أنّ رجلًا كان يصلّي والنبى (ص) ينظر إليه، فلمّا فرغ من صلاته جاء إلى النبى (ص) فسلّم عليه فردّ عليه السلام، ثمّ قال: «ارجع، فصلِّ فإنّك لم تصلِّ» .

١- الوسائل، ج ۴، الباب ١ من أبواب أفعال الصلاه، ح ١؛ الباب ١٧ منه، ح ١، ٢. .

فرجع وعمل فى صلاته الثانيه كما عمل فى صلاته الأُولى، ثمّ جاء إلى النبيّ (ص) فقال له: «ارجع فصلّ، فإنّك لم تصلِّ» ثلاث مرّات.

فأقسم الرجل أنّه لا يُحسِنُ من الصلاه إلّا ما فعل. فعندما اشتاق إلى العلم، وتهيّأ لقبوله، علّمه النبى (ص) كيف يصلّي. وقد روى هذا الحديث أبوهريره، حيث قال:

إنّ النبيّ (ص) ، قال: «إذا قمتَ إلى الصلاه فأسبغ الوضوء، ثمّ استقبل القبله، فكبّر به، ثمّ اقرأ ما تيسّر معك من القرآن، ثمّ أركع حتّى تطمئن راكعاً، ثمّ ارفع حتّى تعتدل قائماً، ثمّ اسجد حتّى تطمئن ساجداً، ثمّ ارفع حتّى تطمئن جالساً، ثمّ اسجد حتّى تطمئن ساجداً، ثمّ افعل ذلك فى صلاتک كلّها. (١)

فلوكان التكتّف سنّه مؤكّده أو أمراً مندوباً، لذكره النبى (ص) .

رأى عن أئمّه أهل البيت (عليهم السلام)

نستنتج ممّا ذكر أنّ التكتّف فى الصلاه يتعارض مع سنّه رسول الله (ص) ، لذلك فقد نهى عنه الأئمّه: ، واعتبروه فعلاً من طقوسى المجوس الذين يفعلونه بين يدى ملوكهم.

ونذكر فيها يلى بعض ما روى عنهم بهذا الصدد:

١. روى محمّد بن مسلم أنّه قال للإمام الصادق أو الباقر (ع) : الرجل يضع يده فى الصلاه - وحكى - اليمنى على اليسرى؟ فقال (ع) :

«ذلك التكفير، لا يُفعل» . (٢)

۲. روی زراره، عن أبی جعفر (ع) أنّه قال:

«وعلیک بالإقبال علی صلاتک،

۱- صحیح البخاری، ج ۱، ص ۱۸۹؛ صحیح مسلم، ج ۲، ص ۱۱.
۲- وسائل الشیعه، ج ۴، الباب ۱۵ من أبواب قواطع الصلاه، ح ۱. .

ولا تکفّر، فإنّما یصنع ذلک المجوس» . (۱)

۳. روی الصدوق بإسناده عن الإمام علی (ع) أنّه قال:

«وعلیک بالإقبال علی صلاتک، ولا تکفّر، فإنّما یصنع ذلک المجوس» . (۲)

۴. روی الصدوق بإسناده عن الإمام علی (ع) أنّه قال:

«لا یجمع المسلم یدیه فی صلاته، وهو قائم بین یدی الله عزّوجلّ یتشبّه بأهل الکفر» . یعنی: المجوس. (۳)

وفی الختام نلفت نظر القارئ إلی حدیثٍ للدکتور علی السالوس. فهو بعد أن نقل آراء فقهاء الفریقین، وصف القائلین بالتحریم والإبطال بقوله: «وأُولئک الذین ذهبوا إلی التحریم والإبطال، أو التحریم فقط، یمثّلون التعصّب المذهبی وحبّ الخلاف، تفریقاً بین المسلمین» . (۴)

ولکن، ما ذنب الشیعه إذا هداهم الاجتهاد والبحث فی الکتاب والسنّه إلی أنّ التکتّف أمر شُرِّع بعد النبی الأکرم (ص) ؟ وکان الناس یُؤمرون بذلک أیّام الخلفاء، فمن زعم أنّه جزء من الصلاه فرضاً أو استحباباً، فقد ابتدع فی الدین ما لیس منه. فهل جزاء من اجتهد أن یُرمی بالتعصّب المذهبی وحبّ الخلاف؟ !

ولوصحّ ذلک، فهل یمکن وصف الإمام مالک بالتعصّب وحبّ الخلاف؟ لأنّه کان یکره التکتّف مطلقاً، أو فی الفرض.

فهل یصحّ رمی إمام دار الهجره بأنّه کان یحبّ الخلاف؟ !

أجل، لماذا لا یکون التکتّف مثالاً للتعصب المذهبی وحبّ الخلاف بین المسلمین؟ !

۱- وسائل الشیعه، ج ۴، الباب ۱۵ من أبواب قواطع الصلاه، ح ۲.
۲- المصدر نفسه، ح ۳.
۳- المصدر نفسه، ح ۷.
۴- فقه الشیعه الإمامیه و مواضع الخلاف بینه و بین المذاهب الأربعه، ص ۱۸۳. .

۶. السجود على الأرض

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لماذا يسجد الشيعه الإماميّه فى صلاتهم على التربه؟

الجواب : السجود وفق حكم الشريعه الإسلاميّه لا يصحّ إلّا لله تعالى، وهذا ما اتّفق عليه جميع الفقهاء المسلمين.

وإذا كان ثمّه اختلاف فى هذا المجال، فهو يتعلّق بما يجب السجود عليه. ويعتقد الشيعه بوجوب السجود على شيئين:

۱. الأرض. من قبيل التراب والأحجار، وما شابههما.

۲. ما أنبتتْهُ الأرض، ممّا لا يُؤكل ولا يُلبس.

وخالف فقهاء السنّه ذلک، حيث أجازوا السجود على ما يلبس من قبيل القطن والكتان، والشعر والصوف، وغير ذلک، ما عدا الشافعى، حيث قال: «لا يجوز السجود على شيءٍ هو حاملٌ له ككور العمامه، وطرف الرداء، وكم القميص» . (۱)

وما يهمّنا هنا، هو معرفه سيره الرسول (ص) فى هذا المجال؛ لأنّ الرسول (ص) هو الأسوه والقدوه لنا فى معرفه ما أراد الله منّا فى العباده، ولايحقّ لأحد أن يقدّم قوله على قول النبىّ (ص) .

وإذا دقّقنا النظر فى الأحاديث الش-ريفه الوارده فى الصحاح والسنن، سنلاحظ أنّ النبىّ (ص) بيّن ما يصحّ السجود عليه فى ثلاث مراحل هى:

المرحله الأولى: السجود على الأرض

كان الواجب على المسلمين فى هذه المرحله السجود على الأرض بما فيها

۱- انظر: الخلاف للشيخ الطوسى، ج ۱، صص ۳۵۷ - ۳۵۸. .

من تراب ورمل وحصى وطين، ولم تكن هناك أيّه رخصه لغيرها.

وقد اشتكى فى هذه المرحله بعض الصحابه من شدّه حرّ الحصى، فكانوا يقومون بتبريدها قبل الصلاه. فلوكان السجود على الثوب جائزاً لكان ذلک أسهل من تبريد الحصى بالكف ووضعها للسجود.

المرحله الثانيه: الترخيص فى السجود على الخُمر والحُصر

هناک نصوص تذکر ترخیص النبیّ (ص) بأمر من الله تعالی السجود علی ما أنبت الأرض، فسهل للصحابه بذلک أمر السجود.

المرحله الثالثه: الترخیص فی السجود علی الثیاب لعذر وضروره، مثل شدّه الحرّ، ولایجوز ذلک عند عدم الضروره

اشاره

ومن هنا یظهر بوضوح أنّ ما إلتزمت به الشیعه هو عین ما جاءت به السنّه النبویّه.

الحکمه من السجود علی التراب فی الأحادیث النبویّه

أکّد رسول الله (ص) علی أنّ علّه السجود علی التربه هو إظهارٌ للخضوع إلی الله تعالی وإرغامٌ للنفس أمامه. (۱)

ورُوی أنّ هشام بن الحکم سأل الإمام الصادق (ع) عن علّه السجود علی الأرض؛ فقال (ع) :

لانّ السجود خضوع لله عزّوجلّ، فلا ینبغی أن یکون علی ما یؤکل ویلبس؛ لأنّ أبناء الدنیا عبید ما یأکلون ویلبسون، والساجد فی سجوده، فی

۱- راجع: النهایه، ص ۲، ماده: رغم. .

ص: ۱۷۷

عباده الله عزّوجلّ، فلا ینبغی أن یضع جبهته فی سجوده علی معبود أبناء الدنیا الذین اغترّوا بغرورها. (۱)

ورَوی ابن حجر فی شرح صحیح البخاری: «کان عمر بن عبدالعزیز الخلیفه الأموی لا یکتفی بالخمره، بل کان یضع علیها التراب ویسجد علیه. (۲)کما أنّ عروه بن الزبیر أیضاً کان لا یسجد إلّا علی الأرض» . (۳)

وکان مسروق - وهو من التابعین - إذا سافر حمل معه فی السفینه لبنه یسجد علیها. (۴)

وقال ابن أبی شیبه - وهو شیخ البخاری -: «الصلاه علی الطنفسه محدث» .

والطنفسه هی السجاده، أو أیّ بساط له حمل وسماکه، ومُحدَث یعنی: لم یکن علی عهد رسول الله (ص) . (۵)

السجود علی تربه الإمام الحسین (ع)

إنّ السرّ فی التزام الشیعه استحباباً بالسجود علی التربه الحسینیّه، هو أن یتذکّر المصلّی حین یضع جبهته علی تلک التربه، تضحیّه ذلک الإمام بنفسه وأهل بیته (ع) ، والصفوه من أصحابه فی سبیل العقیده والمبدأ، ومقارعهً للجور والفساد.

ولمّا کان السجود من أعظم أرکان الصلاه، وفی الحدیث: «أقرب ما یکون

۱- وسائل الشیعه، ج ۳، ب ۱ من أبواب ما یسجد علیه، ح ۱.

۲- فتح الباری، ج ۱، ص ۴۱۰؛ شرح الاحوذی، ج ۱، ص ۲۷۲.

۳- انظر: المصدر نفسه.

۴- انظر: الطبقات الکبری، ج ۶، ص ۷۹.

۵- المصنّف، ج ۱، ص ۴۳۸. .

العبد إلی ربّه حال سجوده» فعند ما یضع العبد جبهته علی تلک التربه الزاکیه، یجدر به أن یتذکّر أُولئک الذین ضحَّوا بأنفسهم فی سبیل الحقّ.

ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود التربه الحسینیه یخرق الحجب السبع کما فی الخبر. فیکون حینئذ فی السجود سر الصعود والعروج من التراب إلی ربّ الأرباب. (۱)

وقال العلّامه الأمینی: «نحن نتّخذ من تربه کربلاء قطعاً لبناً وأقراصاً نسجد علیها، کما کان فقیه السلف مسروق بن الأجدع یحمل معه لبنه من تربه المدینه المنوّره یسجد علیها، والرجل تلمیذ الخلافه الراشده، فقیه المدینه ومعلّم السنّه بها، وحاشاه من البدعه» .

فلیس فی ذلک أیّ تعسّف أو مخالفه لنداء القرآن الکریم أو لسنّه رسول الله (ص) وهو لیس خروج من حکم العقل.

واتّخاذ تربه کربلاء مسجداً لدی الشیعه لیس واجباً ولا یعتبر من ضروریّات المذهب، ولا فرق بین التربه الحسینیه وغیرها ممّا یصحّ علیه السجود فی صحه الصلاه، خلاف ما یزعمه الجاهل بهم وبآرائهم.

فالسجود علی تربه الإمام الحسین (ع) لا یعنی الخروج عن مبدأ التوحید مطلقاً، بل إنّه یزرع فی نفس الانسان الإخلاص لله تعالی والتضحیه فی سبیل الحقّ؛ والذین یدّعون أنّ السجود علی تربه کربلاء شركٌ، فإنّهم لا یعرفون من هو المسجود له وما هو المسجود علیه! فسجود الشیعه فی جمیع الأحوال هو لله تعالی فحسب، سواءٌ أکان علی التراب أم الحصیر أم تربه کربلاء أم تربه المدینه المنوّره أم علی حجرٍ من أحجار الصفا والمروه.

۱- الأرض و التربه الحسینیّه، ص ۲۴. .

ورُوی عن علی بن عبدالله بن عبّاس، وهو من التابعین، أنّه کتب إلی (مرزین) أن أبعث إلیّ بلوح من أحجار المروه أسجد علیه. (۱)

فإذا کان حجر من جبل مروه شاهداً لتضحیات أمرأه مؤمنه، فکربلاء شهدت تضحیّات آل الرسول (ص) .

وورد بإسناده عن معاويه بن عمّار قال: «كان لأبى عبدالله (ع) خريطه ديباج صفراء فيها تربه أبى عبدالله، فكان إذا حضرته الصلاه صبّه على سجادته وسجد عليه» . (۲)

۷. الجمع بين الصلاتين فى زمانٍ واحدٍ

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لماذا يصلّى الشيعه الصلوات الخمس فى ثلاثه أوقات؟

الجواب : مسأله (الجمع بين الصلاتين) تعتبر من المسائل الفقهيّه المهمّه والحسّاسه، وقد بحثها محقّقى الشيعه بدقّه، ومن الأمور التى ينبغى الالتفات إليها فى هذا الصدد، هى: (۳)

۱. اتّفقت كلمه الفقهاء على رجحان الجمع بين الصلاتين فى عرفه والمزدلفه جمعاً حقيقيّاً دون فاصلهٍ زمانيّهٍ فأجمعوا على أنّ الجمع بين الظهر والعصر فى وقت الظهر بعرفه، وبين المغرب والعشاء بالمزدلفه فى وقت

۱- أخبار مكّه، الأزرقى، ج۳، ص ۱۵۱.

۲- وسائل الشيعه، ج ۵، ص ۳۶۶.

۳- أُلفت كتب قيمه حول الجمع بين الصلاتين منها: رسائل فقهيه تأليف: العلّامه شرف الدين العاملى؛ الجمع بين الصلاتين تأليف نجم الدين العسكرى؛ و الانصاف فى مسائل دام فيها الخلاف لمؤّلف هذا الكتاب. و ما نذكره هنا موجد لبحث قام به السيّد رضا حسينى نسب فى كتابه الشيعه تجيب. .

العشاء سنّه.

۲. ذهب معظم فقهاء أهل السنّه إلى جواز الجمع بين الصلاتين فى السفر، ولكن أتباع المذهب الحنفىّ قالوا: لا يجوز الجمع الا فى العرفه والمزدلفه.

۳. اتّفق الشيعه على جواز الجمع بين الصلاتين فى الحضر اختياراً، ولكلّ من صلاه الظهر والعصر، وصلاه المغرب والعشاء وقت خاصّ ووقت مشترك.

فإذا زالت الشمس دخل الوقتان - أى: وقت الظهر والعصر - إلّا أنّ صلاه الظهر يؤتى بها قبل العصر، وعلى هذا فالوقت بين الظهر والمغرب هو وقت مشترك بين الصلاتين، غير أنّه يختص بالظهر بمقدار أربع ركعات من بدايه الزوال، وبالعصر بمقدار أربع ركعات الى حين المغرب، وما بينهما هو وقت مشترك.

فلوصلّى الظهر والعصر فى أىّ وقتٍ بين الزوال والمغرب، فقد أتى بهما فى وقتهما؛ وذلك؛ لأنّ هذا الوقت مشتركٌ بينهما، غير أنّه يختص بالعصر بمقدار أربع ركعات فى آخر الوقت ولا يصحّ إتيان الظهر فيه أداءاً.

وبما أنّ لأهل السنّه رأى خاصّ فى تقسيم الوقت –من الزوال حتّى الغروب– فإنّهم لا يعتقدون بالوقت المشترک بين الظهر والعصر؛ لأنّهم يذهبون إلى أن الوقت فى أوّل الزوال إلى بلوغ ظلّ الشاخص بمقدار طوله خاصٌّ بصلاه الظهر، ولا يصح أداء صلاه العصر فيه، وبعد هذه الوقت يبدأ وقت صلاه العصر حتّى المغرب.

وعلى ضوء هذه العقيده فلا يمكن الجمع بين الصلاتين، ويعتقد الشيعه بأنّ هذا التقسيم يرتبط بوقت الفضيله لا وقت الأداء أىّ: الأفضل أداء صلاه

ص: ۱۸۱

العصر بعد بلوغ ظلّ الشاخص بمقدار طوله، ولكن إذا صلّى الإنسان صلاه العصر قبل ذلک فإنّه مُجزئ.

ومن جهه أخرى توجد أحاديث كثيره تبيّن بأنّ الرسول (ص) جمع بين الصلاتين فى السفر، وأحياناً فى الحضر، ومن دون أىّ عذر، وقد اضطرّ أهل السنّه إلى التكلّف فى تفسير هذه الأحاديث. وإليک فيما يلى تفسير الشيعه وأهل السنّه لهذه الأحاديث:

أ) يعتقد الشيعه بأنّ هذه الأحاديث تدلّ على جواز أداء صلاه العصر بعد صلاه الظهر، وأيضاً تدلّ على جواز أداء صلاه العشاء بعد صلاه المغرب، وليس لها صلهٌ بزمانٍ أو مكانٍ خاصٍّ، بل يجوز الجمع بين الصلاتين فى كلّ مكان وفى أىّ زمانٍ كان.

ب) وهناک من لا يعتقد بالوقت المشترک، ويفسّر هذه الأحاديث بأنّها تدلّ على أداء صلاه الظهر فى آخر وقتها وأداء صلاه العصر فى أوّل وقتها.

والتأمل فى حكمه الجمع بين الصلاتين يكشف بأنّ تفسير أهل السنّه لهذه الأحاديث لا صحّه له؛ لأنّ الحكمه من جواز الجمع بين الصلاتين هو تسهيل الأمر لأبناء الأمّه الإسلاميّه، ليمكنهم الجمع بين الصلاتين فى الوقت المشترک.

وإذا قلنا بأنّ النبىّ (ص) جمع بين الصلاتين، بحيث صلّى الظهر فى آخر وقتها، وصلّى العصر فى أوّل وقتها، فهذا الأمر لا يكون لتيسير الأمر للمسلمين؛ إذ إنّ معرفه آخر الوقت لصلاه الظهر بدقّهٍ، ثمّ أداء صلاه العصر مباشره بعد صلاه الظهر فى أوّل وقتها، يعتبر أمراً شاقّاً ومعقّداً ولايتسير فيه.

ص: ۱۸۲

۸. الخمس فى غير الغنائم الحربيّه

اشاره

السؤال الذى يطرح هنا، هو : يوجب فقهاء أهل السنه الخمس فى الغنائم الحربيّه فقط، فلماذا وسّع فقهاء الشيعه نطاق الخمس، وقالوا بوجوبه فى غير الغنائم الحربيّه؟

الجواب : كما أنّ الخمس واجب فى الغنائم الحربيّه، فهو أيضاً واجب فى الغنائم الأخرى؛ وذلک وِفْق الشروط التى بيّنها الفقهاء

فی مبحث الخمس، وسنبحث هذه المسأله فی القرآن والسنّه:

قال تعالی: (واعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ولِلرَّسُولِ ولِذِی الْقُرْبی والْیَتامی والْمَساکِینِ وابْنِ السَّبِیلِ إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وما أَنْزَلْنا عَلی عَبْدِنا یَوْمَ الْفُرْقانِ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ واللهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ) (الأنفال: ۴۱) .

هل تحدّثت هذه الآیه حول الغنائم الحربیه فقط، أم أنّ مدلولها أوسع من ذلک؟

للإجابه علی هذا السؤال یجب علینا أوّلاً معرفه معنی غنم فی اللغه.

المتعارف من استخدام لفظ الغنیمه فی الکتب الفقهیّه هو الغنائم الحربیّه، ولکنّ هذا الاستخدام لا یدلّ علی حصر دلاله الآیه فی الغنائم الحربیّه فقط، بل إطلاق الآیه یشمل کلّ شیء یغنمه الإنسان.

وقد ذکر علماء اللّغه العربیه عدّه معانٍ لمفرده (الغنیمه) ولم یقیدّوها بالغنیمه الحربیّه: ونذکر فیما یلی بعض أقوالهم:

۱. قال الخلیل بن أحمد الفراهیدی المولود سنه ۱۷۰ه: «الغنم: الفوز بالشیء فی غیر مشقه» . (۱)

۱- کتاب العین، ج ۴، ص ۴۲۶، ماده: غنم. .

۲. قال الأزهری: «غنم، تعنی الحصول علی شیء، والاغتنام عباره عن الانتفاع من الغنیمه» . (۱)

۳. قال ابن فارس: «لغنم اشتقاق واحد یحکی عن الفوز بالش-یء، وهو یستخدم فی الغنائم الحربیه» . (۲)

ونکتفی فی هـذا المقام بهـذا المقدار من کلام رجال اللّغه العربیه، وما یهمّنا من هذه الأقوال هو أنّ (غنم) تعنی مطلق ما یحصـل علیه الإنسان من ممتلکات. (۳)

وقـد ورد هذا اللفظ فی القرآن بمعنی النفع، حیث قال تعالی: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا ضَـرَبْتُمْ فِی سَبِیلِ اللهِ فَتَبَیَّنُوا ولا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقی إِلَیْکُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَیاهِ الدُّنْیا فَعِنْدَ اللهِ مَغانِمُ کَثِیرَهٌ) (النساء: ۹۴) .

فعبـاره: (فَعِنْدَ اللهِ مَغانِمُ) فی هـذه الآیه تـدلّ علی أجری الـدنیا والآخره، دون تقیـد ذلک بالمغانم الحربیّه، بل یمکن القول بأنّ المقصود منه الأجر الأخروی فی مقابل عَرض الحیاه الدنیا.

ونقل ابن ماجه فی سننه عن رسول الله (ص) أنّه قال عند استلامه الزکاه:

«اللّهمّ، اجعلها مَغنماً ولا تجعلها مَغرماً» . (۴)

ونقل أحمد بن حنبل عن رسول الله (ص) أنّه قال:

«غنیمه مجالس الذکر، الجنّه» . (۵)

۱- انظر: تهذیب اللغه، ماده: غنم.

۲- انظر: مقاییس اللغه: ماده: غنم.

۳- انظر: النهایه لابن الاثیر؛ و القاموس للفیروزآبادی؛ تاج العروس للزبیدی: ماده: غنم.

۴- سنن ابن ماجه، کتاب الزکاه، باب ما یقال عند إخراج الزکاه، ح ۱۷۹۷.

۵- مسند أحمد، ج ۲، صص ۳۳۰، ۳۷۴، ۵۲۴. .

وقد وصف الرسول (ص) شهر رمضان بأنّه:

«غنم للجنّه» . (۱)

وأفضل دلیل علی أنّ المقصود من الغنائم فی هذه الآیه لا ینحصر فی الغنائم الحربیّه؛ وذلک أنّ الآیه وعلی الرغم من نزولها فی الغنائم الحربیّه، لکن حکمها غیر مختصّ بشأن النزول. ولهذا ذهب جمیع فقهاء المذاهب الأربعه ألی أنّ الإنسان لوحصل علی مغنم فی غیر حرب، فعلیه أن یدفع خمس ذلک المال، واستدلّوا بهذه الآیه.

الخمس فی المعادن

الخمس فی المعادن هو جزءٌ من الضرائب التی تجبیها الحکومه الإسلامیّه وهو من الأحکام التی أوجبها الإسلام، ویستدلّ فقهاء المذهب الحنفی علی وجوب الخمس فی المعادن بدلیلین، هما:

۱. آیه الغنیمه التی ذکرناها آنفاً.

۲. حدیث الرسول (ص) :

«وفی الرکاز الخمس» . (۲)

والتتبع فی کتب الحدیث یکشف بأنّ هذه العباره للرسول (ص) وردت فی العدید من الأحادیث الأخری.

الخمس فی المکاسب

اشاره

یعتقد فقهاء الشیعه بوجوب الخمس فیما یکسبه الفرد بعد استخراج مؤونه سنته منه، وفی هذه المسأله شروط أخری لا یسعنا المقام بیانها؛ لأنّ

۱- مسند أحمد، ج ۲، ص ۳۷۷.

۲- الفقه الاسلامی و أدلّته، ج ۲، ص ۷۷۶؛ مسند أحمد، ج ۱، ص ۳۱۴؛ سنن ابن ماجه، ج ۲، ص۸۳۹ .

هدفنا هنا هو إثبات رأی الإمامیّه لنلاحظ مدی تطابقه مع الأحادیث الشریفه المرویّه عن رسول الله (ص) فی مصادر أهل السنّه، وبما أنّ منهجنا فی هذا الکتاب هو الاختصار، فلهذا نکتفی بنقل بعض هذه الأحادیث فیما یلی:

۱. وفد (عبد القیس)

فی شرق الحجاز، کان موطناً لقبیله عبدالقیس والیوم یقطنه أبناء القطیف والأحساء، وأهالی البحرین فی یومنا هذا ینتسبون إلی هذه القبیله.

رئیس هذه القبیله (عبدالقیس) جاء إلی رسول الله (ص) ، وأخبره بأنه لایستطیع المجیء إلیه إلّا فی الأشهر الحرام؛ وذلک لوجود قبائل تعیش فی طریق المدینه ولا تسمح لقبیله قیس المجیء إلی المدینه إلّا فی هذه الأشهر، وطلب (عبدالقیس) من الرسول (ص) أن یعلّمه الاحکام الإسلامیّه اللّازمه لینشرها بین قومه، وجاء فی الحدیث:

فامرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، قال أمرهم بالإیمان بالله وحده، وقال هل تدرون ما الإیمان بالله. . . ؟ شهاده أن لاإله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاه وإیتاه الزکاه، وصوم رمضان وأن تؤدّوا خمساً من المغنم. (۱)

وعلینا التأمّل بدقّه فی هذا الحدیث، فما المقصود من المغنم؟ یوجد احتمالان فی معنی النصّ:

۱. الغنائم الحربیّه.

۲. المکاسب.

ولا شکّ فی انتفاء الاحتمال الأوّل، لأنّ وفد بنی عبدالقیس صرّح بعدم

۱- صحیح البخاری، ج ۴، ص ۲۵۰؛ صحیح مسلم، ج ۱، صص ۳۵ و ۳۶ .

تمکّنه من المجیء إلی المدینه إلّا فی الأشهر الحُرُم، کما أنّ الجهاد مع العدو لایجوز إلّا بإذن الرسول (ص) . وقد یظنّ البعض بأنّ المقصود من الغنائم هی الغنائم التی یحصلون علیها من خلال غارتهم علی الآخرین، ولکن هذا الاحتمال غیر صحیح؛ لأنّ النبیّ (ص) نهی عن السلب والنهب. (۱)

إذن، نستنتج أنّ الخمس لا يجب فى هذا المقام إلّا على الأرباح والمكاسب.

۲. ارسال النبى عمرو بن حزم إلى اليمن

عندما أرسل النبيّ (ص) عمرو بن حزم إلى اليمن، بعث إليه كتاباً تضمّن مايلى:

أمره بتقوى الله فى أمره كلّه، وأن يأخذ من المغانم خمس الله وما كتب على المؤمنين من الصدقه من العقار عشرما سقى البعل وسقت السماء، ونصف العشر ممّا سقى الغرب. (۲)

ونشير أوّلاً الى معنى بعض المصطلحات الوارده فى هذا الحديث:

ألف) العقار: وهى الأرض، والمقصود هنا الأراضى الزراعيّه.

ب) البعل: وهى الأشجار التى لا تحتاج إلى السقى لأنّ جذورها ممتده إلى الأنهار المجاوره.

ج) الغرب: ويعنى الدلوالكبير، والمقصود هو الأشجار التى تُسقى بالدلو.

وقد أشار الرسول (ص) فى هذا الحديث – بعد الأمر بتقوى الله– إلى نوعين من الضرائب فى الاسلام، وهما:

۱– انظر: التاج الجامع للأصول، ج ۴، ص ۳۳۴، نقلاً عن صحيح البخارى.
۲– فتوح البلدان، ج ۱، ص ۸۱؛ سيره ابن هشام، ج ۴، ص ۲۶۵. .

۱. خمس الغنائم

۲. زكاه الأرض. تاره عُشر، وتاره نصف العُشر للأراضى التى تُسقى عن طريق المطر، أو عن طريق المياه المجاوره.

وقد بعث الرسول (ص) عمرو بن حزم إلى اليمن ليتولى إمارتها، ولم يبعثه كرجل عسكرى ليجاهد المشركين، لأنّ أهل اليمن دخلوا فى الإسلام، ومن هنا نفهم بأنّ المقصود من قوله (ص) :

«وأن يأخذ من المغانم خمس الله» أنّ المقصود هو الأرباح والمكاسب.

وتوجد رسائل أُخرى عديده لرسول الله (ص) بعثها إلى أطراف الحجاز، وكلّها تتضمّن أخذ الخمس من المغانم، ولم يكن من بعثهم الرسول (ص) بهذه الرسائل قادهً عسكريّين، بل كانوا مجرّد أمراء فى مناطقهم، وهذا يدلّ على أنّ أخذ خمس المغانم لا يشمل مغانم الحرب فقط.

۳. أجاز رسول الله فى رساله إلى جهينه بن زيد بأن ينتفع قومه من الأراضى التى عندهم وأن يستخدم المياه المتوفّره لديهم،

ولکن بش-رط دفع خمسها. (۱)

أضف إلى ذلک، فقـد أکّـد أئمّه أهل البیت (علیهم السـلام) ، وهم عِدل القرآن، على دفع أنّ الخمس من الأرباح واجبٌ، وکلّ من یؤمن بحدیث الثقلین یجب علیه أن یتّبع القرآن والعتره (ع) .

وقد بیّنا حکم القرآن والعتره بالنسبه إلى الخمس فی الأرباح والمکاسب.

۱- راجع: الوثائق السیاسیه، ص ۲۶۵. .

ص: ۱۸۸

ص: ۱۸۹

الفصل الثامن: أحداث تأریخیه

اشاره

هناک اسئلهٌ تُطرح حول بعض الأحداث التأریخیّه، سوف نجیب علیها فی الأبحاث التالیه:

۱. صلح الإمام الحسن (ع)

السؤال الـذی یطرح هنـا، هو : هـل یمکن اعتبـار صـلح الإمـام الحسن (ع) مع معـاویه دلیلاًـ على حسن علاقه أهل البیت (علیهم السلام) بمعاویه؟

الجواب : صـلح الإمـام الحسن (ع) یعتبر من الحوادث التـأریخیّه المرتبطه بعصـر صـدر الإسـلام التی تناولهـا الکثیر من البـاحثین بالبحث والتحلیل وتحدّث عنها الکثیر من الخطباء.

وقـد توصّـل الجمیع إلى هـذه النتیجه وهی أنّ الإمام الحسن (ع) هیّأ نفسه من الیوم الأوّل بعـد اسـتلامه للخلافه لأن یجاهـد أهل الشام، ولم یفکّر بالصـلح أبداً، ولهذا عندما بلغه خبر حرکه معاویه من الشام نحوالکوفه، جمع الناس فی المسجد، ثمّ ألقى خطبه أمرهم فیها بالجهاد ضدّ معاویه، ودعاهم إلى مواجهه الباطل والصبر والتضحیه، وتحمّل المصاعب.

ص: ۱۹۰

وکان الإمام (ع) من خلال معرفته للناس قلقاً من عدم استجابتهم لدعوته وکان الامر کذلک، فقد سکت الجمیع إزاء دعوه الإمام (ع) ولم یؤیّده أحد.

فلمّـا رأى الإمـام الحسـن (ع) ذلـک قـال: مـا اقبـح هـذا المقـام؟ الاـ تجیبـون امـامکم وابن بنت نـبیکم، أین خطبـاء مضـر؟ أین المسـلمون؟ أین الخوّاضون من اهل المصـر الـذین السـنتهم کالمخاریق فی الدعه، فاذا جدّ الجِدّ فَروّاغون کالثعالب، امّا تخافون

مقت الله ولا عيبها وعارها. (۱)

وتكشف هذه الوثيقه التأريخيّه مدى إنهيار نفوس أهل الكوفه ومدى ضعفهم أمام القتال.

ثمّ حاول أصحاب الإمام الحسن (ع) تعبئه الناس، وبعد جهودٍ مضنيهٍ بذلها الإمام، خرج معه عدد قليل واستقرّوا قرب الكوفه فی منطقه تدعى (النُخيله) ، وبعد إقامتهم هناک مدّه عشره أيّام لم يلتحق به إلّا أربعه ألآف شخص، لهذا اضطرّ الإمام لأن يعود إلی الكوفه ليستنفر الناس.

ولم يقبل الإمام الحسن (ع) الصلح مع معاويه إلّا بعد أن وجد نفسه وحيداً بلا ناصرٍ ولا معينٍ، وقد تفرّق عنه أهل الكوفه لأنّهم ملّوا القتال بعد حروب الجمل وصفين والنهروان. كما كان فی جيش الإمام عناصر مزّقها الاختلاف، فضلاً عن خيانه بعض قاده الجيش، وهذا ما أجبر الإمام إلی قبول الصلح مع معاويه.

فخطب (ع) قائلاً: «والله، ما سلّمت الأمر إليه إلّا أنّی لم أجدُ أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلی ونهاری حتّی يحكم الله بينی وبينه، ولكنّی عرفت

۱- مقاتل الطالبين، ص ۳۹؛ انساب الاشراف، ص ۶۰ .

أهل الكوفه وبلوتهم، ولا يصلح لی منهم ما كان فاسداً، إنّهم لا وفاء لهم، ولاذمّه فی قول ولا فعل، إنّهم لمختلفون ويقولون لنا إنّ قلوبهم معنا، وإنّ سيوفهم لمشهوره علينا» . (۱)

وقال (ع) فی خطبهٍ أُخری:

يا عجباً من قوم لا حياء لهم، ولا دين مرّه بعد مرّه، ولو سلّمت إلی معاويه الأمر، فأيم الله، لا ترون فرجاً أبداً مع بنی أميّه، والله ليسومنكم سوء العذاب حتّی تتمنون أن عليكم حبشيّاً، ولو وجدت أعواناً ما سلمت له الأمر؛ لأنّه محرّم علی بنی أميّه؛ فأفٍ وترحاً يا عبيد الدنيا! (۲)

نلاحظ ممّا ذكر أنّ الامام الحسن (ع) لم يوافق علی الصلح مع معاويه طوعاً، وإنّما رأی ضعف أصحابه، فلم يجد بُدّاً من ذلک ولهذا لا يصحّ اعتبار هذا الصلح دليلاً علی حسن العلاقه بين الإمام الحسن (ع) ومعاويه.

۲. زواج أم كلثوم

اشاره

السؤال الذی يطرح هنا، هو : هل فی زواج عمر مع أمّ كلثوم بنت الإمام علی (ع) دلاله علی حسن العلاقه بينهما؟

الجواب : هذا السؤال لا يعدّ سؤالاً تأريخيّاً فحسب، بل له صله مباشره بعقيده الشيعه حول الخلفاء، وقد اثبت الشيعه الاماميه بأنّ بيت الزهراء (س) تعرّض للهجوم من الخليفه الأوّل بعد وفاه الرسول (ص) ، وجاء الخليفه الثانى بالحطب لإحراقه، لدرجه أنّ الخليفه الأوّل ندم على ذلك فى آخر أيّام حياته.

١- بحارالانوار، ج ۴۴، ص ۱۴۷؛ الاحتجاج، ص ۱۵۷.
٢- بحارالأنوار، ج ۴۴، ص ۴۴. .

فمع هذه الحوادث، كيف يمكن تصديق زواج الخليفه الثانى من بنت الزهراء؟ ! ولا يعقل قبول الإمام على (ع) على هذا الأمر.

وقد تمّ بحث هذه المسأله على مرّ التأريخ، حيث كانت مطروحه على طاوله البحث الأكثر من ألف سنه، وبما أنّ منهج هذا الكتاب هو الاختصار، لذلك نكتفى ببيان الأقوال المختلفه المطروحه فى علم الكلام وعلم الحديث عند الشيعه حول هذه المسأله:

١. رأى الشيخ المفيد (٣٣۶– ۴۱۳ه)

شكّك الشيخ المفيد فى صحّه وقوع هذا الزواج فى الرساله الخاصّه التى ألفها فى هذا الصدد، وذكر بأنّ خبر هذا الزواج منقول عن طريق الزبير بن بكّار، وهو ممّن لا يعتمد عليه، بل كان الزبير من أعداء الإمام على (ع) ؛ ولهذا لا يمكن الوثوق بما ينقله عن بنى هاشم.

وما أدّى إلى انتشار هذا الخبر هو أبومحمّد الحسن بن يحيى العلوى، حيث نقله فى كتابه (النسب) ؛ ولهذا قبلها البعض.

وأشار الشيخ المفيد إلى وجود بعض المفارقات العجيبه فى نقل هذه الواقعه التأريخيّه، منها ما يلى:

١. إنّ الإمام على (ع) هو الذى قرأ صيغه هذا العقد.

٢. وقع هذا الزواج بوساطهٍ من العبّاس عمّ الإمام على (ع) .

٣. وقع هذا الزواج إثر التهديد.

۴. تحقّق الزواج، وكان ثمرته ولداً باسم زيد.

۵. قُتل عمر قبل وقوع هذا الزواج.

۶. كان لزيد بن عمر أيضاً ذريّه.

ص: ۱۹۳

۷. قُتل زید بن عمر، ولم یکن له وارث.

۸. قُتل زید وأمّه فی یومٍ واحدٍ.

۹. عاشت أمّ کلثوم بعد مقتل ولدها زید.

۱۰. کان صداق أمّ کلثوم أربعین ألف درهماً.

۱۱. کان صداق أم کلثوم أربعه آلاف درهم.

۱۲. کان صداق أم کلثوم خمسمائه درهم.

وهذا الاختلاف الکبیر فی النقل یثیر الشکّ والتردید فی النفوس حول أساس القضیّه.

۲. ام کلثوم هی ربیبه الإمام علی (ع)

یعتقد بعض المؤلّفین بأنّ أم کلثوم التی تزوّجت بعمر کانت ربیبه الإمام علی (ع) ، ولم تکن ابنته من صلبه؛ لأنّ أسماء بنت عمیس تزوجت من أبی بکر بعد رحیل جعفر بن أبی طالب، وولد لها من هذا الزواج ابنه سمیّت أمّ کلثوم، وبعد وفاه أبی بکر تزوجت أسماء مع الإمام علی (ع) وعاشت ابنتها کربیبه فی بیت الإمام علی (ع) ، وهذه الربیبه هی التی تزوّجها عمر بن الخطّاب.

وهذا القول ضعیف؛ لأنّ أبا بکر کانت له بنت تدعی أمّ کلثوم، ولکن أمّها هی حبیبه إبنه أحد الأنصار، وهو زید بن خارجه، وأمّ کلثوم بنت أبی بکر تزوّجت بطلحه بن عبیدالله وأنجبت له أولاداً باسم محمّد وزکریا وعائشه.

وبعد مقتل طلحه تزوجت أمّ کلثوم بعبدالرحمن بن عبدالله.

وأمّا أسماء بنت عمیس، فإنّها تزوّجت بأبی بکر ولم تنجب له سوی طفلاً واحداً یدعی محمّد. ولهذا لا یصحّ القول بأنّ أمّ کلثوم التی تزوّجها عمر هی بنت أسماء بنت عمیس. وأساساً لم یکن لأسماء بنت من أبی بکر.

ص: ۱۹۴

وأمّا أم کلثوم بنت أبی بکر، فأمّها (قتیله) ، وهی تزوّجت بطلحه بن عبیدالله ولم تتزوّج بعمر بن الخطّاب. (۱)

۳. ردود الفعل المختلفه إزاء خطبه عمر

قال عمر بن الخطاب إنّ السبب الذی دفعه للزواج بأمّ کلثوم هو قول النبی (ص) : «

کلّ نسب وسبب منقطع یوم القیامه إلّا نسبی وسببی » ، فقال: «کنت قد صحبته فأحببت أن یکون هذا أیضاً» . (۲)

ولکن الدافع الأساسی لم یکن سوی أنّه أراد بهذا الزواج أن یتستّر علی ما فعله تجاه الإمام علی (ع) وفاطمه الزهراء (س) .

وعندما تقدّم عمر بن الخطّاب إلی خطبه أمّ کلثوم، حاول الإمام علی (ع) رفض طلبه، وبرّر ذلک بتبریرات مختلفه منها:

أ) قال الإمام علی (ع) : إنّها صبیّه.

وکان جواب الخلیفه: إنّک –والله– ما بک ذلک، ولکن قد علمنا ما بک. (۳)

ب) أصرّ عمر مرّه أخری علی هذا الزواج، فواجهه الإمام (ع) باعذار أخری.

وقد ذکرت بعض مصادر الفریقین أنّ هذا الزواج قد تحقّق، وکان المتصدّی لهذا الأمر هو العبّاس بن عبدالمطلب، ولکن هل تحقّق هذا الزواج بطیب خاطرٍ أو أنّه کان نتیجه الضغوط الداخلیّه والخارجیّه؟

وکلّ من له المام بتأریخ ما جری بین الإمام علی (ع) وعمر بن الخطّاب،

۱- راجع: أسد الغابه، ج ۵، ص ۳۹۵.
۲- الطبقات الکبری، ج ۸، ص ۴۶۳.
۳- المصدر نفسه، ص ۴۶۴؛ الذرّیه الطاهره لابی بشر دولابی، ص ۱۵۵. .

یقطع بأنّ هذا الزواج لم یتحقّق بطیب خاطر الإمام علی (ع) .

والدلیل علی ذلک مایلی:

۱. لا شکّ فی أنّ صله أهل البیت (ع) لم تکن وثیقةً مع الخلیفه عمر بن الخطّاب، وهجوم عمر علی بیت الزهراء (س) وهتکه لحرمه بنت الرسول هو أمرٌ لا یکن أمراً یمکن إنکاره، والشواهد علی وقوع هذا الهجوم کثیره.

۲. عمر بن الخطّاب کان فظّاً غلیظاً وحادّ المزاج، بحیث عندما اختاره أبوبکر للخلافه اعترض البعض علی ذلک، وأشاروا إلی غلظه عمر وسوء خلقه.

۳. خطب عمر بن الخطّاب أمّ کلثوم ابنه أبی بکر، فقالت أمّ کلثوم:

«لا حاجه لی فیه، إنّه خشن العیش شدید علی النساء» . (۱)

إذن، لا یمکن اعتبار هذا الزواج دلیلًا علی حسن العلاقه بین الطرفین.

وما ورد فی مصادر الشیعه أنّه لم یتحقّق فی هذا الصعید سوی إیقاع العقد فقط.

وأمّا تحقّق الزواج فإنّه لم يثبت، وورد فی الحديث عن الإمام الصادق (ع) : «

إنّ عليّاً لمّا توفّی عمر أتی أم كلثوم، فانطلق بها إلی بيته » . (۲)

وقال المسعودی: «بأنّه لم ينتج من هذا الزواج مولود» . (۳)

وقد ذكر فی هذا الصعيد بعض المؤرّخين وعلماء الرجال قضايا تتنافی مع كرامه أهل البيت (ع) وعفّتهم، كما أنّ جميع أسانيد هذه الروايات مرفوضه، لذلك لم نذكرها.

۱- راجع: تاريخ الطبری، ج ۵، ص ۵۸.
۲- الكافی، ج ۶، ص ۱۱۵.
۳- راجع: مروج الذهب، ج ۲، ص ۳۲۱. .

ص: ۱۹۶

ص: ۱۹۷

الفصل التاسع: الصحابه

۱- روايات الصحابه

السؤال الذی يطرح هنا، هو : لماذا لا يقبل الشيعه روايات الصحابه؟

الجواب : تنقسم الأخبار المرويّه عن رسول الله (ص) إلی ثلاثه أقسام:

۱. الخبر المتواتر.

۲. الخبر المقرون بالقرائن المفيده للعلم.

۳. خبر الواحد.

وجميع عقلاء العالم يعتمدون علی القسمين الأوّل والثانی فقط، ولايهمّهم من يكون الراوی فی هذا المجال؛ لأنّ الخبر يبلغ من القوّه، بحيث يوجب العلم، ولا يوجد أیّ مجال للشكّ والترديد.

ولكن ما هو الخبر المتواتر؟ وما هی شروطه؟ أو ما هو الخبر المقرون بالقرائن المفيده للعلم؟

إنّ كتب علم الأصول - ولا سيّما كتب علم الدرايه- بيّنت هذه القضايا كلّها والشيعه أيضاً يعملون بهاذين القسمين من الأخبار.

والنقاش يدور حول القسم الثالث من الأخبار، ونذكر جانباً من ذلك فيما يلى:

بما أنّ الغايه المنشوده من القضايا العقائديّه هى الإيمان والاعتقاد، لذا فإن

ص: ۱۹۸

خبر الواحد لا اعتبار له؛ لأنّه لا يودّى الغرض، ولكن إذا كان خبر الواحد مرتبطاً بالأحكام الشرعيه والمسائل العمليّه، وكان رجال السلسله السنديّه جميعهم ثقات ولا قدح فى عدالتهم، فالشيعه يعملون به، ولا يوجد فرق فى هذا المجال بين الصحابه والتابعين.

ولكن إذا كان رواه هذا الحديث مقدوحاً فيهم وضعفاء، فلا يكون لهذا الخبر حجّيه، ولا يمكن الاحتجاج بمثل هذا الحديث، وهذا المعيار أيضاً حاكم على الأحاديث المروّيه عن أئمّه أهل البيت (ع) .

ومن حسن الحظّ فإنّ بعض أحاديث الرسول (ص) وصلت إلينا عن طرق صحيحه، فمنها ما وصل إلينا عن طريق أئمّه أهل البيت (ع) ، ومنها عن طريق الرواه الثقاه، والشيعه يعتمدون على جميع هذه الأحاديث.

إذن، ما ورد فى السؤال المذكور فى هذا البحث لا ـ أساس له من الصحّه، وفقهاء الشيعه يعتمدون على الأحاديث الصحيحه الموجوده فى كتب البخارى ومسلم وغيرهما من مصادر الحديث لأهل السنّه.

وما يهمّ الشيعه هو صحّه السند ووثاقه الرواه. ونودّ فى الختام أن نلفت انتباهكم إلى أنّ الفقه الشيعى لا يعتمد على الروايات المرويّه عن طريق النواصب ومبغضى أهل البيت (ع) ، ولكنّ بعض كتب الحديث تعتمد على هؤلاء وتنقل ما ذكروه، ومنهم على سبيل المثال، عمران بن حطّان الذى وكان رأس الخوارج، وهو فى سلسله أسانيد بعض أحاديث صحيح البخارى وغيره، فنحن لا نعتمد على روايات هؤلاء.

۲. نقد الصحابه

السؤال الذى يطرح هنا، هو : تضعيف الصحابه هو تضعيف للدين؛ لأنّ

ص: ۱۹۹

الدين بلغنا عن طريق الصحابه، فهل يجوز انتقادهم؟

الجواب : هذا الكلام لا يستند الى قاعدهٍ صحيحهٍ حيث لا يصحّ القول بأنّ روايات جميع الصحابه غير صحيحه، بل يوجد بين الصحابه صلحاء ويوجد غير صلحاء، ويوجد من يمكن الاعتماد عليهم فى معرفه ما جاء به الرسول (ص) ، ويوجد من لا يمكن الاعتماد عليهم.

أضف إلى ذلك، فإن الامام على بن أبى طالب وأهل البيت (ع) حفظوا لنا ما جاء به الرسول (ص) ، ولهذا فإنّ رفض روايات من لا ـ يمكن الاعتماد عليهم من الصحابه لا يؤدّى إلى تضعيف الدين؛ لأنّ الرسول (ص) ترك لأمّته الثقلين: كتاب الله والعتره

الطاهره، وبما أنّ العتره حفظت لنا ما جاء به الرسول (ص) ، فلا يؤدّى عدم الأخذ من غيرهم إلى تضعيف الدين، بل إنّ الكتاب والعتره هما المرجع لمعرفه التشريع، وقد أكّد رسول الله (ص) على أنّ من يتمسّك بهما لن يضلّ أبداً.

والحقيقه أنّ هذا السؤال غريبٌ، إذ يجب للسائل أوّلا السؤال أن يسأل: هل يؤدّى نقد الصحابه إلى تضعيف الدين؟ فنجيب على سؤاله: لا، بل الاعتماد على الصحابه الذين لا يمكن الوثوق بهم بنفسه تضعيف للدين، وعلى كلّ مسلم الاعتماد على المصادر الموثوقه لمعرفه الدين.

فالدين الذى أرسى دعائمه الله ورسوله لا يتزلزل بانتقاد بعض الاشخاص، والله تعالى قد وعد ببقائه حتّى يوم القيامه.

۳. الامام على (ع) وتأييده للخلفاء

السؤال الذى يطرح هنا، هو : لقد أيّد الإمام علىّ (ع) الخلفاء، فلماذا لايعترف الشيعه بخلافتهم؟

ص: ۲۰۰

الجواب : لم يكن موقف الإمام علىّ (ع) من الخلفاء من منطلق الاعتراف بشرعيّه خلافتهم، بل كان من منطلق التعاون معهم لحلّ المشاكل الدينيّه والسياسيّه. والدليل على ذلك:

أوّلاً: إنّ الرسول (ص) عيّن الإمام علىّ (ع) إماماً للأمّه من بعده. وقال تعالى: (وما كانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اللهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (الأحزاب: ۳۶) .

فكيف يمكن للإمام علىّ (ع) أن يعترف بخلافه غيره، فى حين أنّه قد نُصِّب خليفهً للمسلمين بأمرٍ من الله تعالى وفى مناسباتٍ عديدهٍ، لا سيّما فى يوم الغدير. إنّ ولايه الامام علىّ (ع) هى حكمٌ سماوىٌّ ولا أحد قادرٌ على نسخه إلا الله تبارک وتعالى.

إذن، إمامه الإمام علىّ (ع) هى ليست حقّاً شخصيّاً له كى يمكنه غضّ النظر عنه أو التنازل عنه لغيره، بل هى أمرٌ ربّانىٌّ لا تبديل له؛ وإن اقتضت المصلحه العامّه سكوته عنه، فذلک لايعنى استحقاق غيره لهذا المنصب الخطير.

ثانياً: تأريخ السقيفه وسيره الإمام علىّ (ع) بعد رحيل الرسول (ص) يثبتان لنا أنّ الامام على (ع) ، ورغم كلّ ما تعرّض له من ضغوطٍ، لم يمدّ يد البيعه للخلفاء.

وقد كتب معاويه فى إحدى رسائله إلى الإمام على (ع) وذكّره بكيفيّه بيعته لأبى بكر، فأجابه الإمام على (ع) :

وقلت: إنّى كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع ولعمر الله، لقد أردت أن تذمَّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضهٍ فى أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً فى دينه، ولا مرتاباً بيقينه. (۱)

۱- نهج البلاغه، الرساله ۲۸. .

ص: ۲۰۱

ثالثاً: إنّ البخاری الذی ألّف صحیحه وفق مصالح السیاسه الحاکمه فی زمانه، نقل کتاب (المغازی) بسنده عن عائشه:

إنّ فاطمه (س) ، بنت النبی (ص) أرسلت إلی أبی بکر تسأله میراثها من رسول الله ممّا أفاء الله علیه بالمدینه وفدک، وما بقی من خمس خیبر.

فقال أبوبکر: إنّ رسول الله قال: «لا نورث، ما ترکنا صدقه، انّما یأکل آل محمّد فی هذا المال» وإنّی –والله– لا أُغیر شیئاً من صدقه رسول الله. . . .

فأبی أبوبکر أن یدفع إلی فاطمه منها شیئاً، فوجدت فاطمه علی أبی بکر فی ذلک، فهجرته فلم تکلّمه حتّی توفّیت، وعاشت بعد النبیّ ستّه أشهر.

فلما توفّیت دفنها زوجها علی لیلاً، ولم یؤذن بها أبابکر. (۱)

فهذا الحدیث یثبت أنّ الإمام علی (ع) لم یبایع أبی بکر بمدّه سته أشهر، فلوکانت خلافه أبی بکر مشروعه فکیف تخلّف عنها الإمام علی (ع) ؟

ولماذا رحلت فاطمه الزهراء (س) عن هذه الدنیا، وهی غاضبه علی خلیفه زمانها؟

کیف یفسّر أهل السنّه هذه المواقف؟

إذن، هناک تناقضٌ فی مواقف أهل السنّه، لأنّ مؤرّخیهم قد أکّدوا علی أنّ فاطمه الزهراء (س) لم تبایع أبا بکر ولم تکلّمه حتی فاضت روحها الطاهره. کما أنّهم أذعنوا بعدم مبایعه الإمام علی (ع) لأبی بکرٍ أیام کانت فاطمه (س) حیّهً، لأنّه – حسب زعمهم – قد بایعه بعد ستّه أشهرٍ من حادثه السقیفه. (۲)

۱– صحیح البخاری، کتاب المغازی، باب غزوه خیبر، ح ۴۲۴۱.
۲– المصدر نفسه، کتاب فرض الخمس، ح ۳۰۹۳. .

ص: ۲۰۲

ویعتقد أهل السنّه –کما ورد فی مصادر أحادیثهم، ومنها صحیح مسلم – أنّ الرسول (ص) قال:

«مَن مات، ولیس فی عنقه بیعه مات مِیته جاهلیّه؟» . (۱)

ونقل أحمد بن حنبل فی مسنده عن رسول الله (ص) :

«مَن مات بغیر إمام مات میته جاهلیه» . (۲)

ومن جهه أخرى نقلوا عن الرسول (ص) تأكيده على أنّ الله يرضى لرضا فاطمه (س) ويغضب لغضبها، وأنّها (س) سيّده نساء العالمين. (٣)

فما هو جواب أهل السنّه، والزهراء (س) بنت رسول الله (ص) وسيده نساء العالمين، وهى من يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها ماتت وليس فى عنقها بيعه لأبى بكر؟

فهل يعتقد أهل السنّه – والعياذ بالله – بأنّ فاطمه الزهراء (س) ماتت ميته جاهليّه؟ أم يعتقدون بعدم شرعيّه خلافه أبى بكر وأنّه لم يكن الإمام الذى يرتضيه الله؟

يترتّب على ذلك أنّ الإمام هو الذى نصّبه الرسول فى غدير خمّ، وهو الذى تبعته الزهراء بعد وفاه الرسول (ص) ، وهو الإمام على (ع) .

رابعاً: أقوال الإمام على (ع) تدلّ على الخلافه قد غصبت منه، وأنّها حقّ له، وخطبته المعروف ب- (الشقشقيه) خير دليلٍ على ذلك.

وقال فى إحدى خطبه:

١- صحيح مسلم، باب الأماره، ٥٨، ح ٨٨.
٢- مسند أحمد، ج ٢، ص ٩٦.
٣- راجع: مستدرك الحاكم، ج ٣، ص١٥٦. .

ص: ٢٠٣

«فوالله، ما زلت مدفوعاً عن حقّى، مستأثراً علىّ منذ قبض الله نبيّه صلّى الله عليه وآله حتّى يوم الناس هذا» . (١)

ومن كلام له (ع) :

وقد قال لى قائل إنّك على هذا الأمر يابن أبى طالب لحريص! ! فقلت: بل أنتم –والله أحرص– وأبعد، وأنا أخصّ وأقرب، وإنّما طلبت حقّاً لى، وأنتم تحولون بينى وبينه، وتضربون وجهى دونه.

فلمّا قرعته بالحجّه فى الملأ الحاضرين هبَّ كأنّه بُهِتَ لا يدرى ما يجيبنى به. (٢)

وقال ابن أبى الحديد: «والذى قال له: إنّك على هذا الأمر لحريص! هو سعد بن أبى وقّاص» .

وقالت الإماميّه: هذا الكلام كان يوم السقيفه، والقائل هو أبوعبيده بن الجرّاح.

وقال (ع) أيضاً: «

اللّهمّ، إنّی أستعدیک علی قریش ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمی، وصغروا عظیم منزلتی، وأجمعوا علی منازعتی » . (۳)

إذن، اتّضح لنا أنّ الإمام علی (ع) لم یؤیّد الخلفاء فی مسأله الخلافه والإمامه، وکان (ع) دائماً یذکر مظلومیّته فی هذا المجال لتتضح الحقائق للأجیال القادمه.

وبالتالی فإنّ الإمام علیاً (ع) إنّما تعاون مع الخلفاء فی بعض المسائل الدینیّه والسیاسیّه، وقد ذکر سبب هذا التعاون بقوله:

۱- نهج البلاغه، خطبه ۶.

۲- المصدر نفسه، خطبه ۱۷۲.

۳- بحارالأنوار، ج ۲۹، ص ۶۰۵. .

فوالله، ما کان یُلقی فی روعی، ولا یخطر ببالی، أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده (ص) عن أهل بیته، ولا أنّهم منحوه عنّی من بعده فما راعنی، إلّا انثیال الناس علی فلان یبایعونه، فأمسکت یدی حتّی رأیت راجعه رجعت عن الإسلام، یدعون إلی محقّ دین محمّد (ص) ، فخشیت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أری فیه ثلماً أو هدماً. (۱)

۱- نهج البلاغه، رساله ۶۲.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ علیهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
JAVA.١

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.


مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹